ابن رشد للدراسات

Ibn Rushed
2024

مجلة فصلية علمية محكمة

رقم الإيداع: D/2023/1654
ISSN 3007-021 X
ISSN (online)
3006 - 7634

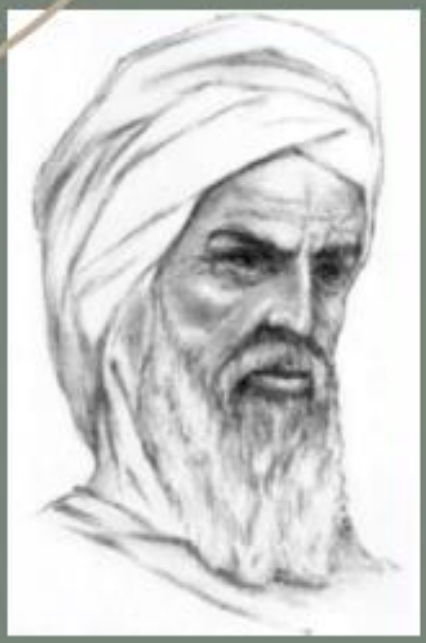

للعلوم الاجتماعية والإنسانية

تصدر عن

مؤسسة عين السلطان للدراسات والأبحاث

الاردن

العدد الثاني المجلد الاول نيسان ٢٠٢٤

ابن رشد للدراسات العدد الثاني المجلد الاول نيسان ٢٠٢٤

ابن رشد للدراسات

ISSN 3007-021X

ISSN (online) 3006-7634

رقم الإيداع: D/2023/1654

مجلّة فصليّة علميّة محكمّة للعلوم الاجتماعية والإنسانية تصدر عن

مؤسسة عين السلطان للدراسات والأبحاث

الأردن

رئيس التحرير المسؤول

د. يونس الجمرة

العدد الثاني

المجلد الأول، نيسان ٢٠٢٤

الآراء الواردة في المجلة تعبّر عن رأي كاتبها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة

حقوق النشر محفوظة، ولا يجوز الاقتباس من مواد المجلة دون الإشارة للمصدر

هيئة التحرير والهيئة الستشارية

العدد الثاني، المجلد الأول، نيسان ٢٠٢٤

سكرتارية التحرير

د. صايل خطايبة **د.خضر السرحان** **د.عزام أبو الحمام** **د.محمود الفطافطة**

هيئة التحرير الاستشارية

الاسم	الدولة	الاسم	الدولة
د. أريج جابر	الأردن	د. أسماء خصاونة	الأردن
د. خالد الشريدة	الأردن	د. ربيحة الرفاعي	الأردن
د. خالد ميّاس	الأردن	د. علي الحلاق	الأردن
د. عبد السلام يحي سيّد	موريتانيا	د. أسماء أنيلا	المغرب
د. محمد بني عيسى	الأردن	د. إكرام البشير الجمل	ليبيا

هاتف

٠٠٩٦٢٧٩٩٠٤٥٠٠٠ / ٠٠٩٦٢٧٨٨٠٣١٠٣١

البريد الالكتروني

ibn.rushid@yahoo.com /ibn.rushed01@gmail.com

الموقع الالكتروني

https://ibn-rushed.com/

هيئة التحرير والهيئة الستشارية
العدد الثاني، المجلد الأول، نيسان ٢٠٢٤
Ibn Rushd

الهيئة الاستشارية

الاسم	الدولة	الاسم	الدولة
الأستاذ الدكتور علي محافظة	الأردن	الأستاذ الدكتور إحسان الرباعي	الأردن
الأستاذ الدكتور فواز عبد الحق	الأردن	الأستاذ الدكتور فتحي سالم اللهيبي	العراق
الأستاذ الدكتور وليد عبد الحي	الأردن	الأستاذ الدكتور نور الدين إمعيط	المغرب
الأستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس	الأردن	الأستاذ الدكتور محمد المختار	السنغال
الأستاذ المميز الدكتور إبراهيم جدلة	تونس	الأستاذ الدكتور حمدادو بن عمر	الجزائر
الأستاذ الدكتور لطفي أبو الهيجاء	الأردن	الأستاذ الدكتور عمران محافظة	الأردن
الأستاذ الدكتور فايز أبو عريضة	الأردن	الأستاذ الدكتورة ثروت الحوامدة	الأردن
الأستاذ الدكتور وليد حميدات	الأردن	الأستاذ الدكتور صابرينة الواعر	الجزائر
الأستاذ الدكتور أحمد جوارنة	الأردن	الأستاذ الدكتور نعمة ماء العينين	المغرب
الأستاذ الدكتور محمد عوض الهزايمة	الأردن	الدكتورة أشواق عبّاس	سوريا
الأستاذ الدكتور لخضر محمد بو لطيف	الجزائر	الدكتورة إيمان صلاح عطاطة	مصر
الأستاذ الدكتور فايز النجار	الأردن	الدكتور صالح محروس محمد	مصر
الأستاذ الدكتور محمد المومني	الأردن	الدكتور ربيع عويس	فلسطين
الأستاذ الدكتور نبيل النجار	الأردن	الدكتور نبيل قريسة	تونس
الدكتور محمد نعيم فرحات	فلسطين	الدكتورة هند فخري سعيد	العراق
الأستاذ الدكتور محمد كنتاوي	الجزائر	الدكتور عمار قناة	روسيا
الأستاذ الدكتور طلال الطريفي	السعودية	الدكتور يوسف ربابعة	الأردن
الدكتور خالد شقران	الأردن	د. ابراهيم غرايبة	الأردن

Ibn Rushd

تعليمات النشر (١)

العدد الثاني، المجلد الأول، نيسان ٢٠٢٤

١) تنشر مجلة إبن رشد للدراسات البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية، مكتوبة باللغة العربية أو الإنجليزية فقط.

٢) يطبع البحث على جانب واحد من الورقة مستخدما فراغا مزدوجا وحواشي (٢,٥ سم من كل جانب على الأقل) ويجب ترقيم الصفحات .

٣) يشترط في البحث ألا يكون قد نشر أو قدم للنشر في أي مكان آخر.

٤) تخضع البحوث للتحكيم حسب الأصول العلمية المتبعة ، وفي حال طلب تعديلات على البحث يعاد إلى الباحث لإجراء التعديلات المطلوبة .

٥) لا تلتزم المجلة بنشر البحث إلاّ بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، أو تتولى هيئة التحرير إجراء بعض التعديلات المطلوبة وفقا لخطة النشر .

٦) أن يكون البحث مطبوعاً باستخدام برنامج Word، وفقا للنموذج الموجود في تعليمات النشر التالية:

- أن يكون عنوان البحث الرئيسي بالتنسيق التالي (Arial/Bold/14) للغة العربية (Times New Roman/Bold/14) للغة الإنجليزية.
- أن يكون تنسيق العناوين الفرعية (Arial/Bold/12)
- أن يكون تنسيق متن البحث (Arial/12)
- أن لا تزيد عدد كلمات البحث عن ٥٠٠٠ كلمة بحده الأقصى ١٥ صفحة A4 والمسافة بين الأسطر ١,٥
- يرسل البحث الى رئيس تحرير المجلّة بوساطة البريد الالكتروني من خلال البريد الإلكتروني علما أنه لن يتم استلام أي نسخ ورقية من البحث.
- يجب أن يتضمن البحث العنوان وأن يكون معبرا عن المحتوى وعليه اسم الباحث/الباحثين.

٧) الملخص يجب أن لايزيد عن ١٥٠ كلمة ، ويحتوي على هدف الدراسة ، والمنهج ، والنتائج والتوصيات

٨) ترقم الجداول والأشكال على التوالي حسب ورودها في البحث.

٩) عند إجازة البحث للنشر تؤول حقوق الملكية للمجلة.

١٠) تكتب المصادر والمراجع في الهامش في آخر البحث ، يشار إلى المصادر الأساسية أولا و المعاجم بمختلف أنواعها والبقية بالترتيب كما يلي :

- يكتب اسم المؤلف / أسماء المؤلفون كما هو/هم ، وإذا كانوا أكثر من اثنين ، يكتب الإسم الأول ويشار للبقية (آخرون) ، سنة النشر ، إسم المرجع ، الناشر ، الطبعة ، مكان النشر ، الصفحة .
- الكتب المترجمة ، كما سبق مع ذكر المترجم بعد اسم المرجع مباشرة .
- المجلات : اسم المؤلف : عنوان البحث أو الدراسة ، إسم المجلة ، العدد ، المجلد ، السنة ، الصفحة
- رسائل الدكتوراه أو الماجستير : اسم المؤلف ، عنوان الرسالة ، الجامعة ، السنة ، الصفحة .
- الكتب باللغة الانجليزية أو اللغات الأخرى ، اسم المؤلف ، سنة النشر ، اسم المرجع ، الناشر ، الطبعة ، مكان النشر ، الصفحة (يكتب باللغة الإنجليزية أو لغة المرجع) .
- المجلات باللغة الإنجليزية أو اللغات الأخرى ، اسم المؤلف ، عنوان البحث أوالدراسة ، اسم المجلد ، العدد ، المجلد ، السنة ، الصفحة (بالانجليزية أو لغة المجلة) .
- المؤتمرات : اسم مقدم الورقة أو التقرير ، عنوان الورقة أو التقرير ، إسم المؤتمر ،مكان انعقاد المؤتمر ، السنة، الصفحة .
- الصحف : اسم كاتب المقال أو الخبر ، عنوانه ، إسم الصحيفة ، مكان الصدور ، العدد ، التاريخ .
- المواقع الإلكترونية : إسم الموقع ، عنوان المقال أو الخبر ، إسم الكاتب ، الرابط باللغة الانجليزية ، تاريخ النشر، الساعة.

١١) في حال نشر البحث لا يجوز لأي جهة أخرى إعادة نشره أو نشر ملخص عنه ، أو نشر ترجمة له في أيّ وسيلة (كتاب ، أو صحيفة ، أو دورية أخرى) إلاّ بموافقة خطية من إدارة المجلة .

١٢) يتم إبلاغ الباحث عن موعد النشر في مدة لاتزيد عن شهر من تاريخ استلام البحث .

١٣) تعتذر المجلة عن إعادة البحوث سواء نشرت أم لم تنشر .

١٤) تحتفظ المجلة بحقها في نشر البحث وفق خطة تحرير المجلة .

١٥) يدفع الباحث تكاليف النشر في حال الموافقة على نشر البحث ، ولا ينشر أي بحث قبل استلام التكاليف.

١٦) ترسل البحوث على العنوان التالي لرئيس التحرير :

ibn.rushid@yahoo.com
ibn.rushed01@gmail.com

المحتويات

العدد الثاني، المجلد الأول، نيسان ٢٠٢٤

افتتاحية العدد الثاني

- **معركة غزة في المجال العربي والدولي** ١
  د. يونس الجمرة

دراسات

- **تأثير الجغرافيا الأردنية على الأمن القومي العربي** ٥
  د. يونس الجمرة
- **التطرف والتنمية؛ تأثير البيئة الاجتماعية والاقتصادية على التطرف: حالة الأردن** ٢٢
  ابراهيم غرايبة
- **السياسة البريطانية في البحر الأحمر (١٧٩٨-١٨٠٢م)** ٥٢
  أ.م.د. هند فخري سعيد
- **مفهوم الملكة اللغوية من منظور عبد الرحمن بن خلدون وعوامل اكتسابها** ٨٢
  أ.د. محمد كنتاوي / د. نسرين عطية
- **عقيدة العصمة في الفكر الديني ودورها في كشف خصوصية التفكير بين الديانات السماوية** ١١٢
  يحيى ابن عبد الوهاب

المحتويات

العدد الثاني، المجلد الأول، نيسان ٢٠٢٤

- **صلحاء واحة فكيك ودورهم التربوي و الاجتماعي أواخر العصر الوسيط وبداية الحديث**

  أ.د. نور الدين أمعيط ١٤٦

مقالات

- **الاقتصاد الأردني وحرب غزة (أفكار وحلول)**

  د. حيدر المجالي ١٨٢

صدر حديثًا

- **مأساة أقلية: شعب الموريسكيين**

  د. خضر السرحان/ د. عبد اللطيف عبد الغني مشرف ١٨٧

افتتاحية العدد الثاني

معركة غزة في المجال العربي والدولي

الدكتور

يونس الجمرة

معركة غزة في المجال العربي والدولي

من يقرأ تاريخ غزة يجد فيه أن غزة لعبت دورًا مهمًّا وقويًّا في استقبال المحتلّين ببسالة وكنسهم، فمن وهب القوة ورباطة الجأش لسكانها والمقيمين على أرضها؟

هاجمتها جيوش كثيرة فارتدّت على أعقابها... هاجموها الإغريق، الاسكندر المقدوني، الفرس، الرومان والهكسوس وغيرهم من الأمم، يقول أحدهم: ما من قائد حاول احتلال غزة إلّا وفشل.

ونحن نكتب هذه السطور تدور رحى المعارك على أرضها، بين المقاومة الفلسطينية والمحتل الاستيطاني جيش اسرائيل، مساحتها الحالية ٣٦٠ كم^{٢} وسكانها تقريبًا ٢,٥ نسمة معظمهم من لاجئي ١٩٤٨، حاولت اسرائيل خلال مئتي يوم أن تدفع سكانها لبغادروها بالقوة والحديد والنار، إلّا أن تجربتهم المريرة مع هذا المحتل أفشلت خطة اسرائيل، وزوّدتهم بذخيرة من الخبرة " أن من يُغادر أرضه لا يستطيع العودة إليها ".

قدّموا أفواجًا من الشهداء حتى وصل عددهم إلى ٣٥٠٠٠ شهيد، ومائة ألف جريح من مستويات مختلفة، بالأمس تحديدًا في ٢٣/ ٤/ ٢٠٢٤م وجدوا مقابر لشهدائهم دفنهم فيها الجيش الاسرائيلي بالجرافات وهي مقابر جماعيّة وتجاوز عدد مَن وجدوهم الثلاثمائة شهيد، فاخذوا يسحبونهم ويعيدون تكفينهم ودفنهم من جديد.

شاهد العالم كلّه هذا الإجرام على القنوات الفضائية وعلى مواقع التواصل الاجتماعي، فما يقوم به الجيش الاسرائيلي من ذبح وقتل هي إبادة بكل

معنى الكلمة لشعب أصرّ على الصمود في أرضه ووجه قاتله، وكيف أن عائلات بأكملها قُضي عليها، وشاهد الأطفال كيف يبكون ويصرخون على آبائهم الذين اشتشهدوا وتركوهم في جحيم لا يُطاق، كما شاهد العالم كيف فقدت العائلات أطفالها ونسائها، فأكثر من سبعين في المائة من حصيلة الضحايا كانوا من النساء والاطفال، يقول رجل طاعن في السن: " كنت أتصوّر أنَّ أبنائي هم من سيقومون بدفني بعد موتي ... لكنني دفنتهم جميعًا وبقيت وحدي ".

هناك على أرض غزة تجري قصص وحكايات لا يندى لها جبين أحد.. قصص نشاهدها ونسمعها ونبكي لحال مَن تعرّضوا لها... لم يبقَ بيت إلّا وسقط فيه شهيد أو أكثر ... حتى البيوت لم تبقَ هُدمت على رؤوس ساكنيها، فجعلت من قطاع غزة أرضًا منبسطة وأكوام حجارة.. ولكن أهلها مصرّون على البقاء حتى ولو على أكوام الحجارة ، استولى اليأس على قلوب جلّاديهم وقاتليهم لكنه لم يستولي على قلوب الغزيين.

لكن المناصرون للاستعمار والاحتلال والذين تعودوا على قتل الشعوب ناصروجيش الاحتلال، فجاءت أساطيلهم بقدّها وقديدها، وفتحوا لهم مخازن السلاح على مصرعيها، وصرخوا مع القتلة المجرمين... وما بكوا الضحية، بكوا على الجلاد، فتحركت الشعوب على سطح الكرة الأرضية وانتفضوا في وجه الإجرام الصهيوني، انتفض الجميع من الشرق إلى الغرب، حتى شعوب الدول التي وقفت تحمي هذا الكيان وخافت عليه من السقوط أيّدوا حق الشعب الفلسطيني في البقاء على قيد الحياة على الأقل.

حرّكت غزة العرب ومعهم العالم ليقفوا في وجه الطغيان، فكان صمود الغزيين أصلب وأقوى من جهود الأمة العربية والإسلامية، والجهود الدولية التي لعبت بشكل متناقض على قضية فلسطين، ينادون بحلول قَبِل بها الفلسطينيون على مضض ولكنّهم يواجهونها بالرصاص وحقوق النقض الدولية، وكأنهم يلعبون في ساحات السيرك للّهو والاستمتاع، وما زال الصمود والصبر ثابت لا يهزُّ شرايين أبناء غزة، واللعب الدولي على قضيتنا ما زال يُمارس ليل نهار.

دراسات

تأثير الجغرافيا الأردنية على الأمن القومي العربي

الدكتور

يونس الجمرة

Received: 29/ 2/ 2024
Revised: 25/ 3/ 2024
Accepted: 14/ 4/ 2024
Published: 25/ 4/ 2024

د. يونس الجمرة
مؤسسة عين السلطان للدراسات والأبحاث
الأردن / إربد
aljamray@gmail.com

تأثير الجغرافيا الأردنية على الأمن القومي العربي

الملخص:

تتناول هذه الدراسة تأثير الجغرافيا الأردنية على الأمن القومي العربي ، وقد تم توضيح مفهوم الأمن القومي في إطاره العام ، ثم بيان أهمية مرتكزات الأمن القومي المتعددة ، ومن بعدها توصلنا إلى التحديات التي يواجهها الأمن القومي ، وقد استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي ، وهو منهج يساعد في الدراسة على المقارنة في الدولة الواحدة ، ويمكن تطبيقه على مستوى اعلى من الدولة ، وقد توصلت الدراسة غلى مجموعة استنتاجات من أهمها : أن الأكثر تأثيرا على الجغرافيا الأردنية ما يجري في غزة والضفة الغربية .

الكلمات المفتاحية : الأمن القومي ، الأمن القومي الوطني ، الأمن القومي العربي ، الأمن الإقليمي .

Abstract:

This study deals with the impact of Jordanian geography on Arab national security. The concept of national security was clarified in its general framework, then the importance of the multiple pillars of national security was explained. After that, we arrived at the challenges facing national security. We used the descriptive analytical approach, which is an approach that helps in the study. For comparison in one country, it can be applied at a higher level than the country. The study reached a set of conclusions, the most important of which are: The most influential impact on Jordanian geography is what is happening in Gaza and the West Bank.

Keywords: national security, Arab national security, regional security.

المقدمة:

تؤثر جغرافيا الدولة على سياستها الذاتية، سواء كانت هذه السياسة داخلية أم خارجية، لكن عندما تكون جغرافيا الدولة جزءاً من جغرافية أكبر منها، فإن الجغرافيا ذات المساحة الأكبر يكون تأثيرها على الجغرافية الجزئية أو الأقل أكثر من غيرها، بمعنى أن أي قطر عربي تشكّل جغرافيته جزءاً من جغرافيا عموم الوطن العربي، لكن ذلك لا يعني إلغاء دور أو أهمية أي جغرافية لأي قطر عربي، لأهمية هذه الجغرافيا من حيث الحدث، أو ما يدور حولها، أو ما يدور فيها، فالجغرافيا الأردنية لها أهميتها بالنسبة للصراع العربي الصهيوني، مثل أي جغرافيا عربية أخرى تلامس حدودوها حدود الكيان الصهيوني ، وبما أن الصراع العربي الصهيوني صراع قومي في الأساس ، فهذا يعني أن الجغرافيا الأردنية تلعب دوراً مهماً ضمن هذا الصراع القومي، كما أنّ ما يؤثر على مجموع الأقطار العربية من سياسات خارجية لدول الإقليم، يتأثر به الأردن كون جغرافيته تأتي في قلب المشرق العربي الملتهب بالأحداث والقضايا المصيرية، وبما أن هناك أهمية لكل جغرافيا الوطن العربي، لأن هذه الأهمية تنبع من جغرافية كل قطر، فإن هذه الجغرافا تلعب دوراً مهماً في مرتكزات الأمن القومي العربي ، وللحديث عن الأمن القومي ، لابدّ من التعرّف على هذا المفهوم .

أهمية الدراسة :

تنبع اهمبة الدراسة من أهمية الموقع الجغرافي الاردني ، وهذه الأهمية تعود بالنفع على مؤسسات الدولة في التخطيط والتنفيذ ، كما تعود المعطيات المتوفرة على صانع القرار السياسي بالقدرة على اتخاذ القرار سواء على الصعيد السياسي ، العسكري ، والاقتصادي والاجتماعي ، وتظهر أهمية الدراسة في المعلومات والاحصاءات الدقيقة للموارد ، وعناصر جغرافية اخرى مثل : الحدود والمساحة وشكل الدولة والمناخ والأنشطة الاقتصادية الأخرى ، وهذه تحددأنشطة الدولة السياسية وعلاقاتها مع دول الجوار ، ومراكز القوى الاقليمية والعالمية .

مشكلة الدراسة وأهداف الدراسة :

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس وهو :" ما تأثير الجغرافيا الأردنية على الأمن القومي العربي ؟ " ، وينبثق عن هذا السؤال أسئلة فرعية أهمها :

١ – تحديد مفهوم الأمن القومي .

٢ – ماهي مرتكزات الأمن القومي العربي ؟

٣ – ما التحديات التي تواجه الأمن القومي العربي ؟

وللاجابة عن هذه الأسئلة نستخدم المنهج الوصفي التحليلي كمايلي :

أولا : مفهوم الأمن القومي :

هناك وجهات نظر متعددة في فهم أو تفسير الأمن القومي ومنها:-

١- مفهوم الأمن القومي وارتباطه بالأمن الوطني (١).

أخذ أصحاب هذا الاتجاه هذا المفهوم من مصطلح الفكر القومي الأمريكي، وباختصار فقد رأى العسكريون في هذا المفهوم أن الأمن القومي يعني القدرة العسكرية على حماية الدولة والدفاع عنها في حال وجود عدوان خارجي، أما السياسيون فاعتبروا أن الأمن القومي : هو مجموعة المبادىء التي تفرضها أبعاد التكامل القومي في نطاق التحرك الخارجي، أما علماء الاجتماع فيرون أن الأمن القومي : يمثل قدرة الدولة على حماية قيمها الداخلية من أي تهديد خارجي، وهذا يعني أن الأمن القومي يقترن بوجود أو عدم وجود الدولة.

٢- الأمن القومي مطلب قومي(٢).

يركز الباحثون العرب في الاتجاه على الفكرة القومية رغم غياب الدولة العربية الواحدة من جهة ، ووجود أقطار عربية تسودها مجموعة تناقضات من جهة أخرى ، وهنا تمثل فكرة الأمن القومي قدرة الأمة العربية من خلال نظامها السياسي الواحد- إن وجد- على حماية الكيان الذاتي العربي، وحماية القيم

التاريخية العربية المادية والمعنوية بشكل مباشر أو غير مباشر، من خلال الوسائل الاقتصادية والسياسية والعسكرية.

٣- الأمن القومي العربي بديل للأمن الاقليمي(٣).

تركز هذه الفكرة على إطار الأمن العربي المشترك، بحيث يكون الأمن العربي مرادفاً للأمن الإقليمي ، وهذه الفكرة أكثر شيوعاً بين الدارسين لقضايا الأمن القومي، حيث يرى بعض الباحثين أن الأمن القومي العربي ينطبق عليه مفهوم الأمن الاقليمي، لأن المفهوم يضم أكثر من دولة في الاقليم الجغرافي العربي، حيث الروابط فيما بين هذه الدول متينة.

وفي رأينا أن الفكرة الثالثة، أو فكرة الأمن القومي العربي بديل للأمن الاقليمي، هي أكثر الأفكار خطورة على الأمن القومي العربي، وذلك لتداخل الاقليم العربي مع من حوله، والقول بذلك يخلط الحابل بالنابل ، كما أنها لاتشكل بديلا بل تابعا ، لأن هذه الفكرة تحتاج إلى وحدة عربية تامة شاملة ، قيادتها السياسية والعسكرية واحدة ، ويصعب ذلك في ظل المعطيات المتوفرة ، أما الفكرتان الأولى والثانية فهما أقرب إلى الواقع الحالي للأمة العربية ، ويمكن اختيار واحدة منهما ، أو أخذ الأنسب التي تتلاءم مع الواقع العربي الحالي .

ثانيا :مرتكزات الأمن القومي العربي :

يرى كثير من الباحثين أن مفهوم الأمن القومي العربي غير مستقّر، ولذلك هناك من يقول: "إن الأمن القومي العربي هو مجموعة الاجراءات التي يمكن أن تتخذ للمحافظة على أهداف وكيان وأمان المنطقة العربية في الحاضر والمستقبل، مع مراعاة الإمكانات المتاحة وتطويرها، أي استغلال المصادر الذاتية للأمة العربية، وجعلها الأساس في بناء القدرة وإدراك المتغيرات التي تحدث من حولنا وفي داخلنا" (٤).

وهذا يعني أن الأمن القومي العربي مشروع شمولي يحتاج إلى عمل دائم وخطة متواصلة ، ويمكن القول :إننا نحتاج إلى المرتكزات التالية:-

١- المرتكزات السياسية:-

إن من أهم قضايا الأمن وشروط الموازنة في العلاقات الدولية، ضرورات الأمن الخاص بالدولة ، والدول المجاورة، وكذلك الإقليم، وأن ما يحدد السياسة العربية هو إمكانية مساندتها لاستراتيجية الأمن القومي بمكوناتها، وذلك عن طريق الضغط أو التحوّل الحقيقي في سياسة الدول الأخرى لصالح الأمن القومي العربي ، وما يعبّر عن ذلك أن تكون السياسة العربية عبر المسار الصحيح والموحد للمصالح والأعداء (٥).

إن العناية بالأمن القومي العربي، تستدعي العناية بالأمن العربي الداخلي ، الذي يقوم على الاستقرار السياسي والاجتماعي في أي قطر من الأقطار العربية، وهذا يكون من خلال تعزيز الديمقراطية الاجتماعية والسياسية، والمشاركة الجماهيرية في القرار السياسي، وتقليص الفوارق الاجتماعية من خلال تحقيق التنمية العربية الشاملة والمستدامة (٦).

٢- المرتكزات العسكرية:-

في ظل التفكك العربي والتجزئة الحالية، والدفاعات العربية الواهية - رغم إمكاناتها الكبيرة - لابد من توفير دفاع عربي ، في إطار استراتيجية أمنية عسكرية، قائمة على مناطق دفاع إقليمية خاضعة لقيادة عسكرية موحدة، وذلك من أجل التغلّب على المصاعب المادية والموضوعية ، التي تحول دون المساندة والتعاون بين الأقطار العربية في مجال الدفاع العسكري ، الناجم عن فقدان القدرة العربية على الحشد العسكري السريع - بسبب تشتت القدرة العسكرية في مواجهات مختلفة - لمواجهة أي خطر يهدد أي قطر أو جبهة عربية (٧).

٣- المرتكزات الاقتصادية: يلعب الاقتصاد دوراً مهماً في أي استراتيجية، إذ يشكل أحد العوامل الأساسية في خدمة الاستراتيجية ، وخاصة في بعديها العسكري والاجتماعي، ويرى باحثون :إن المجال الاقتصادي يشمل ما يلي (٨):-

أ- القدرة الاقتصادية للدولة ومدى توافر المواد الغذائية، من مصادر محلية أو صديقة، أو مدى قدرة الدولة على تأمينها مادياً أو أمنياً، بمعنى الإفلات من أشكال الحصار الاقتصادي، ومدى توفر الموارد الطبيعية (طاقة- معادن- ثروات طبيعية- مياه- غابات- أنهار- بحار... ألخ)، ويمكن أن لا يتوفر ذلك

في دولة واحدة ، ولكن تستطيع مجموعة الدول العربية أن تكمّل بعضها البعض، فتخلق ما يسمّى التكامل الاقتصادي.

ب- المؤثرات على العنصر الاقتصادي، وتشمل فروع الاقتصاد من زراعة، صناعة، تجارة، وتكنولوجيا متاحة محلياً أو مستوردة، والاستهلاك، والتضخم، ومعدل التنمية وغير ذلك من العوامل، وهذه العوامل أو المؤثرت تستطيع الدول العربية أن تتفادى النقص في هذا الجانب ، حيث أن الثروة متوفرة في أقطار عربية، والعقول والأيدي العاملة في أقطار أخرى، والقدرة الانتاجية ، وسهولة المواصلات بين الدول العربية، مما يؤدي إلى بروز قوة اقتصادية منافسة للشرق والغرب.

٤- المرتكزات الثقافية (٩):-

تلعب الثقافة دوراً مهماً في الاستراتيجية القومية، من حيث التاريخ الثقافي للأمة ، وقيمها الحضارية والثقافية ومدى إسهامها الحضاري والإنساني في مجال الثقافة العالمية، أو محيطها الإقليمي، لأن هذه العوامل تشكل الروح القومية للأمة، ويقوم التعليم ومؤسساته العلمية من جامعات ومدارس مقام الأساس للقاعدة الثقافية للدولة، ونسبة المتعلمين، وقدرة التعليم على تحقيق التنمية الروحية والثقافية، وإسهامه في تقوية الدولة والأمة ، مما يؤدي إلى صنع المناعة الثقافية والفكرية للأمة ، أي تمييز شخصيتها الفكرية لا باعتبارها أمة معزولة بثقافتها، بل بتكاملها مع الآخر ، وقدرتها على الإفادة والاستفادة في محيط إنساني يأخذ من الثقافة العالمية ويعطيها دون تعصب أو تمييز، أي الإيمان بحوار الثقافات وتفاعلها الإنساني، وليس صراع الثقافات أو الحضارات ، وتدمير بعضها للآخر، كما يروج بعض الباحثين الأمريكيين، وغيرهم من الذين يدعون إلى هيمنة الثقافة الرأسمالية الغربية، وخاصة الأمريكية على العالم.

٥- المرتكزات الاجتماعية (١٠):-

وتضم مجموعة من العوامل التي تكوّن الأمن الاجتماعي للدولة، وتعكس درجة الوعي الاجتماعي للمواطن باعتباره كائناً سياسياً، ومدى ممارسة المواطن لحقوقة السياسية والاجتماعية ، وشكل المؤسسات الاجتماعية القائمة التي تعكس

تطور المجتمع، ومدى علاقة هذه التنظيمات في ممارسة الحقوق السياسية، وشكل الهرم الاجتماعي للدولة، والشعور بالسلام الاجتماعي والطبقي، وحقوق المواطن في التعليم والصحة والعمل، ومدى تطور القوانين التي تحمي المواطن وحقه في التقاضي، ومدى علاقة البيئة القومية والوطنية والتناسق بينهما، وعلاقة كل ذلك بالأمن القومي للدولة.

ثالثا :التحديات التي تواجه الأمن القومي العربي :

هناك مجموعة من التحديات التي تواجة الأمن القومي العربي، أما أهم هذه التحديات التي تواجه الوطن العربي - من حيث الجغرافيا- فهي :-

١- التحدي الصهيوني الاسرائيلي .

يرى الصهيوني أرنون سوفير "أن هناك أهمية كبيرة لموقع أرض اسرائيل على الجسر البري الذي يربط ثلاث قارات: إفريقيا وآسيا وأوروبا، وعلى المستوى الإقليمي تمثّل اسرائيل إسفيناً بين جزئي العالم العربي في قسمه الشمالي، و قسمه الجنوبي" (١١).

لذلك يرى باحثون أن اختيار فلسطين موقعا لقيام وطن قومي لليهود ، هو عبارة عن دراسة استعمارية دقيقة ، وأن الدول الاستعمارية أفرزت - عبر تاريخها الطويل- عدداً من الخبراء في تحديد أهم النقاط الاستراتيجية في العالم، وقد لعب البابوات ورجال الدين الكبار دوراً أساسياً في هذا المجال ، ولم يخرج موقع اختيار فلسطين عن ذلك، أي عن إطار التخطيط، وإنما كان في صلبه وجوهره، فلم يتم ذلك الاختيار - كما يرى باحثون - على أساس عقيدة دينية نسبت إلى التوراة، حيث الدعوة إلى الأرض الواقعة بين النيل والفرات، وهذا كما - يرى هؤلاء - لا يمكن التسليم به كسبب تاريخي ديني ، يجيز اغتصاب أرض وقتل أهلها وتشريدهم، بل هو ذو دلالة واضحة على أهمية موقع فلسطين وقربها من البحر، وموقعها المفصلي بين المشرق العربي ومغربه، حيث يمكن اتخاذ هذا الموقع موطناً والتوسع بعد ذلك من مكان لآخر(١٢).

و يقع الأردن وسط المشرق العربي، حيث حدوده الطويلة مع الكيان الصهيوني، التي تعتبر فاصلاً لهذا الكيان عن بقية أقطار المشرق العربي الذي تقع شرق الأردن وجنوبه، حيث الثروة والطاقة، وطموحات التوسع الصهيوني.

٢- التجزئة العربية.

ورد في حديث بن غوريون عندما خاطب ضبّاط الهاغاناه، بعد توقيع إتفاقية الهدنة، بين الدول العربية والكيان الصهيوني ما نصّه : "إن ما تحقق لنا من نصر تاريخي عظيم للشعب اليهودي كله، كان أكبر مما تصورناه وتوقعناه، ولكن إذا كنتم تعتقدون أن هذا النصر قد تحقق بفضل عبقريتكم وذكائكم فإنكم على خطأ كبير، إنني أحذركم من مخادعة أنفسكم، لقد تمّ لنا ذلك لأن أعداءنا يعيشون حالة مزرية من التفسخ"(١٣).

وقد مرّت فترة على الأمة رفعوا فيها شعارات الوحدة العربية ، والأمن القومي العربي، و الدفاع العربي المشترك، وقد جاءت هذه الشعارات غير منسجمة مع حروب كثيرة أهمها حرب حزيران ١٩٦٧، وحرب تشرين ١٩٧٣، وأخراج المقاومة الفلسطينية عام ١٩٨٢ من لبنان، ومحاولة اجتياح لبنان عام ٢٠٠٦، فالكيان الصهيوني والذين يدعمونه من الغرب الاستعماري هم من يقف وراء الفتن المذهبية والطائفية والعرقية، ومن الغريب أن قومية الصراع العربي الصهيوني تفتتت بعد معاهدة كامب ديفيد مع مصر، وإتفاقية أوسلو مع منظمة التحرير الفلسطينية، ومعاهدة وادي عربة مع الأردن (١٤)، حيث رأى الأردن أنه الحلقة الأضعف في هذا الصراع، والتهديد الصهيوني له مستمر بتحويله وطناً بديلاً على إثر مفاوضات السلام، ولأنه الأقرب إلى كيان صهيوني متفوق عسكرياً، وحدوده الأطول فارتأت سياسته الخارجية أن توقيع معاهدة وادي عربة كي تحمي جغرافية الأردن .

٣- الخلافات العربية العربية.

مع وجود نظام إقليمي عربي ضعيف تقوده مؤسسة جامعة الدول العربية الضعيفة أيضا ، وتخلّف هذا النظام عن ملاحقة الأحداث والمتغيرات في الوطن العربي ، لم يخلُ النظام العربي من ظاهرة الخلافات العربية العربية ، حتى

بلغت أحيانا إلى حدّ الإنفجارالمسلح، وذلك على مسألة الحدود الوهمية، حيث كرّست فلسفة الدولة القطرية ، وخلقت خلافات بين العرب ، وخلاف حول الحدود مع دول الجوار الجغرافي ، ومشاكل المياه ، وما يمكن أن تثيره من نزاعات في المستقبل بين الدول العربية، أو بينها وبين جيرانها في الإقليم (١٥).

ولعلّ غزو الكويت من قبل العراق عام ١٩٩٠ كان العلامة الفارقة في العلاقات العربية العربية ، حيث انقسم العرب إلى ثلاثة أقسام ، فهناك دول اعتبرت تحرير الكويت من قبل الولايات المتحدة عدوانا على الأمة العربية ، وبعضها تحفظ على ذلك ، وآخرون ساندوا الولايات المتحدة في حرب تحرير الكويت، مما أدى في النهاية إلى تدهور المشهد العربي وحصار العراق واحتلاله عام ٢٠٠٣ من قبل الولايات المتحدة وأعوانها، وهو ما انعكس سلباً على مشروعات التكامل العربي في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية (١٦).

وقد بلغ تأثر الأردن - كموقع جغرافي مجاور للعراق من الغرب - إلى حد كبير لتلك الأحداث التي مرت، حيث تعرّض للحصار الاقتصادي، وطُرد آلاف الأردنيين من وظائفهم من الدول الخليجية، وتكبّد الأردن خسائر اقتصادية هائلة، حيث عاد إلى الأردن ما يقرب من نصف مليون أردني عامل في تلك الدول، بالإضافة إلى وقف إمدادات النفط والتشدد السعودي على الحدود الأردنية مع الأردنيين ، ووقف المساعدات الخليجية التي كانت تتدفق على الأردن في تلك الفترة.

٤- الأطماع الدولية في السيطرة على الوطن العربي.

ويعني ذلك أن ملفات القضايا العربية أصبحت بأيد غير عربية ، بمعنى أن الدول العربية أصبحت مسلوبة الإرادة ولا تملك زمام أمورها ، فجميع الملفات السياسية المهمة من المشرق إلى المغرب لا تستطيع البتّ فيها (١٧)، حيث تحولت الصورة إلى تدخل مباشر في شؤون الأمة العربية من المحيط إلى الخليج، وهذه حقيقة نعيشها ولا يمكن إنكارها، وهي ليست جديدة بل قديمة لأنها متعلقة بمكانة الوطن العربي الاستراتيجية وأهميته، وبالثروات التي يمتلكها ، والتي كانت سببا للصراع الدولي ، واحتلال العراق خير دليل على ذلك (١٨)،

وما تبعه من الآثار السلبية على الأمن القومي العربي، حيث أدّى ذلك إلى ازدياد الاعتماد العربي على الولايات المتحدة في حل قضاياه الأمنية ، وتغيّر بذلك مفهوم الإدراك لمصادر الأمن القومي العربي ، إضافة إلى تراجع القضايا الأساسية للأمة العربية نتيجة تزعزع الإرادة القومية (١٩).

من هنا تأثرت الجغرافيا الأردنية سلباً بما يجري حولها ، سواء ما يجري في العراق من عدم استقرار، واقتتال يومي وهو جار الأردن من جهة الشرق، أم ما يجري في سوريا الجار الشمالي من حرب أهلية في الصراع بين السلطة والمعارضة المسلحة ، حيث يتدفق اللاجئون من كلا الجهتين إلى الأردن، مما يؤثر على الموارد الطبيعية الأردنية، وعلى الاقتصاد ، ومنافسة هؤلاء للمواطنين الأردنيين في سوق العمل ، وارتفاع مؤشر الحياة نتيجة العرض والطلب .

٥- التهديدات الإقليمية المجاورة للأمن العربي.

تتأثر البلاد العربية بما يحيط بها من دول، وهذا التأثير ناجم عن ضعف بناء منظومة الأمن العربي ، حيث تحاول كل دولة ترى في نفسها القدرة على تحقيق أطماعها في هذا الوطن الكبير، التدخل في شؤونه الداخلية عبر مصالح اقتصادية أو عسكرية، أو إيديولوجية ، وذلك من أجل تحقيق مصالحها من خلال التدخل في الدول القريبة منها، أو التي تستطيع الوصول إليها، فمثلاً يعاني الوطن العربي في المشرق من التحديات المتمثلة في إيران وهي تحديات تهدد الأمن في الخليج العربي وبخاصة بعد نفوذها المتزايد في العراق، وفيما يجري من اقتتال داخل سوريا، ولبنان ، إضافة إلى التواجد الأجنبي على شكل قواعد عسكرية في الخليج العربي، والعراق، للولايات المتحدة بشكل خاص ، التي هي حليف عضوي واستراتيجي لدولة الكيان الصهيوني، التي تشكل خطراً حقيقياً على بلدان الخليج العربي وشعوبها، ولذا فإن ربط أمن الخليج بالولايات المتحدة، يشكل تهديداً للأمن القومي العربي (٢٠)، أما في بلاد الشام فالتحديات الإقليمية تتمثل في تركيا وإيران والولايات المتحدة والكيان الصهيوني، ناهيك عن رياح التغيير الدموي التي تهب على البلدان العربية ، أو ما سمّي الربيع العربي (٢١).

والأردن يقع في بؤرة هذا التوتر المحيط به ، حيث يشتدّ عليه التأثير يوماً بعد يوم ، وذلك لوجود الكيان الصهيوني غربه، وهو أحد التهديدات الحقيقة للجغرافيا الأردنية، وما يجري من عدم استقرار في لبنان، والحرب الأهلية الدائرة في سوريا، والاقتتال وعدم الاستقرار في الشرق من جهة العراق ، وظهور قوى بأسماء مختلفة جعلت من العراق وسوريا ساحة قتال بينها وبين قوى التحالف ضدها ، كما أن عدم استقرار الخليج من التهديدات الإيرانية يؤثر على الأردن بشكل مباشر لأن حدودها مشتركة مع الجزيرة العربية من الشمال .

وبناء على ما تقدم ، نرى أن مفهوم الأمن القومي العربي - وإن بدأ واضحاً - غير قابل للتطبيق في ظل هذه الظروف التي يمّر بها الوطن العربي ، ولأن التهديدات تنصبّ على هذا الوطن من كل حدب وصوب، بسبب الأطماع في موقعه الاستراتيجي وثرواته الهائلة، ولذلك لن يترك الوطن العربي في حاله إلاّ إذا كانت الإرادة العربية للتغيير قوية ومتماسكة من المحيط إلى الخليج، فالقوى الطامعة بخيراته ، والتهديد الكامن في قلبه من الكيان الصهيوني، وعلى حدوده من الشرق والشمال والغرب والجنوب، بحاجة إلى إرادة أمة قوية، تتمسك بحريتها ووحدتها، بحيث لاتدع للطامع مكاناً في أرضها، ولا لمن لا يعمل من أجل هذه الأمة، التي تفرقّت وتشرذمت، وأصبح الاقتتال ديدنها من أجل السلطة، والإدبار عن قضايا الأمة منهجها، ونسي هؤلاء العبر والتجارب من التاريخ التي مرّت بها هذه الأمة، كذلك نسوا أنهم في موقع استراتيجي على خريطة الكرة الأرضية والكل يحسدهم عليه، فلو قدّر لهذه الأمة أن تقف على قدميها فلديها الجغرافيا التي هي قلب العالم القديم والحديث، ولديها الثروات التي تستطيع أن تتحكم بالعالم من خلالها، ولديها العقيدة التي سادت أكثر من ألف سنة، وهذه كلها مكونات أمة عظيمة، يخافها القاصي والداني أن تسيطر على العالم .

نتائج الدراسة :

إنّ الجغرافيا الأردنية في ظل هذه الظروف تأثرت بما جرى ويجري من أحداث في نطاق الجغرافيا العربية ، فهي تواجه واقعا يحتّم عليها أن تدرس قراراتها في السياسة الخارجية بعناية فائقة ، فلم يعد محيطها في الإقليم العربي

مستقرا ، بالإضافة للوجود الصهيوني ، ولذلك فإن سياستها الخارجية تتعرض لضغوط تجاوزها يشكل صعوبة بالغة ، إضافة إلى الوضع الداخلي الذي يعاني منه الأردن ، خاصة الوضع الاقتصادي الذي بات يهدد الأمن الداخلي ، لكن الأكثر تأثيرا على الجغرافيا الأردنية والديموغرافيا ، مايجري عسكريا بين الجيش الإسرائيلي والمقاومة الفلسطينية في قطاع غزة والضفة الغربية ، والذي يجري في محيطها السوري والعراقي والوطن العربي بأكمله .

تستطيع الجغرافيا الأردنية أن تلعب دورا مهما من خلال بناء جسور التواصل بين عرب افريقيا وعرب آسيا ، ولهذا يمكن استغلال الجغرافيا الأردنية لأنها تشكل عائقا وصمام أمان أمام إسرائيل ، ومنعها من الوصول لمنابع الطاقة وهذا يعكس جانبا ايجابيا لأثر الجغرافيا الأردنية

المراجع

(١) عطا محمد صالح زهرة ، الأمن القومي: العمل العربي المشترك، المستقبل العربي،بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، عدد ٩٤، ١٩٨٤، ص١٦-١٩.

- علي الدين هلال ، الأمن القومي العربي: دراسة في الأصول، مجلة شؤون عربية، عدد (٣٥) سنة (١٩٨٤)، ص٢١.
- حامد عبد الله:vfdu نظرية الأمن القومي ، دوريات أفاق عربية ، العدد ٣ ،أيلول، ١٩٨٥ ، ص ١٩.

(٢) أمين هويدي ، فجوة الأمن القومي العربي، مجلة الفكر الاستراتيجي العربي، العدد الأول، تموز ١٩٨١، ص٥٧.

(٣) عبد المنعم المشّاط ، الأزمة الراهنة للأمن القومي العربي، الفكر الاستراتيجي العربي عدد (٦،٧) سنة (١٩٨٣)، ص١٤٥- ١٤٨.

(٤) أمين هويدي، فجوة الأمن القومي العربي، مرجع سابق، ص٥٧.

- عدلي حسن سعيد ، الأمن القومي العربي وإستراتيجية تحقيقه، القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٧٧ ، ص ٤٦.

(٥) علاء طاهر ، الخصوصية الاستراتيجية للعالم العربي، القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٢، ص١٤- ١٨.

(٦) عبد المنعم المشّاط ، نظرية الأمن القومي العربي المعاصر، القاهرة : دار الموقف العربي، ١٩٩٨، ص٢٧- ٢٨.

(٧) زكريا حسن ، العرب إلى أين؟، القاهرة : منشورات المكتب المصري الحديث،١٩٩٦، ص٤٥٧.

(٨) عيسى درويش ، العالم العربي وآفاق المستقبل، الاسكندرية : جامعة الاسكندرية، ١٩٩٦، ص٩.

(٩) نعيم ابراهيم الظاهر ، بناء القوة الأردنية ودورها في الأمن القومي العربي: دراسة في الجغرافيا السياسية، مجلة علوم إنسانية، السنه (١٦)، العدد (٤٠)، ٢٠٠٩، ص٢٧- ٢٩.

- عيسى درويش، ركائز الاستراتيجية في الأمن القومي ، مجلة الفكر السياسي ، عدد مزدوج الرابع والخامس ، ١٩٩٨-٩٩٩ ، ص٥٨-٥٩

(١٠) نعيم ابراهيم الظاهر ، مرجع سابق، ص ٢٨.

- نظام عزت العباسي ، الحركة الصهيونية العسكرية و تهديد الأمن القومي العربي، مجلة آفاق عربية ، العدد ٣ ، سنة ١٩٨٥ ،ص ١٢٨

(١١) صالح زهر الدين، مشروع اسرائيل بين الديمغرافيا والنفط والمياه،بيروت :المركز العربي للأبحاث والتوثيق،١٩٩٦، ص٥٣- ٥٤.

- محمد عقله المومني ، السياسة المائية للكيان الصهيوني :دراسة في الجغرافية السياسية ، عمان : (ب .ن) ،١٩٨٩ ، ص ١٤.
- إبراهيم العابد ، مدخل إلى الإستراتيجية الصهيونية، بيروت : مركز الأبحاث ، ١٩٧١، ص ٢٦.

(١٢) محمد محيي المهيمص ، المتغير الجغرافي للنزاع العربي الاسرائيلي، مجلة آداب المستنصرية، العدد (٤٧)، السنة ٢٠٠٧، ص١٢.

(١٣) عبدالغفارشاكر وآخرون ، تحديات المشروع الصهيوني والمواجهة العربية، القاهرة : مطبعة مدبولي، ٢٠٠١، ص٤٤.

(١٤) محمد محيي المهيمص ، المتغير الجغرافي للنزاع العربي الاسرائيلي، مرجع سابق، ص١٥.

(١٥) احمد فؤاد ابراهيم المغازي ، واقع الأمن القومي العربي وتحدياته المختلفة، مركز أسبار للدراسات والبحوث والإعلام، شهر شباط ٢٠١٢، ص١٤- ١٥.

(١٦) احمد فؤاد ابراهيم المغازي ، واقع الأمن القومي العربي وتحدياته المختلفة، مرجع سابق، ص١٤- ١٥.

(١٧) أحمد يوسف ونيفين مسعد، حالة الأمة العربية: رياح التغيير، مجلة المستقبل العربي، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١١، ص٣٤.

(١٨) صالح بن محمد الختلان ، السياق الدولي للاصلاح السياسي في الوطن العربي، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد (١٩)، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨، ص٢٩.

(١٩) محمد حسّون ، الاستراتيجية التوسعية لحلف الناتو وأثرها على الأمن القومي العربي، دمشق : مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد (٢٦)، العدد (٢)، ٢٠١٠، ص٣٦٦. ، - صباح تومـا اجبوري ، التحدي الصهيوني ومستلزمات المواجهة ، آفاق عربية، ١٩٨٦ ،ص ٢٨.

- عبد الحميد عارف ، التسلح النووي للكيان الصهيوني ، مجلة أفاق عربية،١٩٨٥، ص٤١ .

(٢٠) http://www.Aljazeera.net. ،٢٠١٢/١/١

(٢١) احمد فؤاد ابراهيم المغازي ، واقع الأمن القومي العربي وتحدياته المختلفة، مرجع سابق، ص١٤.

- ماهر طاهر ، النظام الإقليمي العربي في مواجهة الاستراتيجيات المضادة ، مركز البحوث العربية ، القاهرة : مكتبة مد بولي ، ١٩٩٩ ، ص ١٥٣-١٤٩.

دراسات

التطرف والتنمية؛ تأثير البيئة الاجتماعية والاقتصادية على التطرف: حالة الأردن

الأستاذ الباحث

ابراهيم خرايبة

ابراهيم غرايبة
باحث في مركز الدراسات الاستراتيجية
الجامعة الأردنية
ibrahim.gharaibeh9@gmail.com

Received: 1/ 3/ 2024
Revised: 15/ 3/ 2024
Accepted: 27/ 3/ 2024
Published: 25/ 4/ 2024

التطرف والتنمية؛ تأثير البيئة الاجتماعية والاقتصادية على التطرف: حالة الأردن

Extremism and development; The impact of the social and economic

الملخص:

تهدف الدراسة إلى التعريف المنضبط بالتطرف و بمفاهيم متصلة به مثل التعصب والقسوة والكراهية، وملاحظة العلاقة بين الاتجاهات العامة للمواطنين نحو التطرف واتجاهاتهم العامة نحو الثقة والرضا بالحكومة والمؤسسات الحكومية والمجتمعية، والعلاقة بين المتطرفين (الذين يظهرون في الاستطلاع تأييدا للتطرف والمتطرفين) وبين الثقة والرضا بالحكومة والمؤسسات، والعلاقة بين المتطرفين (الذين يظهرون في الاستطلاع تأييدا للتطرف والمتطرفين) وبين حالتهم الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية. وأخيرا الإجابة على سؤال "هل يمكن مواجهة التطرف بالتنمية؟ وماذا يمكن أو يجب عمله في هذا المجال؟" استخدمت الدراسة منهجية وصفية وتحليلية باستخدام المصادر النظرية والدراسة المسحية الكمية والنوعية للاتجاهات والأفكار المتصلة بموضوع الدراسة، وخلصت إلى **نتائج وتوصيات**؛ منها: تعزيز الاتجاهات والمؤسسات المجتمعية باتجاه احتياجات حقيقية للناس لتوفير وتحسين الخدمات والاحتياجات وبمشاركة عامة وواسعة، وزيادة ولاية المواطنين أفرادا ومجتمعات في إدارة وتنظيم الخدمات والاحتياجات والعلاقات الأساسية في العمل والجيرة ومؤسسات العمل الاجتماعي مثل الأندية والمكتبات والحدائق العامة، والعمل لأجل كبار السن والمرضى والمعوقين وحماية المستهلك والمشروعات التعاونية الإنتاجية والربحية.

كلمات مفتاحية: التطرف. التنمية. العمل الاجتماعي. التنظيم الاجتماعي. علم اجتماع الثقافة

Abstract:

The study aims to provide a structured definition of extremism and related concepts such as bigotry, cruelty, and hatred. It observes the relationship between citizens' general attitudes towards extremism and their general attitudes towards trust and satisfaction with the government, governmental institutions, and civil society institutions. It also examines the relationship between extremists (those who express support for extremism) and their trust and satisfaction with the government and institutions, as well as their socioeconomic and educational status. Finally, it addresses the question: "Can extremism be countered through development? And what can or should be done in this regard?"

The study employed a descriptive and analytical methodology using theoretical sources and quantitative and qualitative survey studies to explore trends and ideas related to the study topic. It concluded with results and recommendations, including: promoting societal attitudes and institutions towards the genuine needs of people to provide and improve services and necessities with broad public participation. It advocates for increased citizen empowerment in managing and organizing services, needs, and basic relationships in work, neighborhoods, and social work institutions such as clubs, libraries, and public parks. It also emphasizes working for the elderly, the ill, the disabled, consumer protection, and cooperative productive and profitable projects.

Keywords: Extremism, Development, Social Work, Social Organization, Sociology of Culture.

إطار نظري ومفاهيمي

مقدمة

صعد التطرف الديني منذ سبعينات القرن العشرين، وصحبته موجات من الكراهية والعنف التي تحولت إلى متوالية من العمليات الإرهابية والردّ عليها، ثم إلى صراعات وحروب أهلية طاحنة عصفت بكثير من الدول والمجتمعات، واستنزفت موارد هائلة، ونشأت في الوقت نفسه بطبيعة الحال عمليات واسعة للمواجهة والدراسة والفهم.

تجادل هذه الدراسة أن التطرف يعكس عجز المنظومة الاقتصادية والاجتماعية عن تحقيق المشاركة والانتماء والثقة والرضا لدى الناس الذين يعيشون في ظلها. وتشير إلى العلاقة بين ظاهرة التطرف والفشل الاقتصادي والسياسي وهشاشة الدول والمجتمعات وغياب المشاركة الاقتصادية والاجتماعية.

فالأمم والأفراد تسلك وتنظم نفسها باتجاه بقائها وتحسين بقائها. ثم تبحث عن المعنى والجدوى. لكن التقدم الاقتصادي والوفرة في المعرفة والموارد لا تعمل تلقائيا، إذا لا يمكن حماية هذا الإنجاز إلا بمنظومة اجتماعية وثقافية جديدة ملائمة من المدن والمجتمعات التي تجد المعنى والجدوى في الارتقاء بنفسها وحريتها.

تركز الدراسة هنا على التطرف الديني مع الإقرار بأن التطرف مفهوم وسلوك يشمل كثيرا من الجوانب السياسية والأيديولوجية غير الدينية.

مشكلة الدراسة ومنهجيتها

تحاول الدارسة أن تجيب على الأسئلة التالية:

١- ما العلاقة بين الاتجاهات العامة للمواطنين نحو التطرف واتجاهاتهم العامة نحو الثقة والرضا بالحكومة والمؤسسات الحكومية والمجتمعية؟
٢- ما العلاقة بين المتطرفين (الذين يظهرون في الاستطلاع تأييدا للتطرف والمتطرفين) وبين الثقة والرضا بالحكومة والمؤسسات؟

٣- ما العلاقة بين المتطرفين (الذين يظهرون في الاستطلاع تأييدا للتطرف والمتطرفين) وبين حالتهم الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية
٤- هل يمكن مواجهة التطرف بالتنمية؟ وماذا يمكن أو يجب عمله في هذا المجال؟

استخدمت الدراسة منهجيات نوعية وكمية قائمة على المقابلات الوجاهية لعينة ممثلة من المناطق المستهدفة، وجمع بيانات عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي. في منهجية المسح الاجتماعي بالعينة التي استخدمتها الدراسة أمكن التعرف على آراء المستجيبين حول المواضيع محل الاهتمام (التدين، الإرهاب، التطرف، الخدمات، الثقة). وتم اخذ عينة حجمها ٣٠٠ مستجيب أعمارهم ١٨ عام فأكثر من كل منطقة، حيث كان المجموع الكلي للمستجيبين ٢٦٩٨ مستجيب. واستخدمت استبانة كأداة قياس تشمل البيانات السكانية، والرضا عن الوضع الاقتصادي، والثقة بالمؤسسات والأشخاص، ووضع المرأة، والخدمات والحياة المدنية، والتطرف.

أهداف الدراسة وأهميتها

تهدف هذه الدراسة الى التعرف على ظاهرة التطرف ومقارنتها بمؤشرات التنمية والرضا والثقة والاندماج الاجتماعي، ويمكن بذلك بناء اقتراحات واستنتاجات تزود مصممي السياسات ومتخذي القرارات في مواجهة التطرف. و يمكن من خلال هذه الدراسة:

١- ملاحظة عوامل الاتجاه سلبا أو إيجابا من التطرف والعنف.
٢- توثيق العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية الخاصة بالمجتمع والتي تساهم في هذه الظاهرة.
٣- المساهمة في تطوير سياسات عامة تستوعب المعطيات الواقعية للتنمية والاتجاهات نحو التطرف والرضا والثقة
٤- اقتراح أفكار وسياسات لمواجهة التطرف من خلال التنمية.

ما التطرف؟

تبدو بعض جوانب ومفاهيم التطرف واضحة ومجمع عليها، مثل العنف المرتبط بالأيديولوجيا أو الانتماء إلى جماعات مصنفة على أنها إرهابية او متطرفة محظورة؛ لكن للتطرف أبعاد ومفاهيم أخرى كثيرة سلمية فكرية وسلوكية قد لا تكون محظورة قانونيا أو سياسيا، وهذا النوع من التطرف هو المستهدف بشكل رئيسي في هذه الدراسة، إذ لا يتوقع الإحاطة إحصائيا أو مسحيا بالتطرف العنيف أو المحظور، فلا يتوقع أن يفصح هؤلاء المتطرفون عن هويتهم واتجاهاتهم، وإن كان ثمة إجابات تؤشر إلى تأييد وتعاطف مع الجماعات والأفكار "العنيفة"

برغم الاستخدام الواسع في الإعلام والبحث لمفاهيم الاعتدال والتطرف فإنها مفاهيم في الأدبيات العربية تبدو غير محددة أو غير متفق عليها، حين يتجاوز البحث والتعريف الاتجاهات العنيفة والمحظورة، وقد تكون هذه التصنيفات موضع اختلاف وجدل، ففي حين يمكن الاتفاق على اعتبار جماعات مثل داعش والقاعدة متطرفة وإرهابية، فإن جماعات دينية أخرى مثل "الإخوان المسلمون" وحزب التحرير والجماعات السلفية السلمية، أو أفكار واتجاهات دينية غير مرتبطة بجماعة سوف تكون موضع جدل واختلاف في اعتبارها متطرفة من وجهة نظر فكرية أو قانونية أو سياسية، وبعضها يصنف تطرفا وإرهابا في دول، لكنها في دول أخرى متقبلة ولا تعتبر متطرفة.

يأتي التطرف في قواميس اللغة العربية بمعنى الابتعاد (https://shorturl.at/cvGJ6) وفي قاموس أكسفورد بمعنى الزيادة (https://shorturl.at/foAGS) وهو معنى ملائم لفهم التطرف، وربما يشبه أو يقابل مفهوم "الغلو" وفي القرآن الكريم "قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم" (النساء، ١٧١) بمعنى الزيادة في الدين والتشدد، ويأتي الغلوّ في اللغة بمعنى مجاوزة الحد والإفراط، والحقد والكراهية "ونزعنا ما في صدورهم من غلّ" (الحجر، ٤٧)، والقيود "غلت أيديهم" (المائدة، ٦٤) وسوء الخلق، ومنه أيضا الغلاء في الأسعار بمعنى الزيادة فيها، وغلت الدابة في سيرها؛ أي جاوزت حسن السير. (https://shorturl.at/cgNR5)

في جميع الأحوال فإن التطرف هو رفض المختلف والآخر، وفي ذلك فإنه يولد العنف والكراهية، وفي هذا التعريف تندرج الحركات والجماعات التي تتبنى أفكارا ومطالب سياسية أو قومية أو دينية أو اجتماعية أو طبقية أو جنسانية (الجندر) قائمة على رفض الاختلاف والتنوع والتعددية.

يعرف خطاب الكراهية بالدعوة إلى الانحياز والتفضيل أو العداء والنفور على أساس الجنسية أو العرق أو الدين أو الإعاقة أو اللون أو الثقافة. وتعرف جرائم الكراهية باعتبارها أعمالا إجرامية تحرضها دوافع تعصبية والتي تحصل عندما يستهدف مرتكب الجريمة ضحية بسبب انتمائها إلى فئة اجتماعية معينة كالجنس أو الانتماء العرقي أو الإعاقة أو اللغة أو الدين أو الهوية. (تايلور، ٢٠١٥)

يمكن اقتراح تعريف التطرف الديني بأنه فرض اعتقادات وممارسات دينية على الناس أو محاسبتهم عليها وإكراههم على الترك أو الاعتقاد بمسائل دينية. والتمييز بين المواطنين على أساس الدين في الحقوق والمكاسب والتشريعات. وبناء مشاعر وأفكار ومعتقدات تمييزية سواء في التفضيل والانحياز او الكراهية والاشمئزاز والرفض على أسس دينية. واستخدام العنف بدوافع دينية خارج القانون والمؤسسات القضائية، وفي هذه الحالة يكون التطرف إرهابا.

في عالم "التطرف الإيديولوجي" تنشئ المبادئ الدينية أو الايديولوجية اعتقادا بحق كل صاحب فكرة أن يتحرك لفرضها على الناس أو محاسبة الناس على أساسها، من دون اعتبار لاحتمالات الصواب والخطأ لدى الذات أو لدى الآخر، ومن دون اعتبار لدور المؤسسات والقوانين الناظمة لحياة الناس وعلاقاتهم؛ ففي سعي صاحب كل فكرة لتطبيقها على الآخرين ومحاسبتهم على أساسها، يتحول الفهم الديني أو الاجتماعي أو السياسي إلى صراع وعنف اجتماعي، يمتد إلى الأسر والزملاء والأصدقاء والجيران والأقارب، وبخاصة مع مفاهيم وأفكار ومقولات من دون تمييز في أهميتها وصحتها ومستواها ومعناها تشجع على الغضب والمفاصلة والكراهية بسبب الاختلاف في الرأي والفكر والمعتقدات.

يظهر التطرف الاستقطاب بين الأفراد في حياتهم الاجتماعية، ليس فقط في التنظيمات الدينية، وإنما في كل التجمعات. وتكون مواجهة التطرف في التنوع

والتعدد لحياة الأفراد والشعوب. إن الجماعات تنشئ سلوكا جمعيا موحدا مختلفا عما يمكن أن يسلكه الفرد، يصدق ذلك على جماعات المراهقين، والأصدقاء، والجماعات الدينية المتطرفة والإرهابية، والمعارضين السياسيين، والنقابات العمالية، والأحزاب السياسية، وحركات التحرر، ويعتبر هذا من أفضل وأسوأ ما يصيب الحياة الاجتماعية بسبب ديناميات الجماعات التي يقتنع بمقتضاها أعضاء الجماعات بالأفكار والاتجاهات الجديدة. (سينشتاين، ٢٠١٤)

القسوة

القسوة كما تعرفها أستاذة علم النفس بجامعة اكسفورد؛ كاثلين تايلور سلوك ذاتي متعمد غير مبرر يسبب الأذى والمعاناة والألم لشخص بريء أو لا يستحق ذلك، وغالبا ما يكون لا يثير الاستنكار أو الرفض تجاه مرتكبي الفعل في أوساط وجماعات ودول معينة، وقد تتضمن القسوة عدوانا جسديا أو إهانة وإيلاما تجعل المستهدفين يعانون حسيا أو نفسيا أو معنويا. والقسوة مفهوم أخلاقي، فمن يقدم على إيذاء الغير لا بد أن يبرر أفعاله. (تايلور، ٢٠١٥)

تشمل القسوة كل المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بشرور الإنسان من غير مبرر، مثل الكراهية والتعصب والتطرف والإرهاب والحرمان والتمييز العنصري بسبب الدين أو اللغة أو اللون أو الجنس او الهوية، والحقد والظلم. وربما يكون تعبير "القسوة" هو الأكثر دقة في وصف الشرّ الإنساني وإن كانت الكلمة مألوفة ومستخدمة على نطاق واسع مختلف عن مقصودها، إذ "القسوة" أكثر دقة وشمولا من "الوحشية" فالوحشية تتضمن سلوكا غريزيا بعضه مبرر ومفهوم، أو "الإرهاب" لأنه يقتصر على فعل العنف وإن كان مستمدا من الكراهية والتطرف، وأكثر شمولا من "الكراهية" لأنه مفهوم يقتصر على المشاعر والمواقف النفسية والفكرية والأيديولوجية ولا يصف الأفعال والممارسات.

التعصب

يعني التعصب الامتلاء بالشعور بالصواب والحق، وأن الآخر مخطئ وباطل، وعدم القدرة على إدراك وملاحظة معقولية أو احتمال معقولية الآخر، وخطأ أو احتمال خطأ الذات.

الظلم

يعني الظلم في لسان العرب وَضْع الشيء في غير موضِعه، والظُّلْم المَيْلُ عن القَصد، والظالمون هم المانِعونَ أهْلَ الحُقوقِ حُقُوقَهم. ويأتي الظلم أيضا بمعنى المعاملة القاسية، وعدم الإنصاف، وضدّ العدل. (https://shorturl.at/nvI57)

الظلم المقصود هنا هو الممارسات والأفكار والمعتقدات والمشاعر التي تتقبلها ثقافات وأعراف سائدة وتتواطأ عليها بعض المجتمعات، مثل العبودية، والاتجار بالبشر، وإساءة المعاملة، والتمييز، والعنصرية، والاستبعاد الاجتماعي، والتهميش والحرمان، والتعذيب.

ويشمل الظلم أيضا الكائنات الأخرى غير البشرية، مثل الحيوانات والطيور والنباتات والطبيعة والبيئة والهواء، فكل ما له روح وفيه حياة ويتألم لا يجوز إيقاع الألم به، وكذلك ما يؤدي إلى الإضرار بالطبيعة والبيئة وحياة الناس، مثل التلوث، وإفساد الأرض والجو والماء بالفضلات والملوثات والغازات السامة، أو الاعتداء على الغابات والمرافق العامة.

إن المساواة في الحياة المعاصرة تقوم على التطبيق العملي والواضح للعدل كمؤشر صادق للاندماج الاجتماعي والاقتصادي لجميع المواطنين والمقيمين، على مستوى الإنتاج والاستهلاك والعمل والتفاعل الاجتماعي، وبطبيعة الحال فإن الظلم هو الاستبعاد والحرمان من المشاركة.

بدأ الاهتمام بالاستبعاد الاجتماعي بملاحظة آثار البطالة والحرمان من الضمان الاجتماعي والرعاية الصحية، ثم اعتبرته الأمم المتحدة بأنه الحرمان من الحقوق الاجتماعية والمدنية، كالتعليم والصحة والعمل، وتؤكد الأمم المتحدة في مواثيقها وتقاريرها على خطورة التمييز على التنمية والسلم الاجتماعي، ومنها على سبيل المثال الفروق بين الذكور والإناث أو بين الفئات الاجتماعية في الفرص والمعاملة والميراث والتعليم والصحة، فاللامساواة لست خطأ فقط، لكنها كما يؤكد تقرير الأمم المتحدة للتنمية الإنسانية (٢٠١٨) مصدر خطر، يمكن أن يغذي الكراهية والتطرف، ويقوض أسس التنمية الشاملة والمستدامة للجميع، وتلحق ضررا بالغا بالتماسك الاجتماعي، وبدأت الأمم المتحدة منذ العام ٢٠١٠

تصدر في تقريرها السنوي مؤشرات رقمية حول اللامساواة في العالم معتبرة إياه مؤشرا على التنمية والتقدم. وركزت نقاشات الأمم المتحدة كما في التقرير السنوي لعام ٢٠١٧ على التفاوت في الدخل بين السكان، وأشارت إلى تقرير منظمة أوكسفام الدولية والذي ذكر أن ثمانية رجال يملكون ثروة تساوي ما يملكه ٣٠٦ مليار شخص هم النصف الأفقر من البشرية. وأن ٨٢ في المائة من ثروات العالم يملكها أعنى واحد في المائة من الناس.

الحال أن فكرة الاستبعاد الاجتماعي هي إعادة تسمية للفقر، إذ لم يعد يعرّف بنقص المال فقط، لكن بنقص القدرة، أو كما يقول أمارتيا سن "فقر القدرة" من الواضح اليوم أن ثمة علاقة بين التهميش وبين الأعمال والموارد التي يحوزها الإنسان" أو كما يصف البنك الدولي الفقر بأنه العجز عن إسماع الصوت والتأثير في السياسات والإنفاق العام.

تعاني مجتمعات كثيرة من التمييز الطبقي أو الاجتماعي، وبسبب هذه السياسات والثقافات تتعرض فئات واسعة من الناس للاستبعاد والظلم، مثل السود في مجتمعات ذات أغلبية من غير السود، والسكان الأصليون في بلاد غلب عليه المهاجرون المستوطنون مثل السكان الأصليين في القارة الأمريكية قبل استيطانها من قبل الأوروبيين، والسكان الأصليين في أستراليا، ومازال التمييز الطبقي في الهند وجنوب آسيا راسخا برغم حظره قانونيا، وتتعرض الأقليات الدينية والإثنية في بلاد كثيرة للظلم والاستبعاد، مثل الروهينغا في ميانمار (بورما) وفئات اجتماعية مثل "الغجر"

مواجهة التطرف بالتنمية

يشير البنك الدولي إلى أن نقص الغذاء، و نقص الوظائف، وقلة التعليم، نقص الثقافة" تشكل جذور التطرف.(https://shorturl.at/eEFT2) ويذكّر أستاذ علم الاجتماع الأمريكي، ريتشارد سينيت؛ أنّ التعاون موجود في جيناتنا، لكنّه يلزمه تطويرٌ وتعميقٌ. وهذا أمرٌ يكتسب أهميةً خاصةً عندما نتعامل مع بشرٍ لا يشبهوننا؛ حيث يكون التعاون جهداً مطلوباً، والتفكير في التعاون على أنّه مسألةٌ أخلاقيةٌ، يعيق فهمنا، لكن يجب النظر إلى التعاون، ودراسته كحرفةٍ تتطلب من

البشر مهارة في الفهم، واستجابة للآخر، كي ننجح في العمل معاً. لكن يبقى التعاون حرفةً شائكةً مليئةً بالصعوبات، ويكتنفها الغموض، وتقود في أحيان كثيرة إلى عواقب هدّامة. (سينيت، ٢٠١٦)

إن الاقتصاد والموارد، والمصالح تقوم اليوم على الثقة والتسامح. هكذا، فإنّ التسامح رأسمال كبيرٍ، يطور السياحة والأسواق والعلاقات التجارية والاقتصادية، إضافةً إلى المكاسب الاجتماعية والعامة. وبغير التسامح، فإنّ الأعمال والمشروعات والمؤسسات تتعرض لنزفٍ وخسائر كبيرة.

تقتضي سلسلة الازدهار والتقدم بداهة تكريس الاعتدال والتسامح والتعددية والتنوع ومواجهة التطرف، وأن تتشكل المجتمعات حول مواردها ومدنها، ثم تنشئ منظومة اجتماعية وثقافية تستجيب استجابة صحيحة وملائمة مع الموارد والأولويات والاحتياجات الناشئة للمدن والمجتمعات تستوعب جميع فئات المواطنين وتحفزهم على المشاركة الصحيحة والنافعة، وتخرج عمليات المشاركة العامة والبحث عن المعنى والجدوى من اللجوء إلى العنف والتطرف؛ وذلك يقتضي بطبيعة الحال البحث عن الاستجابات الخاطئة في حلقات تنظيم الموارد والمدن والمجتمعات.

بالنظر إلى التطرف على أنه مؤشر اقتصادي اجتماعي فإن ذلك يساعد على تصحيح ومراقبة ومراجعة السياسات والبرامج الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والتأكد من أنها تخدم تطلعات المواطنين إلى المعنى والجدوى، وتشجعهم على الاندماج الاجتماعي والمشاركة الاقتصادية والعامة وبناء أدوات سلمية وإيجابية في العمل والتأثير، وبذلك فإنه يمكن التأكد أيضا أن المنظومات الاقتصادية والسياسية وادارة الموارد والانفاق تخدم الهدف الأساسي لها وهو التقدم والتنمية.

يمكن الاستدلال بالتطرف السائد على مجموعة كبيرة من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والمؤسسية في الدول والمجتمعات التي تعاني من التطرف أو يهددها أو يضر بمصالحها، ويمكن أيضا المجادلة بأن التطرف الأيديولوجي يعكس أزمة اقتصادية اجتماعية، فالعنف والنزاعات والصراعات الاجتماعية

والأهلية تؤشر إلى ضعف التماسك الاجتماعي والإدارة العامة، وغياب الهوية الوطنية الجامعة للناس، والمفترض أن توجه جميع الطاقات والجهود نحو العمل والإنتاج وتحسين الحياة. هنا يجب أن ننظر إلى العنف باعتباره محصلة أو نتيجة، وليس ظاهرة مستقلة. فإضافة إلى كونه مستهدفاً بذاته؛ يجب النظر إلى جذوره وسلسلة الحلقات المنشئة له، فهو أيضاً عرض أو مؤشر على الخلل في التنمية وإدارة منظومة الموارد وسلسلة العلاقات الناشئة عنها.

تشكل الثقافة بما هي وعي الذات؛ المؤشر الرئيسي للاتجاهات والسياسات في الدول والمجتمعات، كما أنها أهم مصدر يُستدل به على التقدم والفشل، والحالة القائمة والمستقبل. ففي ملاحظة وإدراك الوعي القائم لدى الأفراد والجماعات والطبقات يمكن المعرفة والتقدير أين نحن وإلى أين نمضي. ذلك أنه ما من موقف أو سياسة أو جدل أو مشروع أو برنامج إلا ويعكس الوعي المحرك والمنشئ. وفي ذلك يمكن ملاحظة كيف صعدت قضايا حقوق الإنسان والبيئة والعمارة والتلوث والتغير المناخي، أو الفقر والعمل وتحسين الحياة، أو العدالة والمساواة، أو العولمة وحريات السوق، أو المسؤولية الاجتماعية للقطاع الخاص ودور الشركات والمجتمعات في الحاكمية الرشيدة.

هكذا، يمكن الاستدلال على الاعتدال والتطرف بملاحظة سياسات التعاون والتعايش في الدول والمجتمعات، والشراكة مع العالم، والتكامل بين السلطة والمجتمعات والأسواق، ويمكن أيضاً ببساطة توقع التطرف وتقديره بمدى الفشل الاقتصادي والاجتماعي، فلا يمكن الفصل بين الفوضى والانهيار والصراعات السائدة اليوم في دول وبين حالة الشمولية والتسلط التي كانت سائدة فيها.

إن المجتمعات تتبع في علاقاتها وتجاربها القيم والأخلاق التي تنشئها أو تتواضع على احترامها، ثم تدور حولها المؤسسات السياسية والعامة أو تستهدف تغييرها وتطويرها الحركات والتيارات السياسية والاجتماعية، لكنها قيم وأخلاق يفترض أن ينشئها موقف عقلاني، فإذا لم تكن الأخلاق والقيم عقلانية، فإن السلوك السياسي والاجتماعي الفردي والجمعي يمكن أن يتحول إلى تسويات غير أخلاقية، ويزود التخلف بمبررات ومسوغات أيديولوجية أو اجتماعية وثقافية.

يلاحظ عالم الاجتماع الفرنسي آلن تورين أن فئة من النخب أو علية القوم لم يعودوا في أعلى المجتمع؛ لكن فوقه. ولم يعد المهمشون والمحرومون في أسفل المجتمع لكن خارجه. (تورين، ٢٠١١) وفي ذلك فإن هاتين الفئتين تجران المجتمعات والدول إلى لفشل والانهيار، فالخارجون من المجتمع هم في الحقيقة خارجون عليه. وإذا كان واضحا أو شائعا الحديث عن المهمشين كقاعدة اجتماعية للعنف والكراهية فإن النخب أيضا تتحول إلى جماعات خارجة.

في إجابتهما على سؤال **لماذا تفشل الأمم؟** يجد دارغون اسيموغلو وجيمس أ. روبنسن أن فشل الأمم أو تقدمها يقوم على المؤسسية التي تعمل وفقها الدولة؛ إذا كانت المؤسسات الاقتصادية والسياسية القائمة "استخراجية" تعود بالفائدة على فئة قليلة في المجتمع أو "شاملة" تنهض بمستوى المعيشة والخدمات والفرص الاقتصادية والاجتماعية لجميع المواطنين.

"المؤسسات الشاملة/inclusive" هي التي تحمي حقوق الملكية وتكافؤ الفرص وتشجيع الاستثمارات والتقنيات والمهارات الجديدة الملائمة للتطور الاقتصادي والسياسي، وتقابلها "الاستخراجية/ extractive" وهي التي تفشل في حماية الحقوق وتقديم الحوافز للنشاط الاقتصادي، وفي المؤسسات الشاملة يجري تداول السلطة السياسية، سلميا ويشارك في صياغتها جميع المواطنين، ويطبق القانون بعدالة وشمول بلا استثناء ويسود اقتصاد السوق الشامل، وفي المؤسسات الاستخراجية تتركز السلطة بيد فئة قليلة، وتدار الحوافز والفرص لصالح هذه الفئة فقط، وإذا حدث نمو اقتصادي فلا يستفيد منه اغلب المواطنين. (____ (Acemoglu, 2012

"الجميع" هي كلمة السر في التنمية. فأن يكون "الجميع" مشمولا ببرامج التنمية والخدمات الأساسية يعني المساواة والرضا الاجتماعي وتقليل الفجوة وقدرة أفضل على الانتماء والمشاركة ومواجهة الجريمة واستهداف عدم المساواة والفئات المتضررة وغير المستفيدة من الانفاق العام والخدمات الأساسية مثل جيوب الفقر وفئات محددة من والمواطنين مثل النساء والاطفال وكبار السن والمرضى والمعوقين واللاجئين والعمال الوافدين،..

إن الدولة بالتزامها نحو مواطنيها وزوارها والمقيمين فيها بالعدالة والأمن وتوفير الخدمات الأساسية والرفاه والتكافل الاجتماعي نحو جميع الفئات السكانية والاجتماعية تنشئ حالة من الاستقرار الوطني والإقليمي المشجع على السلام، ففي ظل هذا الرفاه والسلام والازدهار يجد المواطنون والمقيمون والمستثمرون والزوار والسياح وقاصدو الدولة للدراسة والعمل والمساعدة مجالا واسعا للعمل والتعاون والعيش معا والحماية من المخاطر، كما أن الاستقرار السياسي والأمني والاقتصادي بعامة يؤدي تلقائيا إلى الاستقرار الإقليمي والعالمي، والعكس صحيح أيضا فالدولة التي تواجه تحديات اقتصادية وأمنية تتحول إلى بؤرة عدم استقرار لمواطنيها والإقليم المجاور لها، بل ويمتد أثر ذلك إلى العالم، كما نلاحظ على سبيل المثال في تحديات العنف والإرهاب واللاجئين والأوبئة والقرصنة، إذ برغم أنها في منشئها وجوهرها أزمات وتحديات متصلة بدول وجماعات فإنها تتحول إلى تحديات عالمية.

تبلغ نسبة السكان الذين يعيشون دون خط الفقر في الأردن ١٣,٣ في المائة، ونسبة الاطفال غير المحصنين ٢ في المائة والاطفال الذين يعانون من سوء التغذية ٧ في المائة، وعدد الذين يتوفون بسبب تعاطي المخدرات ١,٧ لكل مائة ألف مواطن، وتبلغ نسبة الانفاق العام على الصحة ٨,٤ في المائة من الناتج المحلي، ٢٤ في المائة من الموارد الشخصية وهذا يساوي ضعف نسبة الانفاق الشخصي على الصحة في الدول الأوروبية، وتبلغ نسبة الذين يقرأون ويكتبون٩٦ في المائة وهي اكثر من ٩٩ في المائة بالنسبة للفئة العمرية ١٥ – ٢٤ ما يعني أن نسبة التعليم تزيد وسوف تصل الى مائة في المائة في المستقبل القريب. وتبلغ نسبة التسرب من التعليم الابتدائي ١,٦ في المائة.

تبدو أرقاما جيدة عند النظر إليها نظرة مطلقة، ولكن عندما نتحدث من منظور المساواة والفرص الكاملة، فإننا يجب أن نتذكر أن أكثر من مائة الف طفل يتسربون من المدارس، ١٥٠ يموتون بسبب تعاطي المخدرات، ٢٠٠ ألف طفل لم يحصلوا على المطاعيم المحصنة، وأنه يوجد في الأردن مليون فقير.
ويصاحب الشمول في الاستهداف والتغطية للأداء الاقتصادي والتنموي أو "الجميع" المناعة من الفقر والتطرف كعمليات مرافقة وواعية أو كنتيجة للتنمية،

ولم يعد جديدا او إضافة الحديث عن مجتمعات محصنة من الخطر، تملك المناعة والقدرة على مواجهة المخاطر، سواء كانت كوارث أو أزمات اقتصادية أو اجتماعية أو تطرفا وتوترا ثقافيا وأيديولوجيا. ومن البداهة القول إن مواجهة التطرف بحملات "التنوير والاعتدال" في المؤسسات الدينية والتعليمية والصحافة والمؤتمرات والندوات لا تساهم في تحقيق هدفها في غياب التنمية الشاملة إلا بقدر ضئيل لا يعول عليه.

لقد أصبح الحديث عن الفقر والتطرف يقع في متوالية البناء الاجتماعي والاقتصادي أكثر مما هو حلول وأفكار ومعونات مباشرة لأنهما (الفقر والتطرف) يأتيان في متوالية من التشكلات والنتائج والأسباب والمسببات والآثار ثم سلسلة شبكية من النتائج لا يمكن التعامل معها الا بتفكيكها.

ويقابل المنعة والشمول في الاقتصاد والتنمية الهشاشة والتهميش والاستثناء من منافع التنمية والتمييز في الخدمات والإنفاق والفرص، وفي ذلك يتشكل الفشل والتطرف أيضا، وهنا يمكن التذكير ببعض المؤشرات في التنمية والتي تشجع على توقع الفشل والتطرف، مثل استثناء كبار السن والأطفال والمعاقين، الإقصاء والتهميش، عدم المساواة، عدم شمول جميع المواطنين بالخدمات والتنمية، والضعف الفردي والمجتمعي والمؤسسي أمام الأحداث والكوارث والمناسبات، وغياب أو ضعف التكامل بين تقدم الأفراد وتقدم المجتمع، الفجوة بيننا وبين العالم، وضعف برامج وسياسات حماية المستهلك، وغياب أو ضعف الوعي بالنجاح والفشل، والعنف المجتمعي والأسري، ..

الدراسة العملية

يعتمد هذا الجزء من الدراسة على الاستطلاع الشامل الذي نفذه مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية عام ٢٠٢٢ لقياس اتجاهات المواطنين في الأردن نحو الرضا والثقة والشعور بالتميز والتطرف والتعصب والعنف، وقد استمد منها الباحث مؤشرات جداول وأداة قياس خاصة بهذه الدراسة تتفق مع طبيعتها والمساحة المخصصة لها. ذلك أن الدراسة الأصلية شاملة وواسعة.

المنهجية وخصائص عينة الدراسة

استخدمت منهجيات نوعية وكمية قائمة على المقابلات الوجاهية لعينة ممثلة من المناطق المستهدفة، وجمع بيانات عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي. في منهجية المسح الاجتماعي بالعينة التي استخدمتها الدراسة أمكن التعرف على آراء المستجيبين حول المواضيع محل الاهتمام (التدين، الإرهاب، التطرف، الخدمات، الثقة). وتم اخذ عينة حجمها ٣٠٠ مستجيب أعمارهم ١٨ عام فأكثر من كل منطقة، حيث كان المجموع الكلي للمستجيبين ٢٦٩٨ مستجيب.

استخدمت استبانة كأداة قياس تشمل البيانات السكانية، والرضا عن الوضع الاقتصادي، والثقة بالمؤسسات والأشخاص، ووضع المرأة، والخدمات والحياة المدنية، والتطرف.

جدول ١ مؤشرات عامة

المؤشر	النسبة %
اتجاهات ايجابية نحو التطرف	٦٠
اتجاهات ايجابية نحو التعصب	١٢
اتجاهات ايجابية نحو العنف	١٠
اتجاهات سلبية التطرف (المعتدلون)	١٨
الشعور بالتمييز الطائفي والديني	**17.8**
الشعور بالتمييز بناء على بلد الأصل	**42.6**
الشعور بالتمييز العشائري	**51.4**
الشعور بالتمييز بين الرجل والمرأة	**48.0**
الشعور بالتمييز المناطقي (البلدات والمحافظات والأقاليم)	**53.8**

الشعور بالتمييز بين الأغنياء والفقراء	**72.5**
TT23_32متوسط الرضى عن الخدمات	
غير راضي على لاطلاق	2%
راض بدرجة قليلة	25%
راض بدرجة متوسطة	63%
رضا بدرحة كبيرة	١٠
مستوى الرضى عن المؤسسات الحكومية والرسمية	
غير راضي على لاطلاق	1%
راض بدرجة قليلة	12%
راض بدرجة متوسطة	66%
راض بدرجة كبيرة	20%
مستوى الرضا عن المعيشة	
غير راضي على لاطلاق	2%
راض بدرجة قليلة	5%
راض بدرجة متوسطة	79%
راض بدرجة كبيرة	15%

جدول ٢ التكوين الاجتماعي لعينة الدراسة

		تصنيفات التطرف				
		لديهم اتجاهات ايجابية نحو التطرف	لديهم اتجاهات ايجابية نحو التعصب	لديهم اتجاهات ايجابية نحو العنف	ليس لديهم ميول نحو التطرف	المجموع
الجنس	ذكر	54.0%	52.1%	56.6%	31.7%	50.0%
	أنثى	46.0%	47.9%	43.4%	68.3%	50.0%
العمر	18-34	34.3%	30.0%	39.3%	41.9%	35.7%
	35-44	21.6%	22.1%	21.0%	22.8%	21.8%
	45-54	20.7%	19.6%	18.7%	15.9%	19.5%
	54+	23.4%	28.4%	21.0%	19.5%	23.0%
المستوى التعليمي للمستجيب الذي اكمله بنجاح:	اقل من ثانوي	35.1%	28.1%	35.2%	35.2%	34.3%
	ثانوي	36.2%	30.9%	36.3%	36.0%	35.6%
	اعلى من ثانوي	28.7%	41.0%	28.5%	28.7%	30.1%
العلاقة بالقوى البشريّة للمستجيب:	يعمل	33.6%	33.8%	37.8%	27.2%	32.9%
	لا يعمل	66.4%	66.2%	62.2%	72.8%	67.1%

نوع حيازة المسكن ؟	ملك	70.2%	74.4%	65.5%	66.1%	69.5%
	مستاجر	29.8%	25.6%	34.5%	33.9%	30.5%

جدول ٣ تقييم الخدمات

	لديهم اتجاهات ايجابية نحو التطرف	لديهم اتجاهات ايجابية نحو التعصب	لديهم اتجاهات ايجابية نحو العنف	المعدل العام
كيف تقييم مستوى خدمات المياه في منطقتك	60.1	63.3	58.9	60.9
كيف تقييم مستوى خدمات النفايات في منطقتك	51.8	54.6	52.9	52.9
كيف تقييم مستوى الصرف الصحي (مجاري)	56.6	60.6	52.1	57.5
كيف تقييم مستوى خدمات الكهرباء في منطقتك	69.6	70.4	69.3	69.9
كيف تقييم مستوى إنارة الطرق في منطقتك	57.2	57.8	55.9	57.6
كيف تقييم مستوى المواصلات العامة في منطقتك	52.2	54.5	50.0	52.4
كيف تقييم مستوى صيانة الطرق في منطقتك	33.8	34.0	34.0	34.9
كيف تقييم مستوى الخدمات الصحية (مركز صحي حكومي) في منطقتك	53.6	53.5	54.5	54.2
كيف تقييم مستوى الخدمات الصحية (مستشفى حكومي) في منطقتك	44.5	46.8	43.1	45.4

كيف تقييم مستوى خدمات التعليم المدرسي الحكومية في منطقتك	50.8	50.8	49.4	51.5

جدول ٤ لماذا يشارك الناس في الجماعات الارهابية؟

المؤشر	النسبة %
أسباب دينية	٨,٨
السياسات الداخلية لبلدانهم	٣,٨
أسباب اقتصادية، فقر وبطالة، ..	٢٦,٧
أسباب اجتماعية، عدم مساواة، تفاوت طبقي، تهميش واستبعاد	١٢,٢
مقاتلة عدو خارجي أو محتل (لا يشمل السؤال حركات المقاومة مثل حماس)	١,٨
تعرض لغسيل دماغ	٢٤,٧
حروب داخلية	٠,٦٦
لأنهم متطرفون	٥,١
المغامرة وإثبات الذات	٣,٤

الثقة

تبدي مؤشرات الثقة اتجاها مرتفعا إلى عدم الثقة بالناس والجيران في حين أن الاتجاهات المرتفعة للثقة تقتصر على أفراد العائلة. ويتوقع أنها اتجاهات تشجع على نشوء حالة من عدم الثقة وعدم الاندماج وعدم المشاركة، وهي اتجاهات بالطبع مرشحة لتصور بيئة مشجعة على التطرف.

الرضا

يظهر المستجيبون مستويات متفاوتة من الرضا في حين يرى ٢ في المائة أنهم غير راضين على الاطلاق عن مستوى الخدمات، ٥ في المائة راضون بمستوى قليل (هناك فروق بين المحافظات إذ أعلى اتجاهات عدم الرضا كانت في معان) ويشعر ٧٩ في المائة بدرجة متوسطة من الرضا، في حين يشعر ١٥ في المائة فقط بدرجة كبيرة من الرضا.

وقد تبدو نسبة الذين لا يشعرون بالرضا أو يشعرون بدرجة قليلة، لكنها نسبة عند ترجمتها إلى أرقام تؤشر إلى أعداد كبيرة من الناس تشعر بالسخط وعدم الرضا ولا تثق بالناس والمؤسسات

الشعور بالتمييز

يذكر ٢٧ في المائة من المجيبين أنهم تعرضوا شخصيا في حياتهم للتمييز، ويعتقد ١٨ في المائة أن هناك **تمييزا طائفيا**، ويعتقد ٤٣ في المائة أن هناك تمييزا **بناء على الأصل**، ويعتقد ٥١ في المائة أن هناك تمييزا بين **العشائر الكبيرة والعشائر الصغيرة**، ويعتقد ٤٨ في المائة أن هناك **تمييزا بين الرجل والمرأة**، ويعتقد ٧٢ في المائة أن هناك **تمييزا بين الأغنياء والفقراء.**

مؤشرات الاتجاه إلى التطرف

صنفت الاتجاهات نحو التطرف في ثلاث فئات بناء على الأسئلة الموجهة وإجاباتها

١- الاتجاهات نحو **التطرف** مستمدة من اتجاهات المجيبين إلى تطبيقات زائدة عن الحد في المجال العام بناء على معتقدات دينية واجتماعية
٢- الاتجاهات نحو **التعصب** مستمدة من إجابات المجيبين برفض احتمال صحة ومعقولية المعتقدات والأفكار الأخرى، أو عدم تقبلها، والاعتقاد بصواب الذات دون احتمال خطأ.
٣- الاتجاهات نحو **التطرف العنيف** مستمدة من الإجابة بالتأييد للجماعات العنيفة

اعتبرت الدراسة الإجابة بالتأييد والإيجاب لقضايا التطرف والتعصب اتجاها إيجابيا نحو التطرف والتعصب والعنف. ومن المؤشرات في ذلك حق المرأة في العمل والتعليم والخروج من المنزل، واللباس والميراث وتولى المناصب السياسية والقضائية والإدارية، وحرية اختيار الزوج.

ومن اتجاهات التطرف المؤشر إليها: تأييد الجماعات العنيفة مثل داعش والقاعدة، والدعوة إلى الدولة الدينية، والاعتقاد بصواب دين المستجيب وخطأ الأديان الأخرى، ورفض الآراء الدينية الأخرى، والتفسير الديني للعلم والمجال العام، والاعتقاد بالتعارض بين الديمقراطية وتطبيق الشريعة الإسلامية.

بتحليل الإجابات فقد كانت النتائج عن الاتجاهات نحو التطرف أن ٦٠ في المائة من المجيبين لديهم اتجاهات ايجابية مرتفعة نحو التطرف، ويظهر ١٢ في المائة منهم اتجاهات ايجابية مرتفعة نحو التعصب، ويظهر ١٠ في المائة اتجاهات ايجابية مرتفعة لتأييد العنف، وأما الذين ليس لديهم ميول نحو التطرف (المعتدلون) فيشكلون ١٨ في المائة فقط.

ولا شك أنها اتجاهات مرتفعة ومقلقة نحو التطرف والتعصب والعنف، وربما يكون تفسير ذلك أنها اتجاهات متقبلة في الفكر والمناهج التعليمية السائدة وأسلوب الحياة والفهم الديني والاجتماعي، وتحظى بقبول اجتماعي دون إدراك لخطورتها وعلاقتها بالتطرف؛ ما يعني أن البيئة الاجتماعية والاقتصادية السائدة تشجع على التطرف من غير إدراك مجتمعي أو رسمي لعلاقة الفكر والاتجاه الاجتماعي السائد بالتطرف، وربما يكون هناك اعتقاد سائد بأن التطرف هو المشاركة في العنف و/ أو الجماعات المحظورة، وأن الأفكار والاعتقادات المؤيدة أو المشجعة على التطرف لا تعتبر تطرفا، كما أن الاتجاهات نحو المرأة والآخر مشحونة بميراث تمييزي متقبل ومتواطأ عليه، ولم يتعرض للنقد أو التصنيف على أنه تطرف أو يشجع على التطرف.

التكوين الاجتماعي والاقتصادي

يعرض الجدول رقم ٢ التكوين الاجتماعي والاقتصادي للمجيبين مصنفين حسب اتجاهاتهم نحو التطرف ومقارنة النتائج بالاتجاه العام للمجموع، ولا تظهر النتائج فرقا يذكر بين تكوين المجموع العام وبين التكوين الاجتماعي والاقتصادي للمجيبين باتجاهات ايجابية نحو التطرف، من حيث الجنس (ذكر او أنثى) والعمر، والتعليم والعمل (يعمل أو لا يعمل) يملك مسكنا أو لا يملك.

اتجاهات المتطرفين نحو الثقة والرضا والشعور بالتمييز

تظهر الدراسة أن العلاقة بين المتجهين نحو التطرف وإجاباتهم على أسئلة الشعور بالتمييز والرضا والثقة ثم مقارنتها بالمعدل العام لنتائج الإجابات، ولا تظهر المؤشرات فروقا تذكر بين اتجاهاتهم وبين المعدل العام، ما يعني (ربما) أن الاتجاه الاجتماعي السائد للمواطنين سواء كانوا متطرفين أو معتدلين هو اتجاه مشترك، وربما يؤشر ذلك إلى أن البيئة الاجتماعية هي بيئة تشجع على اتجاهات متطرفة.

الانتماء والمشاركة والعمل التطوعي

جدول رقم ٥ مؤشرات الانتماء والمشاركة

المؤشر			النسبة
انتماء إلى اندية/روابط شبابية	لا انتمي		96%
	انتمي		4%
انتماء إلى حزب سياسي	لا انتمي		99%
	انتمي		1%
انتماء إلى منظمة إنسانية أو خيرية	لا انتمي		96%
	انتمي		4%
انتماء إلى منظمة /مؤسسة دينية	لا انتمي		97%
	انتمي		3%
انتماء إلى منظمات المجتمع المدني	لا انتمي		97%
	انتمي		3%
انتماء إلى اندية ثقافية (فن، تعليم، موسيقى)	لا انتمي		97%
	انتمي		3%

يظهر الجدول رقم ٥ اتجاهات المستجيبين للمشاركة في العمل التطوعي والأحزاب السياسية والجماعات والحركات الإصلاحية والأندية والمنظمات الاجتماعية والثقافية والدينية والنقابات المهنية والعمالية، وهي اتجاهات تعكس عزوف وغياب شبه كامل في هذا الجانب، إذ أن ٩٦ في المائة من المستجيبين لا ينتمون إلى أندية أو روابط شبابية، ٩٩ في المائة لا ينتمون إلى الاحزاب السياسية، ٩٦ في المائة لا ينتمون إلى منظمات إنسانية وخيرية، ٩٧ في المائة لا ينتمون إلى جماعات دينية، ٩٩ في المائة لا ينتمون إلى اتحادات عمالية، ٩٧ في المائة لا ينتمون

إلى منظمات المجتمع المدني، ٩٧ في المائة لا ينتمون إلى جمعيات ثقافية وفنية، ٩٨ في المائة لا ينتمون إلى حركات وأنشطة تطالب بالإصلاح.

مؤكد أن ثمة علاقة بين الاتجاه إلى الضعف الكبير في المشاركة او عدم المشاركة العامة وبين الاتجاهات إلى التطرف والتعصب، وبرغم أنه يصعب اختبار هذه العلاقة في حالة وجود المشاركة العامة، بمعنى أننا لا نستطيع الجزم لو كان ثمة مشاركة عامة وعمل تطوعي وبرامج رياضية وثقافية ألا يكون هناك تطرف، لكن ما يبدو في هذا الدراسة انه هناك ترافق بين الظاهرتين: التطرف والعزوف عن الانتماء والمشاركة او عدم وجود فرص لهذه المشاركة.

خاتمة

تبدي نتائج الدراسة بوضوح أهمية نوعية الحياة ومهاراتها لأجل تحسين الاتجاهات الإيجابية لدى المواطنين نحو القيم والفضائل الاجتماعية مثل الثقة والتعاون والانتماء والمشاركة والتواصل الاجتماعي والتطوع، وهي اتجاهات وقيم يصعب بناؤها وتنميتها بجهود نظرية وتوعوية مجردة، لكنها أسلوب حياة يتشكل من خلال التعليم والتماسك الاجتماعي واستهداف واضح ومباشر لقيم واتجاهات الرضا والتكامل الاجتماعي.

تتطابق نتائج الاستطلاع مع الدراسات النظرية حول التطرف والتي تؤكد على أن التطرف والاعتدال يعكسان البيئة الاقتصادية والاجتماعية المحيطة بحياة الناس وأعمالهم وعلاقاتهم، وفي ملاحظة اتجاهات المواطنين نحو الثقة والرضا والشعور بالتميز والتطرف بقيت النتائج متشابهة ففي المؤشرات العامة لمجتمع الدراسة أظهرت الدراسة الاستطلاعية أن هناك اتجاهات عالية في المجتمع نحو الشعور بالتمييز وعدم الثقة وعدم الرضا، وفي ملاحظة اتجاه "الميالين إلى التطرف

والتعصب" نحو الثقة والرضا والشعور بالتمييز كانت المؤشرات قريبة من ا لمعدل العام.

أظهرت الدراسة أن الاتجاهات نحو التطرف والتعصب سائدة وغالبة وتمثل ثقافة واتجاهات مقبلة ومتواطأ عليها، لكن النتيجة الصادمة للاستطلاع أن نسبة لا يستهان بها (١٠ في المائة) من المواطنين تؤيد جماعات العنف مثل القاعدة وداعش.

النتائج والتوصيات

لم تظهر الدراسة مؤشرات أو اتجاهات لوعي التطرف والتمييز بينه وبين الاعتدال لدى مجتمع الدراسة، ومن المرجح أن الاتجاه العام يمكن أن يتقبل التطرف والتعصب، أو لا يرى بأسا في ذلك إن كان سلميا، أو لا يعتقد أنه خطأ يجب تغييره، لكن من المؤكد أن جميع الناس يدركون أن جماعات القاعدة وداعش تمارس العنف، ومن الواضح أن عددا من المواطنين لا يرون هذا العنف خطأ أو تطرفا خاطئا، ولم تحلل الدراسة ميدانيا أسباب هذه الاتجاهات، لكن من المحتمل نظريا أنها اتجاهات مرتبطة بالعداء للولايات المتحدة وإسرائيل و/ أو الانحيازات المذهبية والطائفية التي تبرر العنف أو تتغاضى عنه.

وتظهر الدراسة بوضوح مواضع نقص في التعليم والوعي العام الجمعي والاجتماعي لقيم ومهارات الحياة والعيش معا والمواطنة والمساواة، ما يستدعي بداهة والضرورة التوصية ببرامج تعليمية وتدريبية في المدارس والمجتمعات والجامعات ومؤسسات العمل لاكتساب مهارات العمل معا والتعاون والاستماع والحوار وبناء وجهات النظر والقدرة على ملاحظة واستنتاج الخطأ والمعقولية دائما لدى الآخر، والتحرر من الكراهية حتى مع الاختلاف أو العداء.

وتحتاج المناهج التعليمية النظرية والعملية والصفية واللاصفية إلى مراجعة وتطوير لملاحظة مدى ما يمكن أن تزود بها الطلاب على نحو خفي وغير مقصود بقيم التعصب والكراهية والتطرف والانحياز، وفي المقابل الاعتدال والتعاون والحوار والتنوع.

مؤكد أن اتجاهات الرضا والثقة مرتبطة بدرجة كبيرة بمستوى الخدمات الحكومية في العدل والامان والتعليم والصحة والتكافل الاجتماعي والمرافق العامة والخدمات، لكن ثمة ما يمكن عمله واقتراحه لتتمكن المجتمعات من بناء قيم الثقة والتعاون وتوسعتها من حدود ضيقة (العائلة) إلى جميع أفراد المجتمع، فمن غير قدرة الناس على العيش معا مختلفين ومتنوعين لن تمتد قيم الثقة إلى تطبيقات عملية تحسن حياة الناس، وفي ذلك تقترح الدراسة تعزيز الاتجاهات والمؤسسات المجتمعية باتجاه احتياجات حقيقية وعميقة للناس لتوفير وتحسين الخدمات والاحتياجات وبمشاركة عامة وواسعة، وزيادة ولاية المواطنين أفرادا ومجتمعات في إدارة وتنظيم الخدمات والاحتياجات والعلاقات الأساسية في العمل والجيرة ومؤسسات العمل الاجتماعي مثل الأندية والمكتبات العامة والحدائق والعمل لأجل كبار السن والمرضى والمعوقين وحماية المستهلك والمشروعات التعاونية الإنتاجية والربحية.

يوافق الباحث أنها أفكار واقتراحات تقليدية وبديهية لكنها بالغة الصعوبة والتعقيد في تطبيقها وإنجاحها إذ تحتاج إلى تغيير عميق ومتراكم في ثقافة العمل وأسلوب الحياة وتنظيم الموارد والأعمال، ومن المتوقع الردّ بالقول إن مشروعات كثيرة جرى تطبيقها وتمويلها في هذا المجال، لكن ليس ثمة خيار للتفكير والاقتراح سوى التأكيد على التوسع في هذه البرامج ومتابعتها للتأكد من أنها تعمل بالاتجاه الصحيح، وأنها تستوعب جميع المواطنين، لأنها بغير ذلك تزيد أزمة الثقة والرضا والشعور بالتمييز.

لم يظهر في الدراسة إمكانية لقياس العلاقة بين الاتجاه إلى التطرف والتشابه في الحياة والعلاقات والعمل والانتماءات والأفكار، وإن كانت الدراسات والملاحظات العيانية تؤشر إلى ذلك بوضوح، فالجماعات (في العمل والحياة والانتماء) تميل إلى التطرف، ومن المعتاد أن ينتهي أعضاء الجماعة الذين يتشاورون فيما بينهم إلى مواقف متطرفة داخل الاتجاه العام للجماعة نفسه أكثر مما كانت عليه ميولهم قبل أن يبدأ هذا التشاور. في المقابل فإن التنوع والاختلاف في الجماعات يعزز الاعتدال والتعاون والثقة.

لقد أظهر التحليل والمراجعة مجالات كثيرة غائبة تحتاج إلى دراسة وقياس، ولذلك تقترح هذه الدراسة إجراء المزيد من الدراسات النظرية والمسحية لمزيد من الإحاطة والمعرفة بظاهرة التطرف وعلاقتها بالتنمية، ويمكن التوسع في الدراسة النظرية لتشمل علم النفس وبيولوجيا السلوك ثم بناء أدوات قياس وأدلة تفكير عملي ومسوحات أكثر تخيلا وشمولا لعلاقة التطرف بالاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية وعلم السلوك النفسي والاجتماعي، ويمكن أيضا التفكير في دراسات تجريبية لملاحظة واختبار فرضيات العلاقة بين التطرف والتنمية، وهناك حاجة ملحة لدراسات مسحية أكثر عمقا وشمولا تستهدف الفئة التي تؤيد جماعات العنف.

وفي العلاقة بين الانتماء والعمل التطوعي والاجتماعي وبين اتجاهات التطرف تتأكد احتياجات دراسية أكثر مما أظهرت هذه الدراسة لملاحظة الاتجاهات أو مراجعة اداء المؤسسات الطوعية، والمشكلة الأكثر صعوبة أن المؤسسات الطوعية والاجتماعية قليلة ومحدودة الإمكانيات، وتعاني هي نفسها من القصور، وتحتاج إلى مراجعة وتطوير لتكون قادرة على بناء وتعزيز قيم وفضائل المشاركة والثقة والرضا وتساعد في التماسك الاجتماعي.

إن التطرف ظاهرة أكثر تعقيدا مما يبدو، ونأمل أن تكون هذه الدراسة مؤسسة لمجموعة مستمرة من الأعمال والدراسات للتعرف أكثر على فرص الفهم والمواجهة.

المراجع

تايلور، كاثلين (٢٠١٥) القسوة: شرور الإنسان والعقل البشري. ترجمة فرودوس عبد الحميد البهنساوي. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

تقرير الأمم المتحدة للتنمية الإنسانية، ٢٠١٨

تقرير البنك الدولي عن التنمية في العالم، ٢٠١٩

تورين، آلن (٢٠١١) براديغما جديدة لفهم عالم اليوم. ترجمة جورج سليمان. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

سينتشتاين، كاس.ر (٢٠١٤) الطريق إلى التطرف: اتحاد العقول وانقسامها، ترجمة سميحة نصر دويدار. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

سينيت، ريتشارد (٢٠١٦) في مواجهة التعصب، التعاون من أجل البقاء. ترجمة حسن بحري. بيروت: دار الساقي

غرايبة، إبراهيم (٢٠٢١) التطرف: التكوين المعرفي في الفهم والمواجهة، عمان: مركز الدراسات الاستراتيجية، الجامعة الأردنية

فوكوياما، فرانسيس (٢٠١٥) الثقة: الفضائل الاجتماعية وأثرها على الرخاء الاقتصادي. ترجمة معين الإمام. الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية

مـــــاكلو، ميشـــــيل، إ (٢٠١٥) التســـــامح: النظريـــــة والبحـــــث والممارســـــة - تحريـــــر: ميشـــــيل إ. مـــــاكلو/ كينـــــث آ. بارجمنـــــت/ كـــــارل إ. ثورســـــين. ترجمـــــة: عبير محمد أنور. القاهرة: المركز القومي للترجمة

Acemoglo,Daren& Robinson James (2012) Why Nations Fail, The Origins of Power, Prosperity, and Poverty

دراسات

السياسة البريطانية في البحر الأحمر (١٧٩٨-١٨٠٢م)

الأستاذة الدكتورة

هند فخري سعيد

Received: 25/ 12/ 2023
Revised: 17/ 1/ 2024
Accepted: 7/ 2/ 2024
Published: 25/ 4/ 2024

أ.م.د هند فخري سعيد
كلية التربية الأساسية
جامعة الموصل
dr.haindfakhry@gmail.com

السياسة البريطانية في البحر الأحمر (١٧٩٨-١٨٠٢م)

British policy in the Red Sea (1798-1802)

الملخص: ركزت السياسة البريطانية في الفترة (١٧٩٨-١٨٠٢) على العمل في مجالين لتوطيد نفوذها في البحر الأحمر ولوقف المد الفرنسي، فكان لبريطانيا سياستها الدبلوماسية والعسكرية لتأمين مصالحها ومراقبة أي تحرك فرنسي على هذين المجالين وصده. وكذلك كان لها سياستها الاقتصادية التي رسمت بوضوح في الفترة (١٨٠١ – ١٨٠٢) من خلال الجهود التي بذلتها شركة الهند البريطانية في عقد المعاهدات التجارية مع الزعماء العرب المتنفذين على سواحل البحر الأحمر لتتماشى والجهد الدبلوماسية والعسكرية المبذولة لحماية المصالح البريطانية على طول سواحل البحر الأحمر وصولاً الى مناطق نفوذها في القارة الهندية.

الكلمات المفتاحية:
البحر الاحمر، نابليون، شركة الهند الشرقية البريطانية.

Abstract: British policy in the period (1798-1802) focused on working in two areas to consolidate its influence in the Red Sea and to stop the French tide. Britain had its own diplomatic and military policy to secure its interests and monitor and repel any French movement in these two areas.

It also had its economic policy، which was clearly drawn up in the period (1801-1802) through the efforts made by the British India Company in concluding trade treaties with the influential Arab leaders on the coasts of the Red Sea to be consistent with the diplomatic and military efforts made to protect British interests along the coasts of the Red Sea all the way to Its areas of influence in the Indian continent.

Key words:

The Red Sea، Napoleon، the British East Indian company.

المقدمة:

تناولت هذه الدراسة حقبة تاريخية مهمة من السياسة البريطانية في الشرق ومرحلة من مراحل التنافس البريطاني الفرنسي في البحر الأحمر والتي تمثلت بالغزو الفرنسي على مصر وهو أشد محطة من محطات التنافس بينهما ومثل البحر الأحمر جزء مهماً من المخطط الفرنسي لضرب المصالح البريطانية وتحجيمها في الشرق.

كان الهدف وراء الكتابة في هذا الموضع هو ابراز ما كان يمثله البحر الاحمر من أهمية في السياسة البريطانية باعتباره الشريان الحيوي لأي دولة اوربية تحاول اقامت نفوذ لها في الشرق وغلق الطريق امام اي دولة اوربية اخرى ممكن ان تهدد ذلك النفوذ.

تحددت الدراسة في اطار السياسة البريطانية في البحر الاحمر للفترة (١٧٩٨ – ١٨٠٢) بمقدمة توضح أهمية الموضوع وسبب اختياره وما تناوله من مباحث، ومن ثم مدخل او تمهيد بسيط يوضح وعي السياسة البريطانية تجاه التطلعات الفرنسية نحو البحر الأحمر، ومن ثم مبحثين، ركز الاول على السياسة الدبلوماسية والعسكرية في البحر الأحمر (١٨٩٧ – ١٨٠٢) ليشمل الجهود الدبلوماسية المبذولة وما رافقها من تحركات عسكرية كانت ضرورية لتأمين المصالح البريطانية في البحر الاحمر بوجه التطلعات الفرنسية. أما المبحث الثاني فقد تناول الجانب الاقتصادي من السياسة البريطانية في البحر الاحمر والتي اتضحت صورته خلال الفترة (١٨٠١ – ١٨٠٢) بدور شركة الهند البريطانية في عقد المعاهدات التجارية مع الزعماء والحكام العرب المتنفذين على سواحل البحر الاحمر، ختمت الدراسة بخاتمة فيها أهم الاستنتاجات .

التمهيد:

إرتابت بريطانيا من السياسة الفرنسية وإمكانية توجيه نشاطها نحو البحر الأحمر منذ وصول نابليون بونابرت (١٧٦٩ – ١٨٢١) الى مصر ١٧٩٨، حيث

ادركت خطورة المحاولة الفرنسية للاتصال بالهند، فسعت للحيلولة دون وصول قوة حربية فرنسية اليها عن طريق البحر الأحمر.(١)

غير أن بريطانيا لم تقم خلال العامين الأولين (١٧٩٨ – ١٧٩٩) بأي اجراء عسكري جدي لطردهم وأكتفت بتحريض العثمانيين على القيام بتلك المهمة. لكنها سعت لسد السبل بوجه الفرنسيين اذا ما توجهوا بحراً نحو الجنوب بعد ان ضمنوا محدودية حركتهم في البحر المتوسط(٢)، واتخذوا في سبيل ذلك جملة اجراءات.

المبحث الأول : السياسة الدبلوماسية والعسكرية البريطانية في البحر الأحمر (١٧٩٨ – ١٨٠٢)

اصدرت شركة الهند الشرقية البريطانية الاوامر بتشديد الرقابة على أي اجنبي وبخاصة الفرنسيين الذين قد يصلون الى الهند، ومنع اتصالهم بالقوى المحلية للقيام بنشاط تخريبي ضد ممتلكات شركة الهند الشرقية وان يتم اعتقالهم وارسالهم الى لندن (٣). سعت بريطانيا الى ربط القوى المحلية في المنطقة بعجلة السياسة البريطانية (٤) قبل وقوعها تحت تأثير سياسة بونابرت الذي سعى بدوره لجذبهم الى جانبه لمساندته في مخططه (٥). استفادت بريطانيا من علاقتها مع شريف الحجاز غالب بن مساعد (١٧٨٨-١٨١٧) وذلك لقرب الحجاز من مصر على الساحل المقابل من البحر الأحمر وتحكمه بموانئ المنطقة (٦) وكان الشريف قد ابدى استعداده للتعاون مع بريطانيا وابلغها بتحركات الفرنسيين، وقد ابلغهم بان الفرنسيين كانوا يتولون جمع القوارب والحيوانات في السويس للتهيؤ لعمل عسكري لاحق (٧)

وجدت السلطات البريطانية الفرصة مواتية لربط سلطان مسقط باتفاق موجه ضد فرنسا وقطع أي أمل للفرنسيين بالتقرب منه وعقد اتفاق معه (٨). بعد ان أخذت بالتهيؤ لمواجهة أي تقدم فرنسي (٩) فأرسلت شركة الهند البريطانية بعثة مهدي علي خان أحد موظفي الشركة من الفرس للتفاوض مع امام مسقط سعيد بن سلطان (١٧٩٨-١٨٠٤). (١٠) الذي تمكن من توقيع معاهدة في ١٢ أكتوبر ١٧٩٨م تعهد فيها ابن احمد بعدم السماح بانشاء وكالة فرنسية في مسقط وطرد جميع الرعايا الفرنسيين وانشاء وكالة بريطانية في بندر عباس وابقاء حامية

بريطانية لا تزيد عن ٧٠٠ جندي مع منح بريطانيا الامتيازات التي تتمتع بها الدولة العثمانية[١١]. بذلك ضمنت بريطانيا تأمين حماية سفنها التجارية والحربية التي ستبحر في البحر الأحمر كما الحقت باتفاقية اخرى تكميلية في يناير ١٨٠٠. [١٢]

لم تقف السياسة البريطانية عند هذا الحد بل كانت الخطوات اللاحقة أكثر جدية وفاعلية. فقد حث (داون Dawndes) وزير الحربية البريطانية البحرية على إرسال وبأسرع وقت ممكن اسطولاً خفيفاً من ثلاث سفن الى مدخل البحر الأحمر من اجل اعتراض سفن النقل الفرنسية التي قد ترسو في السويس ومواجهة أي طارئ، واعلن بان مصير الامبراطورية قد يعتمد على وصول الاسطول في الوقت المناسب [١٣]. خاصة بعد الصدام الذي حصل بين احد المراكب الفرنسية ومركبين للبريطانيين عند ميناء عدن بعد استيلاء الفرنسيين على مصر. [١٤]

تمثلت الاستراتيجية البريطانية اللاحقة في البحر الأحمر في اختيار النقاط الاستراتيجية التي يهمها الاستيلاء عليها دون الاهتمام بضيق الرقعة او اتساعها، لذا اختارت الجزر اليمنية لأنها تأتي في مقدمة جزر البحر الأحمر من ناحية الأهمية والموقع بالنسبة لباب المندب الذي اتخذته بريطانيا مفتاحاً وقاعدة هجوم في البحر الأحمر في صراعها مع فرنسا[١٥]. قامت شركة الهند الشرقية البريطانية بنشاط واسع النطاق للسيطرة على المراكز الاستراتيجية في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر للوقوف بوجه أي محاولة فرنسية للوصول الى الهند [١٦] ولحماية جهودها الرامية لتنشيط التجارة المتبادلة مع سواحل البحر الأحمر.[١٧]

في ١٨ نوفمبر ١٧٩٨ اتخذت اللجنة السرية لمجلس المديرين التابع لشركة الهند الشرقية قراراً باحتلال جزيرة ميون (بريم) [١٨] التي تقسم مضيق باب المندب وتسيطر على الملاحة فيه [١٩] لتحصينها واغلاق البحر الأحمر بوجه أي نية لدى الفرنسيين لمد سيطرتهم على المنطقة الجنوبية من البحر الأحمر، ولتأمين حماية عسكرية فعالة للخطوط البحرية البريطانية التي تمر بموازاة الساحل العدني جنوب مضيق باب المندب. [٢٠]

تحركت قوة بحرية من بومباي في شهر ابريل قوامها (٣٠٠) جندي يقودها الكولونيل جون موراي John Murray[٢١] يسانده اسطول يقوده الكابتن بلانكيت Blanket ونزلت الفرقة في بريم في ٣ مايو ١٧٩٩ لكنهم سرعان ما أنسحبوا منها بعد ان بقيت الحامية البريطانية قرابة عامين. [٢٢]

بعد ان واجه الكولونيل موراي الكثير من المتاعب، كتب الى حكومة بومباي يخبرها بأن من المستحيل على بطارية الساحل ان تتحكم بالمضايق الواسعة وان السفن يمكنها المرور بعيداً عن مرمى المدافع [٢٣] بعكس التقارير التي ذكرت ان الشعاب والمرتفعات كانت تجبر السفن على الاقتراب من الجزيرة لتفادى خطر الاصطدام [٢٤]. كما زاد من صعوبة المهمة رداءة الاحوال الجوية في تلك الجزيرة وفقدان الماء العذب فيها [٢٥] رغم أنهم قاموا ببناء صهاريج للمياة إلا انها لمتفي بالغرض، وقد استغل سكان القرية المواجهين للجزيرة الموقف فكانوا يجلبون الماء من الساحل العربي على زوارقهم ويبيعونه للجنود، وبعد فترة قليلة توقفوا، فكتب الكولونيل موراي الى القنصل البريطاني في المخا يطلب منه ارسال الماء، وهنا برزت المشكلة من جديد فقد كان بحارة القرى الساحلية يطلبون نقوداً معدنية ولايقبلون ورق نقد ولا تحويلات مالية مقابل نقلهم الماء من المخا الى بريم ولما صرف القنصل كل ما معه من نقود امتنع البحارة عن نقل الماء [٢٦]. فطلب موراي المساعدة من قائد الاسطول الكابتن بلانكيت، فذهبت فرقة بحرية الى ساحل الصومال والحبشة لكنها فشلت في الحصول على الماء فأضطر بلانكيت الى تقديم جزء من مخزون اسطوله، لكن سرعان ما نشب نزاع حاد بين القائدين على طريقة نقل الماء فرفع بلانكيت مسؤوليته عن تموين جنود الجزيرة بالماء.[٢٧] إلا ان تطورات الاحداث في المنطقة انقذت موقف الجنود في الجزيرة، تلاشت احتمالات التقدم الفرنسي نحو الجنوب، وزال الخطر الفرنسي عن المنطقة كلها واخذت توقعات انسحابه من مصر تتضح [٢٨] فلم يعد هناك موجب لبقائه في الجزيرة كاجراء احترازي لأي تقدم فرنسي [٢٩]. لم تكن جهود موراي هي الجهود العسكرية البريطانية الوحيدة في البحر الأحمر فقد نفذ جزء مهم من هذه الجهود الاميرال جون لاكيت Joun Lacite الذي غادر ميناء بورتسموث في ٩ يوليو ١٧٩٨ [٣٠] باسطول مكون من السفينة ليوبارد Leopard وقبطانها ت – ساردج T.Sardej والسفينة ديدلوس

Dedalosوالسفينة أوريستيس Orestes [٣١] وكان هدفه حراسة البحر الأحمر [٣٢] وفرض حصار على الموانئ المصرية والوقوف مبكراً على اية تحرك فرنسي في البحر الأحمر. [٣٣]

وبسبب العواصف التي اجتاحت المحيط الهندي تاخر وصول بلانكيت الى هدفه، أضطرت حكومة بومباي الى اتخاذ الاجراءات السريعة لغرض الرقابة على الطرق البحرية بين البحر الأحمر وسواحل الهند، فأصدر الاميرال راينز Raeenirzقائد البحرية في الهند امره الى ابن اخيه الكابتن رانينر Ranenar بالتوجه على متن سفينة البحرية الملكية سنتوريون Centurion الى البحر الأحمر وقد وصل الأخير الى المخا في نهاية ١٧٩٨ حيث التقى بطليعة اسطول بلانكيت وقامت السفينتان يرافقهما طردان صغيران بالتوغل في البحر من اجل تدمير المراكب التي جمعها الفرنسيون هناك من الأهالي. بعد ان وردت التقارير الى بومباي بقيام الجنود الفرنسيين الذين وصلوا السويس بمصادرة السفن المحلية وقدر عددها (٤٠ – ٥٠) سفينة حمولة كل منها (٨٠ – ١٠٠) رجل كما تقرر تحويل سفن الاستيراد القادمة من الصين الى سفن قتالية وان ترسل الى البحر الأحمر في حالة تأخر وصول بلانكيت. [٣٤]

على أثر وصول بلانكيت الى المخا في ١٤ابريل ١٧٩٩، ارسل تقريراً الى حكومة بومباي اشار فيه ان سفنه امضت عشرة أشهر في الطريق وانه بحاجة الى المؤن التي لم يستطع تأمينها من ميناء المخا. فطلب حاكم بومباي من الاميرال راينر معالجة الموقف وتعزيز قوة الاسطول في المخا. [٣٥]

عند خروج نابليون على بلاد الشام وحصاره لعكا واصل بلانكيت طوافه في البحر الأحمر متحكماً فيه كلياً ومشدداً الحصار على مينائي السويس والقصير، حينما علم بقيام الفرنسيين بتحصين ميناء القصير قام على الفور بتدميره. [٣٦]

رافق جهود كل من بلانكيت ومواري العسكرية جهوداً سياسية دبلوماسية جميعها كانت تصب في حماية المصالح البريطانية في البحر الأحمر، لذا وبعد ما لاقاه مواري من متاعب في بريم توجه الى عدن يدعمه بلانكيت لمقابلة حاكم عدن ولحج السلطان أحمد عبدالكريم العبدلي الذي استقبلهم بكل حفاوة [٣٧] للتفاوض معه بشأن استضافة القوات المنسحبة من الجزيرة في مدينة عدن، مقابل محاولته

اقناع حكومة الهند قبول عقد تحالف سياسي وتجاري معه، ليتمكن السلطان من خلال تقوية مركزه في المنطقة وحماية سلطنته من القوى المحلية المنافسة [٣٨] وذلك بجعل عدن قاعدة دائمة للقوات البريطانية – نزولاً عند اقتراح السلطان العبدلي نفسه – على ان تكون مدينة عدن مركزاً تجارياً كبيراً يسمح بتمويل غرب الجزيرة العربية، الى جانب تحويل تجارة البن من المخا الى عدن [٣٩]. وفي الوقت ذاته رفض حاكم الهند العام ولزليت Welleslet المقترح رغم موافقة حكومته عليه [٤٠]، مع ذلك سمح العبدلي للقوة البحرية البريطانية البقاء في عدن حتى شهر مارس ١٨٠٠ لحين هبوب الرياح الموسمية التي تعاونها في التوجه الى الهند. [٤١]

استغل موراي مغادرة بلانكيت الى بومباي للتشاور مع الحاكم عن التطورات الأخيرة، فانفرد بالقيادة فتحرك على رأس قواته من عدن بداية عام ١٨٠٠ متجهاً شمالاً بهدف مهاجمة السويس [٤٢]، ما أن سمع بلانكيت بهذا التحرك حتى خرج للحاق به وكان موراي قد وصل السويس في وقت تزامن مع جهود (سدني سميث) لعقد اتفاقية العريش [٤٣] في ٢٤ كانون الثاني ١٨٠٠ واقناع الفرنسيين باخلاء مصر، أثر ذلك غادرت القوات الفرنسية الميناء وانزل موراي قواته في السويس لكن انتصاره كان قصيراً بعد فشل الاتفاقية، حيث سرعان ما عادت القوات الفرنسية [٤٤] و ارسل الفرنسيين قوة عسكرية الى متسلم السويس العثماني للسيطرة عليها فألتفت الناس حول المتسلم لكن الفرنسيين تمكنوا منهم وقتلوهم ونهبوا الميناء وما فيه من بن وتوابل مخزونة بمخازن التجار. [٤٥]

فبينما كان كليبر يعد العدة للرحيل بعث السير سدني سميث كتاباً يتضمن نقض الاتفاقية مطالباً الفرنسيين تسليم انفسهم وسلاحهم كأسرى حرب مع التخلي عن كل مالهم من مراكب ومؤن في الاسكندرية. [٤٦]

بعد ان رأى اللورد بلانكيت أن من مصلحة بريطانيا ان تظل القوة الفرنسية الكبيرة حبيسة في مصر لأنه اذا ما عادت الى فرنسا فانها ستنظم للجيش العام وتزيد من قوة فرنسا[٤٧]، متوقعاً ان الجيش العثماني بقيادة الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا والقائد مصطفى باشا وصلوا ابواب القاهرة ومعهم المماليك سيتمكنون من القضاء على الجيش الفرنسي [٤٨]، خاصة بعد التقدم الذي احرزته

القوات والاسطول البريطاني في منطقة البحر الأحمر حيث تبددت كل مخاوفهم من أي خطر فرنسي محتمل على ممتلكاتهم في الهند. (٤٩)

اغضب هذا الاجراء الجنرال كليبر الذي أعد العدة لأستئناف القتال واتهم البريطانيين بنقض الاتفاقية (٥٠). في هذا الوقت كان العثمانيون يتقدمون الى القاهرة لتحريرها من الفرنسيين، فخرج كليبر مع جيشه فتقابل الجيشان عند المطرية في ٢٠ مارس ١٨٠٠ فكانت موقعة عين شمس (هيلوبوليس) التي انتصر فيها كليبر وعاد الى القاهرة وسيطر على الوضع فيها (٥١) لكنه سرعان ما قتل في ١٤ يونيو ١٨٠٠ على يد احد طلاب الأزهر (سليمان الحلبي)(٥٢) وتسلم بعده الجنرال مينو Menou قيادة القوات الفرنسية (٥٣) الذي ادعى اعتناق الاسلام واطلق عليه (عبدالله مينو).(٥٤)

هنا اضطر موراي الى الانسحاب بسفنه الى ميناء الطور لتوفر المياه العميقة، حيث التقى ببلانكيت الذي تسلم القيادة العليا ولم يرى من ضرورة للقيام بهجوم على ميناء القصير فأيده موراي، لأن بأمكان الاسطول قصف القصير والسويس من مكانه اذا ما حاول الفرنسيين تقوية وجودهم هناك (٥٥). ثم عمد موراي في اوائل حزيران الى اعادة جنوده الى بومباي، باقياً كوكيل سياسي في البحر الأحمر. (٥٦)

اصطحب بلانكيت معه (٥ سفن) وتوجه للقاء شريف مكة غالب بن مساعد في يونيو ١٨٠٠ (٥٧) واستطاع ان يقنعه بالامتناع عن قبول او تقديم أي عون للفرنسيين (٥٨) بعد ان وصلتهم معلومات عن سعي مينو للدخول في علاقات مع شريف مكة واستكمال المراسلات التي بدأها بونابرت (٥٩) والذي سعى أيضاً لاقامة علاقات تجارية مع شمال افريقيا وسنار ودارفور والحبشة (٦٠) الامر الذي نبه الحكومة البريطانية لارسال بعثة للكشف عن اوضاع البحر الأحمر ووصل أحد اعضائها الى الحبشة وهو هنري سولت عام ١٨٠٠ ليلتقي بملكها. (٦١)

استمر النشاط البحري الفرنسي بشكل ملحوظ في البحر الأحمر في الاعوام التالية مما اقلق البريطانيين واثارهم خاصة بعد ان سعت بعثة فرنسية لدى حاكم اللحية في اليمن لشراء جزر (كمران) فانبرى البريطانيون يسعون لدى حاكم

اللحية للرفض والامتناع عن التعاون مع الفرنسيين ومنع بعضهم من دخول الموانئ والجزر اليمنية كما قام البريطانيون بدعم اسطولهم في البحر الأحمر بمزيد من السفن وضرورة ارسال حكومة بومباي المزيد من الحملات الى البحر الأحمر. (٦٢)

ادرك البريطانيون عدم قدرة العثمانيين لوحدهم مواجهة الفرنسيين (٦٣) لذا توجهت ثلاثة حملات حربية عام ١٨٠١ نزلت الاولى في ميناء ابي قير في آذار والثانية قدمت من بلاد الشام، وبعد فترة قصيرة جاءت حملة بريطانية هندية عن طريق البحر الأحمر (٦٤) في نيسان ١٨٠١ قاصدة ميناء القصير (٦٥) والتي لاقت دعماً من بلانكيت الذي استمر في مهمته لفرض الحصار على البحر الأحمر، وكانت تلك القوة بقيادة الجنرال بيرد Beird الذي تقرر ان ينزل بقواته في القصير ليقاوم مؤخرة الجيش الفرنسي (٦٦)، وبالفعل نجح في ذلك، وانفصلت عنه قوة واصلت سيرها الى السويس، أما بقية القوة فأتجهت من القصير الى القنا، ومنها في النيل الى الجيزة بعد جلاء الفرنسيين من القاهرة. (٦٧)

كان البريطانيون والعثمانيون قد ساروا الى القاهرة لمحاصرة الفرنسيين (٦٨)، الذين كانوا تحت قيادة (بليار) والذي رأى أنه لا مفر من التسليم فأتصل بالقيادات البريطانية والعثمانية وطلب منهم اخلاء وادي النيل بشرط خروج الفرنسيين باسلحتهم فوافقوا على طلبه فأخلى المدينة في ٢٨ يونيو ١٨٠١م وخرج بجميع جنوده وأسلحته (٦٩) واستقلوا السفن البريطانية الى فرنسا (٧٠) وتبعهم في شهر اغسطس (٢٠،٠٠٠) جندي فرنسي من القاهرة والاسكندرية (٧١). اما القائد مينو فبعد هزيمة ابي قير في ١٣ مارس ١٨٠١ (٧٢) بقي محاصراً في الاسكندرية ولم يستسلم إلا في ٨ سبتمبر ١٨٠١ وخرج ومن معه من الجنود على سفن بريطانية الى فرنسا (٧٣)، وبهذا تم جلاء القوات الفرنسية من مصر التي رجعت الى التبعية العثمانية (٧٤) في تشرين الأول ١٨٠١ (٧٥) وفق اتفاقية الجلاء في ٢٧ يونيو ١٨٠١. (٧٦)

رغم الهزيمة التي لحقت بالحملة الفرنسية على مصر، إلا ان فرنسا اصبح لها مكانتها في اوربا متمثلة بقوتها العسكرية وشخصية بونابرت الذي تعين رئيساً للجمهورية الفرنسية سنة ١٨٠٢ بلقب القنصل الأول مدى الحياة الامر الذي اثار

فزع دول اوربا التي سارعت للتعاون مع بريطانيا التي كانت لا تزال في حالة حرب مع فرنسا. (٧٧)

سعى بونابرت للبحث عن حلفاء جدد لفرنسا للوقوف بوجه بريطانيا فبدأ يفكر بمشروع جديد لغزو الهند لكن هذه المرة بجهود فرنسية وروسية وهو مشروع القيصر بولص الاول Pols I (١٧٩٦-١٨٠١) الذي تصالح وتحالف مع بونابرت في ديسمبر ١٨٠١م لكن هذا التعاون لم يأتي بثماره بعد اغتيال القيصر في ٢٣ مارس ١٨٠١ (٧٨). حيث نجحت بجر روسيا إلى حلفها مع السويد والدنمارك فعقد في ١٧ يوليو ١٨٠١ (٧٩). تحتم على نابليون هنا التفكير بخيارات جديدة لضرب المصالح البريطانية في منطقة الشرق. (٨٠)

عندما حاول وضع حد للحرب القائمة بين الدولة العثمانية وفرنسا واعادة العلاقة بين الدولتين كما كانت قبل ١٧٩٨، واقناعها بضرورة الدخول معاً في صلح مع كل من روسيا وبريطانيا بعد ان احتلت الاولى جزر اليونان وما زالت الثانية باقية في مصر واجزاء من الشام وتماطل في مسألة الاخلاء، (٨١) اقتنعت الدولة العثمانية بمشروع بونابرت فكانت مقدمات الصلح بين الدولتين في عام ١٨٠١ قد ركزت على اخلاء القوات الفرنسية لمصر وتاييد امتيازات فرنسا السابقة في الشرق. (٨٢)

تسارعت الاحداث على ساحة السياسة الدولية الاوربية، حيث تم عقد معاهدة صلح اميان في ٢٧ مارس ١٨٠٢ (٨٣) بين فرنسا وبريطانيا واسبانيا وهولندا لترتيب الاوضاع في اوربا وتوفيق المصالح بين تلك الدول (٨٤) لكن اخراج الدولة العثمانية خارج حدود ذلك الصلح اغاض السلطان سليم الثالث في وقت تتواجد فيه تلك الدول على اراضيه، الامر الذي دفعه إلى اكمال ما بدأه من مفاوضات مع فرنسا حتى توصلوا إلى عقد اتفاقية في ٢٥ يونيو ١٨٠٢ (٨٥) تركزت على تجديد الامتيازات الفرنسية في الدولة العثمانية (٨٦)

واضطرت بريطانيا وتحت الحاح السلطان سليم الثالث وفرنسا إلى اجلاء جيوشها من مصر في اواخر مايو ١٨٠٣ (٨٧). ولتقرر الحكومة العثمانية البقاء فيها وحكمها حكماً مباشراً دون الاستعانة بالمماليك (٨٨). وما ان اشرفت سنة ١٨٠٢ على الانتهاء حتى كان الموظفين الفرنسيين منتشرين في ارجاء الدولة

العثمانية ويرسلون بتقاريرهم لحكومتهم في فرنسا [٨٩]. وكان على راسهم الجنرال سبستياني Sabastian الذي ارسل من قبل بونابرت لتجديد اواصر الصداقة العثمانية الفرنسية ودراسة اوضاع الشرق بصورة خاصة. [٩٠]

ان التطورات السابقة على ساحة السياسة الدولية كان لها أيضاً انعكاساتها على وضع البحر الاحمر واهميته التي ازدادت في اعقاب الحملة الفرنسية على مصر وكشفت عمق العلاقة بين البحر الاحمر والهند وتأثيرها على السياسة البريطانية في هذه المنطقة. [٩١]

المبحث الثاني : السياسة الاقتصادية في البحر الأحمر (١٨٠١ – ١٨٠٢) ودور شركة الهند الريطانية في عقد المعاهدات:

خلال الفترة (١٨٠١ – ١٨٠٢) ورغم الازدهار الذي اخذت به التجارة بين البحر الاحمر وممتلكات شركة الهند البريطانية، إلا ان نشاطه اخذ بالتدهور نتيجة للسياسة التي اتبعتها الدولة العثمانية، وسايرها فيها بعض حكام المنطقة في مقدمتهم سلطان لحج وعدن. [٩٢]

فبعد ان استعادت الدولة العثمانية مصر حَّولت طريق تجارة البن الذي كان يرسل إلى اوربا والهند، ليأخذ طريقه الى مصر أو تحمله القوافل من جدة الى مكة ثم الى استانبول [٩٣] فضلاً عن ظهور قوة تجارية اوربية اخرى اخذت طريقها للمنافسة على تجارة البن في البحر الأحمر، وهي الولايات المتحدة الأمريكية فكان للأمريكيين تعاملهم مع موانئ البحر الأحمر، وأول صفقة تجارية كانت عام ١٨٠١ حيث جلبت احدى سفينتين لأربعة تجار من ميناء (سيليم) الامريكي (٣٢٦،٠٠٠ رطل) من بن المخا. [٩٤]

دفعت هذه المؤشرات بريطانيا وممثليها في شركة الهند البريطانية لاعادة النظر في تطورات التجارة العالمية في البحر الأحمر وضرورة ايجاد سياسة تتلائم مع تلك التطورات. لذا فقد سعت في محاولات مختلفة للحصول على امتيازات وتسهيلات تجارية من حكام وزعماء المنطقة. [٩٥]

كانت جهود شركة الهند البريطانية واضحة لتنشيط التجارة مع الموانئ اليمنية في المحاولات التي بذلها الدكتور برنجل[٩٦] Dr. Bringle ، الذي صاحب

موراي Morai في رحلته واقام في المخا سنة ١٨٠٠، واوصل في ايار من نفس السنة عدة خطابات من الحاكم العام للهند الى الامام المنصور علي [٩٧] والمتضمنة اعلام الامام بامر التحالف البريطاني العثماني في اخراج الفرنسيين من مصر، الى جانب طلب تعاون الامام مع القوات البريطانية عند مرورها في الموانئ اليمنية الى مصر، كما تضمن طلباً يدعوا الامام الى اشراك بعض قواته مع القوات البريطانية لأخراج الفرنسيين من مصر، ولذلك بقوله: ((فالمرجو منكم ان تهيئوا اسباب الاطعمة وغيرها، لتلك الافواج التي توجهوا الى تلك النواحي ... وايضاً ان ترسلوا جمعاً من افواجكم مع الفوج الانكليزي)). [٩٨]

استقبل الامام برنجل بحرارة واصدر تعليماته لحكام الموانئ في المخا واللحية والحديدة لتقديم كافة التسهيلات والمساعدات اللازمة للسفن البريطانية وبالاسعار العادية [٩٩]، واتفقوا في حالة تحطم احدى السفن فإنه يقوم بحماية البحارة على الشاطئ والمحافظة على شحنات تلك السفن قدر الامكان [١٠٠]. كما ابدى الامام استعداده للمشاركة في قتال الفرنسيين في مصر [١٠١] بقوله: ((قد شحنا بنادرنا بالرجال وامرناهم بالاستعداد للقتال فنحن ان شاء الله في الرعيل الاول)) [١٠٢]. وايضاً، وافق الامام على بناء مستشفى بحري بريطاني في المخا لاستقبال المرضى من الاسطول البحري البريطاني [١٠٣]، وبعد ان حصل برنجل على هذه الموافقات غادر صنعاء الى المخا. [١٠٤]

ان موافقة الامام على هذه التسهيلات، جاء تقديراً منه لما يقوم به البريطانيون من جهود لأخراج القوات الفرنسية من مصر، وكذا وصلت الرسائل العديدة من الباب العالي وباشا المدينة المنورة التي تحث الامام على تقديم المساعدة والعون للسفن البريطانية عند مرورها من الموانئ اليمنية الى مصر وبالمقابل قدر البريطانيون موقف الامام باستجابتهم لطلبه بعدم اقامة قاعدة بريطانية في باب المندب وانسحابهم من جزيرة بريم [١٠٥]، وببقاء طريق عدن الهند مفتوحاً امام الاسطول البريطاني تقدم امام اليمن بطلب الى حكومة الهند البريطانية لتنظيم علاقته مع الامبراطورية البريطانية. وقد وافقت حكومة الهند على طلب الامام. [١٠٦]

استمرت الجهود البريطانية في تدعيم تجارتها مع اليمن ورعاية مصالحها في منطقة البحر الأحمر [١٠٧] فكما هو واضح ان الركود الذي اصاب النشاط التجاري في اليمن قد ادى الى حدوث ازمة اقتصادية، تأثرت بموجبه الاوضاع السياسية فحدثت اضطرابات داخلية ساهمت باضعاف تجارة البن في الاسواق الداخلية، الامر الذي انعكس على نشاط التجارة في موانئ البحر الأحمر. فكان في الوقت الذي يقل فيه العرض يحدث زيادة في الطلب [١٠٨]، فحدث مع ظهور السفن التجارية الامريكية كمنافس للبريطانيين زيادة في اسعار محصول البن، مما جعل القدرات الشرائية البريطانية للبن امام القدرات الشرائية الامريكية تقل، نتيجة لذلك رفعت شركة الهند الشرقية التقارير للحاكم البريطاني في الهند، تحثه على ضرورة اعادة النشاط التجاري البريطاني في البحر الأحمر، وتعيين ممثل تجاري بريطاني في المخا لمراعاة المصالح البريطانية هناك [١٠٩]. عندها عينت حكومة الهند البريطانية السيرهوم بوفام Sir Home popham مندوباً لها في الجزيرة العربية في سنة ١٨٠٢ ومنحته صلاحيات كاملة تمكنه من عقد معاهدات تجارية مع امام صنعاء وسلطان لحج على وجه الخصوص [١١٠] في محاولة للعمل على احياء التجارة البريطانية في البحر الاحمر، وكلف ايضاً بمهمة نقل القوات التي كانت ستنضم لجيش الجنرال بيرد Bird من بومباي الى مصر. [١١١]

ابحر هوم من كلكتا الى المخا في بداية عام ١٨٠٢ وارسل في تموز بعثة تتكون من المستر اليوت Mr. Aleot والملازم لامب Lieyienant Lamb والدكتور برنجل الى صنعاء لكي تعرض على الامام اقتراحاً لعقد معاهدة معه، وعزم هوم على التقدم الى جبلة او إب عن طريق تعز حتى يكون اقرب الى صنعاء حتى يمكنه الاجابة عن اية استفسارات قد يطلبها الامام حول المعاهدة المقترحة. [١١٢]

عندما وصل هوم الى مسور كتب إليه ابن عقلان شيخ دوربيان بأن الامام قد أمره بان يعده ضيفاً عليه وأن يقوم بواجب حمايته في اراضيه إلا ان هوم تعرض بعد ذلك لاهانات شديدة. لكن بعد وصوله الى تعز توقع ان يلقى معاملة أكثر ودية إلا ان السلوك العدائي تجاهه استمر في كل منطقة فقرر العودة الى المخا، ومن هناك ارسل احتجاجاً الى امام صنعاء على المعاملة التي لقيها في

الاراضي اليمنية. وبمجرد ان سمع الامام المنصور بمهمة مستر اليوت وعرف بالاهانات التي تعرض لها السيرهوم ابدى اسفه الشديد وابدى عزمه على معاقبة شيخ الدوربيان [١١٣] ومع ذلك فان الامام رفض المعاهدة المقدمة، ولم يشأ ان يزيد تعاونه عن هذا الحد حتى لا يؤدي ذلك الى التدخل الاجنبي في شؤون البلاد، وعد ذلك مخالفاً للدين الاسلامي [١١٤]. واكتفى بوعد بتحريم استخدام الموانئ اليمنية من قبل السفن الفرنسية. [١١٥]

ارجع الساسة البريطانيين في الهند السبب الذي افشل عقد المعاهدة مع الامام الى حاكم سوارت في الهند، الذي حاول جاهداً عن طريق وكيله في صنعاء، عرقلة مهمة بعثة هوم وذلك حتى لا يتمكن البريطانيين من اعادة فتح الوكالة التجارية البريطانية في المخا، او انتعاش النشاط التجاري البريطاني في البحر الأحمر. [١١٦]

اما مصير البعثة، فقد مات المستر اليوت بالحمى في صنعاء وترك الملازم لامب والدكتور برنجل صنعاء في ٤ أيلول وصلا المخا في ١٥ من الشهر نفسه حاملين خطابات الرفض الى الحاكم العام وهوم وقد استاء الممثل البريطاني من رفض اقتراحه فاندفع في التفكير باتجاه سلطان لحج للحصول على موافقته على ذلك العرض دون العودة الى الامام. [١١٧]

توجه السيرهوم الى عدن وبذل جهوده لاقناع السلطان احمد بن عبدالكريم العبدلي الذي رفض العرض في بادئ الامر، إلا انه اضطر تحت الضغط والوعيد الى القبول [١١٨] واستداده لتوقيع معاهدة للصداقة والتجارة [١١٩]. وقد ابرام المعاهدة في ٦ أيلول ١٨٠٢ وصدق عليها السير هوم نيابة عن اللورد ولي Lord wilsy حاكم الهند العام ونائب عن السلطان العبدلي امير عدن احمد باصهي [١٢٠]، نصت المعاهدة على ايجاد اتصال تجاري بين شركة الهند الشرقية او اية رعية بريطانية تحت حكم الحاكم العام للهند ورعية السلطان العبدلي تعيين وكيل سياسي بريطاني مقيم في عدن يرعى المصالح البريطانية ومصالح الرعايا البريطانيين[١٢١] ووافق الجانبان على عد ميناء عدن مفتوحاً لأستقبال البضائع التي تحملها السفن البريطانية على ان تدفع نسبة ٢% ضرائب جمركية لمدة عشر سنوات ترفع بعدها النسبة الى ٣% فقط[١٢٢]. وان هذا

الالتزام لا يكون على البضائع الواردة فحسب بل وعلى البضائع الصادرة من حاصلات بلاد الحاكم او البلاد المجاورة لها والتي تشحن على المراكب البريطانية من عدن، وفي حالة شراء الشركة او احد رعاياها بضائع من مدينة عدن او مينائها وكانت هذه البضائع مستوردة من شرق افريقيا او أي بلاد اخرى ليست تابعة للسلطان العبدلي فليس عليها أي رسوم باعتبار ان الرسوم قد دفعت عند استيرادها الى عدن (١٢٣) ونصت المعاهدة ايضاً على حرية الرعايا البريطانيين في العمل في اراضي السلطان ونقل ثرواتهم لمن يشاؤن، كما تعهد السلطان ببذل جهوده لاستعادة ديون الرعايا البريطانيين من رعاياه في حالة حدوث أي نزاع بين الرعايا البريطانيين فيجب ان يرفعوا دعواهم للوكيل البريطاني في عدن لينظر في قضاياهم بموجب القوانين المتبعة في بلادهم، وسمح للشركة ان تقيم سوقاً في عدن مع تخصيص قطعة ارض (مجاناً) لتكون مقبرة (١٢٤) يدفن فيها البحارة والتجار البريطانيين (١٢٥). وأخيراً تعهد السلطان في هذه المعاهدة بان يبيع لبريطانيا قطعة من الارض غربي عدن (تسمى حالياً الخساف) لتقيم عليها الشركة مبانيها بالشكل الذي ترتضيه (١٢٦). مقابل ذلك وعد البريطانيون بحماية السلطان اذا ما هاجمهم الفرنسيون (١٢٧) والذي تعهد بدوره بعدم فرض رسوم اضافية على وقوف السفن في الميناء (١٢٨) وإلا تعرض بخسارة صداقة بريطانيا وقطع العلاقات التجارية معا. (١٢٩)

كان لهذه المعاهدة اثرها الواضح على اوضاع البحر الأحمر عامة وعلى السياسة البريطانية تجاه عدن خاصة، فقد عد السلطان العبدلي هذه المعاهدة من وجهة نظره داعمةً لمركزه في المنطقة كما اعتبرها خطوة لاعادة نشاط التجارة في الميناء الامر الذي يزيد العائدات، أما السير هوم فقد عدها تعويضاً عن الفشل الذي حدث امام صنعاء، وبنفس الوقت ضربة موجعة لحكومة صنعاء يستطيع البريطانيون من خلالها تحويل النشاط التجاري من الموانئ اليمنية على البحر الاحمر الى ميناء عدن. (١٣٠)

ان نظرة بسيطة لبنود المعاهدة توضح انها تعد بداية التدخل البريطاني في شؤون عدن وعند المدخل الجنوبي للبحر الاحمر، كما ان فيها انتقاص من السلطة الشرعية لحكام هذه المنطقة في بلادهم فتحديد الرسوم الجمركية بنسبة

تقل كثيراً عما يتقاضاه السلطان من قبل، فضلاً عن الاعتراف للوكيل البريطاني – الذي كان لا يعدو ان يكون قنصلاً لبلاده – بالتدخل فينظر المنازعات للرعايا البريطانيين في عدن ورفع نتائجها الى حكومة الهند البريطانية لتقرر ما تراه، فان ذلك كله لا يتفق مع سيادة سلطان لحج وعدن، كما يعطي الفرصة للبريطانيين للتدخل في شؤون سلطنته [١٣١]. كما لم يكتفي البريطانيين بتحديد الرسوم على البضائع الواردة فحسب بل وعلى البضائع الصادرة ايضاً وكل البضائع الواردة على مراكبهم، واحتكار السوق بوسيلة كهذه بحيث لا تستطيع منتجات وبضائع الدول الاخرى ذات الضرائب الجمركية المرتفعة ان تزاحمها في السوق. [١٣٢]

واعتبرت هذه المعاهدة جزء من السياسة البريطانية العامة التي تطمع في السيطرة الكاملة على عدن، كما أنها محاولة لجس نبض حكومة الائمة في شمال اليمن التي كانت تابعة للدولة العثمانية حينئذ والتي كانت تدعي ان عدن ومناطق الجنوب الاخرى تقع ضمن اراضيها وتحت حمايتها [١٣٣] في حين سكتت حكومة الائمة عن ابداء أي تعليق على هذا الحادث المهم، مما اكد لبريطانيا انها اذا ما فكرت في غزو عدن فلن يقاومها سوى العرب العدنيين أنفسهم وقبائل المنطقة القريبة المحيطة بهم مثل قبائل العبدلي والفضيلي والعقربي على اكثر تقدير. [١٣٤]

وقد علق على المعاهدة الجنرال هرولد جاكوب Harold Jacob بوصفها ((رائعة للبريطانيين وعجيبة خاصة اذا قارنها مع الزمان الذي تمت فيه والاشخاص الذين تخصهم. لان العرب حتى ذلك الوقت كانوا لا يزالون متوجسين من اقامة اية علاقة مع الاجانب خصوصاً بعد احتلال فرنسا لمصر)). [١٣٥]

وعدها البعض الاخر انها خطوة لتعزيز التوجهات السياسية والاستراتيجية البريطانية في المنطقة، من حيث اعتبارها فاتحة لعقد سلسلة من المعاهدات المشابهة، حتى ضمنت الهيمنة البريطانية على الخط الملاحي الواصل بين الشرق والغرب عبر البحر الأحمر [١٣٦] الامر الذي ادى الى استمرار انخفاض مستوى الحركة التجارية نتيجة انخفاض ما يصل من السفن التجارية الاجنبية

الاخرى الى جنوب البحر الاحمر، مما ادى من جانبه الى استمرار الازمات السياسية والاقتصادية في ولاية اليمن الامر الذي ادى الى انهيار حكمهم، وتفتيت اليمن الى عدة اجزاء، وفي عودة العثمانيين اواخر القرن التاسع عشر الى حكم اليمن. (١٣٧)

وقراءة لكل هذه التطورات التي حصلت من منافسة بريطانية فرنسية، يمكن القول ان النتيجة كانت لصالح بريطانيا التي تفوقت في مخططاتها الأبعد مدى والاكثر دقة وملائمة لما هو سائد في المنطقة في الوقت الذي غرقت فيه فرنسا بحروبها النابليونية المشتعلة في اوربا ومشاكلها الداخلية.

خريطة رقم (١) توضح جزر الساحل الجنوبي للبحر الأحمر

المصدر: اباظة، المصدر السابق.

الخاتمة:

سعت بريطانيا بكل جهودها الدبلوماسية والعسكرية وتنسيقاتها الاقتصادية لتبني سياسة قوية في البحر الاحمر تتمكن من صد أي تطلع خارجي نحو هذه المنطقة لما يمثله من أهمية لمصالحها وممتلكاتها في القارة الهندية، بعدما أحست بخطورة ذلك بالغزو الفرنسي على مصر ١٧٩٨ ومحاولات مد النفوذ الفرنسي على بقية سواحل البحر الأحمر. وكذلك ظهور قوة اقتصادية فتية متمثلة بالولايات المتحدة الأمريكية لتكون لها تطلعاتها نحو البحر الأحمر وتجارة البن الرائجة فيه.

لكن بريطانيا نجحت في اثبات وجودها في منطقة البحر الاحمر، بالقوة العسكرية والبحرية والعلاقات التي اخذت تربطها بمشايخ المنطقة، التي كانت بدايتها معاهدة ١٨٠٢ مع سلطان لحج العبدلي والتي ضمنت فيها الكثير من الامتيازات التجارية والسياسية لم يسبع لغيرها من الدول الاوربية ان تحقق ولو جزء يسير منها سواء بجهود عسكرية او دبلوماسية. وانطلاقاً من هذه المعاهدة عملت بريطانيا على توسيع دائرة نفوذها في منطقة البحر الاحمر وتحقيق هدفها بالسيطرة الكاملة على عدن والمناطق المجاورة لها والتي من خلالها ستتحكم بمنفذ البحر الأحمر نحو البحار الشرقية وتجارة الهند.

المراجع

(١) احمد عزت عبدالكريم, ((سياسة مصر واستراتيجيتها في البحر الأحمر على عهد الحملة الفرنسية ومحمد علي)), بحث منشور في سمنار البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة في تاريخ ١٠-١٥ مارس ١٩٧٩, (القاهرة – ١٩٨٠), ص٣٢٨.

(٢) وليد محمد جرادات, الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر, (الدوحة – ١٩٨٦), ص١٢٧.

(٣) صالح محمد العابد, موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ – ١٨١٠, (بغداد – ١٩٧٩), ص٨٤.

(٤) أحمد طربين, التجزئة العربية كيف تحققت تأريخياً؟ (بيروت – ١٩٨٧), ص١٠٢.

(٥) Ann Williams, Britain and France in the Middle East and north Africa, (New York-1968), p.30.

(٦) أحمد بن زيني دحلان, تاريخ اشراف الحجاز ١٨٤٠ – ١٨٨٢ خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام, تحقيق وتحليل: محمد أمين محمود, (بيروت – ١٩٩٣), ص٢١.

(٧) محمد فؤاد شكري, مصر في مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١ – ١٨١١م, (القاهرة – ١٩٥٨), ج٣ , ص٢٥٦.

(٨) محمد رشيد الفيل, الأهمية الاستراتيجية للخليج العربي, (الكويت – د.ت), ص٥٣.

(٩) السيد مصطفى سالم, تكوين اليمن الحديث والامام يحيى ١٩٠٤ -١٩٤٨, (القاهرة – ١٩٦٣), ص٩٥.

(١٠) محمد انيس, الدولة العثمانية والمشرق العربي, (القاهرة –د.ت), ص١٩٣.

(١١) انظر نص الاتفاقية في : محمد مرسي عبدالله, امارات الساحل وعمان والدولة السعودية الاولى ١٧٩٣ – ١٨١٨م, (القاهرة – ١٩٨٧), ص٢٧٩ – ٢٩٨ ؛

- J.B. Kelly, Britain and the Persian Gulf 1795 – 1880, (London-1968) p.65

(١٢) T.O. Lioyd, The British Empire 1558 – 1995, Second Edition, (Oxford ,n.H.), p.131 ; الفيل, المصدر السابق, ص٥٣ ؛ عبدالله, المصدر السابق, ص٢٨١.

(١٣) العابد, المصدر السابق, ص٨٨ ؛ عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم, حكومة الهند البريطانية والادارة في الخليج العربي دراسة وثائقية, ط١, (الرياض – ١٩٨١), ص١٠١.

(١٤) سيد مصطفى سالم, نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية, (القاهرة – ١٩٧٩), ص٩٤.

(١٥) عبدالله محمد نجاد, الأهمية الاستراتيجية للجزر اليمنية في البحر الأحمر وخليج عدن ١٩٤٥ – ١٩٧٣, (صنعاء – ٢٠٠٦), ص٥٩.

(١٦) ابراهيم محمد حسن, البحر الأحمر في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ – ١٩١٨, (القاهرة – ١٩٩٨), ص٣٩.

(١٧) خديجة الهيصمي, سياسة اليمن في البحر الأحمر, (٢٠٠٢ – القاهرة), ص٧٣.

(١٨) حمزة لقمان, تاريخ الجزر اليمنية, (بيروت – ١٩٧٢) ص٢٠ ؛

C. Northcote, Pakinson, ((British Operations in the Red Sea 1799 – 1801)), Journal of the Royal conral Asian Society part II, Vol. XXV, April 1938, p.257.

(١٩) حسن ابراهيم حسن, اليمن البلاد السعيدة, (مصر – لات) ؛

Harold Ingramgs, the Yemen Imams Rulers and Revolutions (London – 1963), p.50.

(٢٠) ابراهيم, المصدر السابق, ص١٠١ ؛ العابد, المصدر السابق, ص٨٨ ؛ علي الصراف, اليمن الجنوبي الحياة السياسية من الاستعمار الى الوحدة, (لندن – ١٩٩٢), ص٢٧.

(٢١) أبو طالب, المصدر السابق, ص٢٣ ؛ الهيصمي, المصدر السابق, ص٧٣.

(22) Captain R.L. Playfair, AHistory of Arabia Felix or Yeman, From the commercement of the christioan Era to the present time, ineluding an Account of the British seltlement of Aden, (Bombay – 1859), p.122 – 123;

عباس, المصدر السابق, ص٥٣.

(٢٣) الهيصمي, المصدر السابق, ص٧٤.

(٢٤) لقمان, تاريخ الجزر ..., ص٢٠.

(٢٥) سرريدر بولارد, بريطانيا والشرق الأوسط من أقدم العصور حتى ١٩٥٢م, ترجمة: حسن أحمد السلمان, (بغداد – ١٩٥٧), ص٣١ ؛ قحطان محمد الشعبي, الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن, (القاهرة – لات), ص٢٤ ؛ Ingrams, op. cit., p.50

(٢٦) لقمان, المصدر السابق, ص٢١ ؛ محمد عدنان مراد, بريطانيا والعرب, (دمشق – ٢٠٠٤), ص٧٩.

(٢٧) لقمان, المصدر السابق, ص٢١ ؛ Ingrams, op. cit., p.50

(٢٨) جرادات, المصدر السابق, ص١٢٧ ؛ Parkinson op. cit., p.253

(٢٩) الصراف, المصدر السابق, ص٢٧.

(٣٠) العابد, المصدر السابق, ص٨٩.

(٣١) اريك ماكرو, اليمن والغرب ١٥٧١ – ١٩٦٢, ترجمة: عبدالله العمري, (صنعاء – ١٩٧٨), ص ص٤٩ ؛ PlayFair, op. cit., p.226

(٣٢) هند فخري سعيد, ((التنافس البريطاني – الفرنسي على سواحل البحر الأحمر الجنوبية (اليمن) ١٧٦٢ – ١٨٠٢م)), مجلة ابحاث كلية التربية الأساسية, مج١٠, ع٤, موصل – تموز ٢٠١١, ص٣٠٩. PlayFair, op. cit., p.723.

(٣٣) جرادات, المصدر السابق, ص١٢٩ ؛ صادق محمد الصفواني, الأوضاع السياسية الداخلية لليمن في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي, رسالة ماجستير كلية الآداب (جامعة صنعاء – ٢٠٠٢م), ص١٤٠.

(٣٤) العابد, المصدر السابق, ص٨٩ ؛ Parkinson, op. cit., p.253

(٣٥) سعيد, المصدر السابق, ص٣٠٩ ؛ PlayFair, op. cit., p.723

(٣٦) العابد, المصدر السابق, ص٩٠ ؛ Kelly op. cit., p.65

(٣٧) جاد طه, سياسة بريطانيا في جنوب اليمن, (القاهرة – ١٩٦٩), ص٣٩ ؛ Ingrams, op. cit., p.50

(٣٨) ماكرو, المصدر السابق, ص٥١ ؛ الصفواني, المصدر السابق, ص١٤٣.

(٣٩) فاروق عثمان اباظة, عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٩٩ – ١٩٤٧ دراسة وثائقية, (الرياض – ١٩٨١), ص٣٨٨ ؛ الهيصمي, المصدر السابق, ص٧٤ ؛ PlayFair, op. cit., p.723

(٤٠) الصفواني, المصدر السابق, ص١٤٤ ؛ Lioyd, op. cit., p.133

(٤١) ماكرو, المصدر السابق, ص٥١ ؛ Parkinson, op. cit., p.257

(٤٢) العابد, المصدر السابق, ص٩٥ ؛ Parkinson, op. cit., p. 253

(٤٣) هي الاتفاقية التي عقدت بين العثمانيين والفرنسيين باشتراك سدني سميث, والتي جاء فيها كيفية انسحاب الجيش الفرنسي بسلاحه وعتاده على سفن عثمانية خلال مدة ٣ أشهر من تاريخ الاتفاقية, انظر: هنري لورن وآخرون, الحملة الفرنسية في مصر بونابرت والأسلام, ترجمة: البشير السباعي, (القاهرة – ١٩٩٥), ص ص٤٥٢ – ٤٥٤ ؛ نقولا الترك, ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية أو الحملة الفرنسية على مصر والشام, تحقيق وتقديم: ياسين سويد, (بيروت – ١٩٩٠), ص ص ١٠٥ – ١١٤.

(٤٤) العابد, المصدر السابق, ص٩٦ ؛

Enver Ziya Karal, "Gulhane Hatt-1 Humayun unda Batinin Etkisi", Halil inalcik ve Mehmet Segitdamoglu, Tanzimat, (Ankara – 2006), S.77.

(٤٥) عبدالرحمن حسن الجبرتي, تاريخ الجبرتي المسمى عجائب الآثار في التراجم والأخبار, ط٢, (بيروت – ٢٠١٠), ج٢, ص٢٤٨.

(٤٦) جورج يانج, تاريخ مصر من عهد المماليك الى نهاية حكم اسماعيل, تعريب: علي أحمد شكري, (القاهرة – ١٩٩٦), ط٢, ص٥١ ؛ أمل بشور, حملة بونابرت الى الشرق مخطوطة نقولا الترك, دراسة وتحقيق, (طرابلس – ١٩٩٣), ص٢١٤.

(٤٧) محمد عدنان مراد, بريطانيا والعرب, (دمشق – ٢٠٠٤), ط٢, ص١١٥.

(٤٨) احمد حامد ومصطفى محسن, توركية تاريخي, (استانبول – ١٩٢٦), ص٤٥١ ؛ Karal,A.G.E., S.37 .

(٤٩) اميل خوري وعادل إسماعيل,السياسة الدولية في الشرق العربي من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٩٥٨, (بيروت – ١٩٦٠), ج١, ص١٤٦ .

(٥٠) بشور, المصدر السابق, ص١١٦.

(٥١) حامد ومحسن, المصدر السابق, ص٤٠١.

(٥٢) عمر الاسكندري وسليم حسن, تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر, ط٦ , (الفجالة – ١٩٢٤), ص١٠٦ ؛ بشور, المصدر السابق, ص١١٦.

(٥٣) وديع ابو زيدون, تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس الى السقوط, ط٢, (بيروت – ٢٠٠٢), ص٢١٦.

(٥٤) محمد فريد بك المحامي, تاريخ الدولة العلية العثمانية, تحقيق: إحسان حقي, (بيروت – ١٩٨١), ص٣٧٧ ؛ حسن والاسكندري, المصدر السابق, ص١٠٦.

(٥٥)Parkinson, op. cit., p.25

(٥٦) العابد, المصدر السابق, ص٩٦.

(٥٧) سعيد, ((التنافس البريطاني ...., ص٣١٠ ؛ Parkison, op. cit., p.257

(٥٨) احمد محمد بن بريك, اليمن والتنافس الدولي في البحر الحمر ١٨٦٩ – ١٩١٤ (الشارقة – ٢٠٠١), ص٨٠.

(٥٩) عن نصوص المراسلات التي ارسلها مينو الى الشريف غالب, انظر: عناني, المصدر السابق, ص ص٨٨ – ٩٠.

(٦٠) جمال الدين باتسي, الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ – ١٨٠١ مذكرات ضابط من جيش الحملة (هوية), مراجعة واشراف: مديحة دوس, (القاهرة – ٢٠٠٥), ص ص٤٣ -٤٤.

(٦١) امين شاكر وآخرون, اضواء على الحبشة, (القاهرة – لات), ص١١٩ ؛ بيتر فرانس, اوربا والآثار المصرية, ترجمة: ابراهيم محمد ابراهيم, مراجعة وتقديم عبدالرحمن الشيخ, (القاهرة – ٢٠٠٩), ص٤٨.

(٦٢) طه, المصدر السابق, ص٤٠.

(٦٣) احمد مفيد صالح باشا, تاريخ البحر وملامحه مج١, (دمشق – ١٩٩٠), ص٥٠٥.

(٦٤) مراد, المصدر السابق, ص١١٦ ؛ وهيب ابي فاضل, الموسوعة الكبرى لتاريخ الشعوب وحضارتها اوربا والعالم في النصف الأول من القرن التاسع عشر, ج١٧-١٨ (بيروت – ٢٠١٢), ص٣٩.

(٦٥) عبدالعزيز محمد الشناوي ؛ عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية, (القاهرة – ١٩٦٧), ص٨٥ ؛ العابد, المصدر السابق, ص٩٧ ؛ Parkinson, op. cit., p.258.

(٦٦) امال ابراهيم محمد, الصراع الدولي حول البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر, (صنعاء – ١٩٩٣), ص٤٨.

(٦٧) طارق عبدالعاطي غنيم بيومي, سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الاول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ – ١٢٦٥هـ/١٨١١ -١٨٤٨م, (القاهرة – ١٩٩٩), ص ص٣٤ – ٣٥ ؛ الشناوي, عمر مكرم ...., ص٨٥.

(٦٨) الترك, المصدر السابق, ص ص١٤٩ – ١٥١.

(٦٩) المحامي, المصدر السابق, ص٣٧٨, وللاطلاع على نص الاتفاق انظر:

التـــرك, المصـــدر الســـابق, ص ص١٥٢ – ١٦١ ؛ عبـــدالعزيز الشـــناوي وجـــلال يحيـــى, وثـــائق ونصـــوص التـــاريخ الحـــديث والمعاصـــر, (القـــاهرة – ١٩٦٩), ص ص٥٣٥ – ٥٤٣, ص ص٢٥٢ – ٥٣٤ ؛ مكـــي شـــبيكة, تـــاريخ شـــعوب وادي النيـــل مصـــر والســـودان فـــي القـــرن التاســـع عشـــر المـــيلادي, (بيـــروت – ١٩٦٥), ص١٥٧.

(٧٠) وديـــع ابـــو زيـــدون, تـــاريخ الامبراطوريـــة العثمانيـــة مـــن التأســـيس الـــى الســـقوط, ط٢, (بيروت – ٢٠٠٢), ص٢١٧.

(٧١) أ.ج جرانـــت وهارولـــد تمبرلـــي, اوربـــا فـــي القـــرنين التاســـع عشـــر والعشـــرين ١٧٨٩ – ١٩٥٠, ترجمة: بهاء فهمي, ط٦, (القاهرة – ١٩٥٠), ص١٥٧.

(٧٢) Charles Guignebert, Ashort History of the French people, (Newyork – 1930), p.437.

(٧٣) الشـــناوي ويحيـــى, المصـــدر الســـابق, ص ص٥٣٥ – ٥٤٣ ؛ حامـــد وحســـن, المصـــدر الســـابق, ص١٠٤ ؛ الجبرتـــي, المصـــدر الســـابق, ص ص٣٢٨ – ٣٢٩.

(٧٤)Sydney Nettlet Fisher, The middle East A History, (London – 1960), p.828.

(٧٥) ابي فضل, المصدر السابق, ص٣٩.

(٧٦)Miller, op. cit., p.37.

(٧٧) جرانت وتمبرلي, المصدر السابق, ص١٥٧.

(٧٨) زكـــي صـــالح, بريطانيـــا والعـــراق حتـــى عـــام ١٩١٤ دراســـة فـــي التـــاريخ الـــدولي والتوسع الاستعماري, (بغداد – ١٩٦٨), ص٨٣

(٧٩)Gerald S. Graham, Great Britain in the Indian Ocean. A study of Maritime Enterprise 1810 – 1850, (London – 1967), p.438.

(٨٠) صالح, المصدر السابق, ص٤٨.

(٨١) المحامي, المصدر السابق, ص٣٧٩ ؛ Karal,A.G.E.,S.46

(٨٢) عبـــدالعزيز ســـليمان نـــوار, تـــاريخ الاســـتعمار الاوربـــي فـــي افريقيـــة, (بيـــروت – ١٩٧٠), ص٢٠٥ ؛

Inari Rautsi, The Eastern Question Revisited (Helsink – 1993), p.73.

(٨٣) خوري واسماعيل, المصدر السابق, ص٣١٧ ؛ George Rude, Revolutionary Europe 1983 – 1815, (Newyork – 1966), p.242. ويذكر فيشر انه عقدت في عام ١٨٠٣م ؛ Fisher, op. cit., p.263

(٨٤) محمد سهيل طقوس, تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة, ط٢ (بيروت – ٢٠٠٨), ص٣١٧ , وللاطلاع على نص المعاهدة, انظر: جرانت وتمبرلي, المصدر السابق, ص ص١٧٢ – ١٧٤.

(٨٥) للتفاصيل عن ذلك, انظر: Karal, A.G.E.,S.46 ؛ Rutsi, op. cit., p.38

وللاطلاع على نص المعاهدة, راجع: المحامي, المصدر السابق, ص٣٧٩ – ٣٨٠.

(٨٦) المحامي, المصدر السابق, ص٣٨٩.

(٨٧) خوري واسماعيل, المصدر السابق, ج١, ص٢٦١.

(٨٨) مراد, المصدر السابق, ص١١٧.

(٨٩) صالح, المصدر السابق, ص٨٥.

(٩٠) ابو زيدون, المصدر السابق, ص٢١٧.

(٩١) جورج لنشوفسكي, الشرق الأوسط في الشؤون العالمية, ترجمة: جعفر الخياط, (بغداد – ١٩٦٤), ص٣٩.

(٩٢) بيومي, المصدر السابق, ص٣٥ ؛ سعيد, المصدر السابق, ص٣١٠.

(٩٣) بن بريك, المصدر السابق, ص٨٦

(٩٤) منذ ان شكل الكونغرس الامريكي اللجنة الخاصة بعقد معاهدات الصداقة عام ١٧٨٤ مع الدول أدرج اسم الدولة العثمانية, وفي عام ١٧٩٩ عين (وليم سميث William Smith) مبعوثاً فوق العادة ووزير مطلق الصلاحية لدى الباب العالي للتفاوض حول المعاهدة, ورغم قبول سميث المهمة إلا انه لم يتلق اية تعليمات رسمية ولم يقم بالذهاب الى استانبول بسبب احداث الثورة الفرنسية وحروب نابليون وتعاطف الولايات المتحدة مع فرنسا لموقفها الداعم في حرب الاستقلال ضد بريطانيا, إلا ان ذلك لم يقف أمام نجاح

التجار الامريكيين في المحافظة على استمرار وصول سلعهم الى موانئ الدولة العثمانية. سلوى سعد الغالبي, العلاقات العثمانية – الامريكية (١٨٣٠ – ١٩١٨م / ١٢٤٦ – ١٣٣٧هـ), القاهرة – ٢٠٠٢, ص ص٥١ – ٥٢ ؛ العمري, المصدر السابق, ص٦٤

(٩٥) العمري, المصدر السابق, ص٦٤ ؛ محمد, المصدر السابق, ص٤٨.

(٩٦) كان يعمل مساعد جراح في وكالة بومباي البريطانية. ماكرو, المصدر السابق, ص٥٣.

(٩٧) طه, المصدر السابق, ص٤١ ؛ Ingrams, op. cit., p.50

(٩٨) الصفواني, المصدر السابق, ص١٤٦.

(٩٩) PlayFair, op. cit., p.226

(١٠٠) محمد عمر الحبشي, اليمن الجنوبي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً منذ ١٩٣٧ وحتى قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية, دار الطليعة, (بيروت – ١٩٦٨), ص١٠ ؛ سعيد, المصدر السابق, ص٣١١.

(١٠١) الصفواني, المصدر السابق, ص١٤٦.

(١٠٢) نقلاً عن: احمد محمود علو مهدي السامرائي, الحملة الفرنسية على بلاد الشام والموقف الاقليمي والدولي منها ١٧٩٩ – ١٨٠١, رسالة ماجستير, كلية التربية (جامعة تكريت - ٢٠٠٨), ص٩٤.

(١٠٣) الحبشي, المصدر السابق, ص١٠ ؛ احمد عطية المصري, النجم الاحمر فوق اليمن تجربة الثورة في اليمن الدمقراطي, ط٢, ص١٣, (بيروت – ١٩٨٦).

(١٠٤) اباظة, المصدر السابق, ص٨٥ ؛ طه, المصدر السابق, ص٤١.

(١٠٥) سالم, المصدر السابق, ص١٥٣ ؛ الصفواني, المصدر السابق, ص, ص١٤٧.

(١٠٦) الصراف, المصدر السابق, ص٢٨.

(١٠٧) سعيد, المصدر السابق, ص٣١١.

(١٠٨) اباظة, المصدر السابق, ص٨٥ ؛ الصفواني, المصدر السابق, ١٤٩.

(١٠٩) ماكرو, المصدر السابق, ص٦٣.

(١١٠) طه, المصدر السابق, ص٤٣.

(١١١) PlayFair, op. cit., p.226 ; Ingrams, op. cit., p.50.

(١١٢) طه, المصدر السابق, ص٤٣.

(١١٣) اباظة, المصدر السابق, ص٨٥.

(١١٤) الحبشي, المصدر السابق, ص١٠ ؛ الصفواني, المصدر السابق, ص١٥١.

(١١٥) PlayFair, op. cit., p.226.

(١١٦) ماكرو, المصدر السابق, ص٥٥ ؛ الصفواني, المصدر السابق, ص١٥٢.

(١١٧) الحبشي, المصدر السابق, ص ص١٠ – ١١ ؛ الصراف, المصدر السابق, ص٢٨.

(١١٨) احمد بن علي محسن العبدلي, هدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن, (بيروت – ١٩٨٠), ص١٣٦ ؛ احمد طربين, التجزئة العربية كيف تحققت تاريخيا؟, (بيروت – ٢٠٠٩), ص١٢٤.

(١١٩) Geprge E. kirk, Ashort History of the Middle East From the rise of Islam to modern times, (London – 1964), p.74.

(١٢٠) اباظة, المصدر السابق, ص٨٦ ؛ طه, المصدر السابق, ص٤٣.

(١٢١) الصفواني, المصدر السابق, ص١٥٣.

(١٢٢) الحبشي, المصدر السابق, ص١١.

(١٢٣) قحطان محمد الشعبي, الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن - عدن والامارت, (القاهرة – لات) , ص٢٥ ؛ بيومي, المصدر السابق, ص٣٧.

(١٢٤) الحبشي, المصدر السابق, ص١١ ؛ الشعبي, المصدر السابق, ص٢٥.

(١٢٥) ماكرو, المصدر السابق, ص٥٦ ؛ الشعبي, المصدر السابق, ص٢٥.

(١٢٦) اباظة, المصدر السابق, ص٨٦ ؛ الهيصمي, المصدر السابق, ص٧٥

(١٢٧) حسن صالح شهاب, اضواء على تاريخ اليمن البحري, ط٢, (بيروت – ١٩٨١) ص٢٢٩.

(١٢٨) هارولد يعقوب, ملوك شبه الجزيرة العربية, ترجمة: احمد المضواحي, (صنعاء – ١٩٨٣), ص ص٢٢ – ٢٣.

(١٢٩) أباظة, المصدر السابق, ص٨٦.

(١٣٠) الصفواني, المصدر السابق, ص١٥٤.

(١٣١) طه, المصدر السابق, ص٤٤ ؛ سعيد, المصدر السابق, ص٣١٢

(١٣٢) الشعبي, المصدر السابق, ص٢٦.

(١٣٣) المصدر السابق, ص٢٦.

(١٣٤) الحبشي, المصدر السابق, ص١١ ؛ العبيدي, المصدر السابق, ص٢٧.

(١٣٥) يعقوب, المصدر السابق, ص٣٢.

(١٣٦) اباظة, المصدر السابق, ص ص٣٦٥ – ٣٦٦.

(١٣٧) الصفواني, المصدر السابق, ص١٥٥.

دراسات

مفهوم الملكة اللغوية من منظور عبد الرحمن بن خلدون وعوامل اكتسابها

الأستاذ الدكتور / الدكتورة

محمد كنتاوي/ نسرين عطية

Received: 30/ 3/ 2024
Revised: 10/ 4/ 2024
Accepted: 20/ 4/ 2024
Published: 25/ 4/ 2024

أ.د.كنتاوي محمد/ جامعة أدرار
kantaouimed2301@gmail.com
د. عطية نسرين/ جامعة تامنغست
nesrineat83@gmail.com

مفهوم الملكة اللغوية من منظور عبد الرحمن بن خلدون وعوامل اكتسابها

The concept of the linguistic faculty from the perspective of Abdul Rahman bin Khaldun and the factors of its acquisition

الملخص:

الملكة اللغوية هي القدرة الفطرية على استخدام اللغة وتطويرها، وهي تنمو من خلال التفاعل الاجتماعي والممارسة. يعتبر ابن خلدون أن اللغة تتشكل في البيئة الاجتماعية والثقافية، وتتطور بالتكرار والممارسة. العوامل التي تساهم في اكتساب الملكة اللغوية تشمل البيئة اللغوية، العمر، التعليم، والتفاعل الاجتماعي. الأطفال يكتسبون اللغة بشكل طبيعي من خلال التفاعل مع الآخرين والاستماع إلى الكلام المحيط بهم. القدرة على النطق والاستماع تلعب دورًا مهمًا في تطوير اللغة، والدماغ لديه القدرة على معالجة اللغة وتخزين المعلومات اللغوية، وليس هذا فحسب فإن الملكة اللغوية او القدرة اللغوية مصطلح يطلق على قدرة الفرد على إدراك القواعد النحوية وتوظيفها.

الكلمات المفتاحية:

الملكة اللغوية؛ القدرة الاكتساب؛ السمع؛ العوامل.

Abstract:

Linguistic aptitude is the innate ability to use and develop language, which grows through social interaction and practice.

Khaldun considers that language is shaped within the social and cultural environment, and evolves through repetition and practice. The factors contributing to the acquisition of linguistic aptitude include the linguistic environment, age, education, and social interaction. Children naturally acquire language through interaction with others and by listening to the surrounding speech. The ability to speak and listen plays an important role in language development, and the brain has the capability to process language and store linguistic information. Moreover, linguistic aptitude or linguistic ability is a term that refers to an individual's capacity to perceive grammatical counts and employ them.

Keywords :

Linguistic aptitude; Acquisition ability; Hearing; Factors.

مقدمة:

كانت العرب في جاهليتها وقبل مجيء الإسلام تتكلم اللغة العربية فصيحة خالصة، فكانوا ينطقون الكلام معربا من غير تعليم يتلقونه، وظلت الملكة اللغوية سليمة إلى أن جاء الإسلام واختلط العرب بغيرهم من الأعاجم، فتأثرت لغتهم بلغات تلك الشعوب غير العربية مما أدى إلى فساد اللسان العربي، وانتشار اللحن مما جعل علماء اللغة الأوائل يسارعون لوضع القواعد النحوية لصون اللسان من اللحن ومن ثم الحفاظ على القرآن الكريم.فكان الإعراب هو المعوض عن تلك السليقة والعاصم من الزلل ومقوم الألسن، فأصبح وسيلة المستعرب وسلاح اللغوي البلاغي وأهم أداة للمسرع المجتهد.

ومن ثم زاد اهتمام الدارسين اللغويون بالنحو، فقعدوا القواعد واستنبطوا القوانين الإعرابية من كلام العرب قبل فساد تلك الملكة، فراحوا يقيسون على تلك القوانين، ويلحقون الأشباه بالأشباه: مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع، ثم رأوا تغيير الدلالة بتغيير الحركات؛ فاصطلحوا على تسميته إعرابا، فكان وسيلة لا غاية في حد ذاته، ومع مرور الزمن وزيادة المنشغلين به أصبح غاية لا وسيلة لإتقان العربية وتسهيل عملية تعلمها على من ليس هو عربي، كما أن المبالغة بتفصيلاته وشوارده ونوادره، صعبت من عملية تعليم وتعلم العربية الفصحى ليس في المواطن غير العربية فحسب، بل في الأوطان العربية أيضا، وفي هذا يقول شوقي ضيف: إنه قد فشل تعليم العربية الفصحى في الشرق الأوسط منذ فترات طويلة ويظهر هذا الفشل بشكاوى من جميع البلدان العربية أن الناشئين فيها غير قادرين على أداء العربية أداء صحيحا يظهر إتقان مهارات اللغة العربية من خلال تدريس النحو. يضاف إلى ذلك أن تعليم النحو في الأوطان العربية ليس علما لتربية الملكة واكتسابها عند المتعلمين، ولكنه في حقيقة الأمر علم يسعى إلى صناعة القواعد النحوية، مما أدى إلى عزوف المتعلمين عن تعلمه ودراسته، وبالتالي ضعف أداؤهم اللغوي تعبيرا وكتابة؛ مما أحدث فجوة بين ما يتعلمونه في المدرسة وبين ما هو عليه الحال في الواقع والمجتمع والحياة، هذا الذي جعلنا نقف أمام إشكالية حقيقة تحتاج إلى حلول واقتراحات قادتنا إلى طرح التساؤلات التالية:

ما مفهوم الملكة اللغوية عند ابن خلدون؟ وما هي سبل اكتسابها؟ وما العوامل الداعمة في ذلك وهل كل من اكتسب الملكة اللغوية يكون قد امتلك بالضرورة الملكة الإعرابية؟ ثم ما مدى تأثير الملكة الإعرابية على تنمية المهارات اللغوية؟ وفيما يأتي من مراحل البحث تفصيل لما تم إجماله.

١. تعريف الملكة:

١,١ في المعاجم اللغوية:

لقد تعددت المفاهيم اللغوية للملكة، وذلك راجع إلى تعدد المعاجم اللغوية ومن تلك المعاجم التي اعتمدناها في ضبط المعنى اللغوي للملكة لسان العرب لابن منظور حيث ورد فيه: "ملك الليث: الملك هو الله تعالى وتقدس، ملك الملوك له الملك وهو مالك يوم الدين، وهو مليك الخلق، أي ربهم ومالكهم"[١].

والملك: "ما ملكت اليد من مال وخول، والملكة: ملكه"[٢] مأخوذة من ملك، وهو كما قال ابن فارس: أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة، فيقال ملك الشيء ملكا: حازه وانفرد في التصرف فيه فهو مالك ويقال أملك العجين ملكا: قوى عجنه وشده ويقال: يملك نفسه عند شهوتها أي يقدر على حبسها.. وهو أملك لنفسه: أي أقدر على منعها من السقوط في شهواتها[٣].

وجاء في المعجم الوسيط: الملكة صفة راسخة في النفس أو استعداد عقلي خاص لتناول أعمال معينة بحذق ومهارة مثل الملكة العددية والملكة اللغوية والملك يقال هو ملكة يميني>قف وفلان حسن الملكة يحسن معاملة خدمه وحشمه. [٤]أما في مختار الصحاح: م. ل. ك. (ملكه) يملكه بالكسر (ملكا) بكسر الميم، وهذا شيء (ملك) يميني و(ملك) يميني، والفتح أفصح، و(ملك) المرأة تزوجها. ويقال ما في (ملكه) شيء وما في (ملكته) شيء بفتحتين، أي لا يملك شيئا، وفلان حسن (الملكة) أي حسن الصنيع إلى (مماليكه) ؟ أما معجم الرائد: مص ملك صفة راسخة في النفس قائمة على استعداد عقلي: (ملكة الخطابة، ملكة الموسيقى)، (هو ملك يميني) أي ما أستطيعه أو أملكه [٦].

فقد أجمعت هذه المعاجم على تعريف واحد للملكة، مفاده أنها صفة راسخة في النفس أو العقل مع وجود استعداد فطري، والملكة ملكات: لغوية، شعرية، موسيقية، خطابية...

والتعريف اللغوي للملكة لا يختلف كثيرا عن التعريف الاصطلاحي.

٢,١ **في علم المصطلح**:

إذا كان المعنى العام لمادة "ملك" هو الشدة والقوة، والقدرة على الشيء، فإن لفظ (الملكة) عند العرب قديما، له صلة " بالقوة شفي الخلق والطبع والسجية. [٧]

أما أبو حيان التوحيدي يربط فكرة الملكة اللسانية بغريزة أهل اللغة التي تحوي بناء وترتيبا، يسند إليهما في ممارسة الكلام ويشير إلى القضية ذاتها في موضع آخر؛ ما هي " إلا حال يأخذها المرء نفسه منش غير أن تكون مسنونة يجري عليها مجرى ما هو مألوف طبيعي". [٨]

أما ابن جني فنجده يعبر - في سياق حديثه عن الملكة اللسانية - بالطبع وهي ما به تمارس اللغة في أصل وضعها، فالملكة إذن: " توثب وهجوم على اللغة" أثناء الممارسة اللسانية فهو يقول في تحليله لأغلاط العرب: ... وأنهم ليست لهم أصول يواجهونها، ولا قوانين يحتكمون بها، وإنما يهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به" [٩].

أما الملكة عند ابن خلدون (٨٠٨ه): فهي كثيرة التردد والاستعمال عنده، وهي عبارة عن صفة راسخة تحصل نتيجة الفعل وتكراره مرات عديدة إذ يقول:" والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد الأخرى، حتى ترسخ صورته وعلى الأصل تكون ملكة" [١٠]وهي عنده مدخل لكل دراسة لسانية وغير لسانية، إذن فهي صفة راسخة في وجدان الكاتب أو اللغوي للتميز بين الخطأ والصواب ... وهي بمثابة معيار للتمييز بين الصحيح اللغوي من اللاحن. فابن خلدون يرى أن اللغات جميعها ملكات شبيهة بالصناعة؛ أي أن اللغة تتعلم كما تتعلم صناعة من الصناعات. والملكة عنده مهارة ثابتة

تكتسب عن التعلم سواء أتعلق الأمر باللغة أو بغيرها من الصنائع، وقد عرفها بأنها صفة راسخة يكتسبها الإنسان عن طريق التعلم وتحدث عن طريق التكرار والممارسة إذ يقول: " والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال؛ لأن الفعل يقع أولا وتعود للذات منه صفة، ثم تتكرر فتصبح حالا، ومعنى حال أنها صفة غير راسخة، ثم يزداد التكرار فتكون ملكة؛ أي صفة راسخة".[١١]

ولقد اخترنا من بين التعريفات السابقة للملكة تعريف ابن خلدون للملكة نظرا لإحاطته بجوانب الموضوع، من حيث ماهية الملكة وطرق اكتسابها، والعوامل المؤثرة على اكتسابها. فالملكة عند ابن خلدون تكتسب كباقي الملكات، كما كانت العرب تكتسبها في بيئتها اكتسابا طبيعيا فطريا، قائما على الاستماع والاستعمال والممارسة أثناء التواصل الاجتماعي، كما هو الشأن بالنسبة لاكتساب اللغة الأم عند أي طفل. فابن خلدون في حديثه عن الملكة لا يولي اهتماما للقواعد النحوية في اكتساب الملكة. إذ ليس كل من تمكن من القواعد النحوية يكون قد اكتسب الملكة اللغوية. فهو يرمي بحديثه عن نشأة الملكة إلى أن: "بنية الملكة اللغوية تنشأ في مستوى التراكيب النحوية لا في مستوى المفردات اللغوية، أي أن تعلم اللغة يتم بتعلم التراكيب لا بتعلم المفردات اللغوية المنعزلة. [١٢]وخلاصة القول إن كل من اكتسب الملكة اللغوية يمتلك الملكة الإعرابية بالضرورة، وفيما يلي بيان طرق اكتساب اللغة عند ابن خلدون.

٣,١ ملكة اللسان العربي:

إن لغة العرب أبرز اللغات السامية[١٣]أغناها كلامًا وأوفرها ألفاظًا وأوسعها مذهبًا وأعرقها قدمًا[١٤]وأكثرها استيعابًا لكل ما يقع تحت الحس أو يخطر على بال[١٥]فهي تناسب البحث العلمي في مختلف مجالاته ومذاهبه، وتحتوي إلى ذلك كل ما يحققه الباحثون من نتائج وقوانين. وليس لأحد أيًا كان، باحثًا متخصصًا أو غير متخصص أو عالمًا أن يحيط بها.

ويسوق "محمد عطية الأبراشي" في هذا المقام كلامًا لابن فارس إذ قال:« إن لغة العرب لم تنته إلينا بكليتها، وإن الذي جاءنا عن العرب قليل غير

كثير، وإن كثيرًا من الكلام ذهب بذهاب أهله، ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير، وكلام كثير»[١٦].

ولا تذكر كتب التاريخ اهتمام العرب قبل فساد الملكة، بدراسة علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وما إلى ذلك مما يصون لغتهم أو يميز صحيحها من عليلها[١٧]فكانوا أبعد الأمم عن الصنائع، لأنهم أهل بداوةٍ: «والصنائع من منتحل الحضر..»[١٨]واستمروا على هذه الحال حتى مجيء الإسلام الحنيف والقرآن ذي الذكر الحكيم، محافظين على سليقتهم وملكتهم اللسانية فلم تكن بهم حاجة إلى طلب علم اللغة أو تدريسه أو تلقينه، ولا حاجة بهم إلى تفسير كلام الله العزيز القدير، أو شرح أحاديث الرسول الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم[١٩].

واللغة العربية على هندمة أوضاعها - كما يشير "السيد احمد الهاشمي" (١٨٧٨- ١٩٤٣م)- وتناسق أجزائها، لغة قوم أميين:[٢٠]وجدير بنا أن نشير هنا إلى أن صفة الأمية هذه كانت ملازمة للعرب قبل الإسلام وبعده، حتى وهم يتلون القرآن الكريم أو يتدارسونه، لكنهم حملوه - على أميتهم- في صدورهم منزهًا من الزلل والنقصان، وما كانت بهم حاجة إلى تفسيره أو شرحه، فقد فهموه سليقةً، وأدركوا معانيه ووقفوا على أحكامه كما أنزلت، فقيل لهم القراء وهم حملة القرآن[٢١]« فهم قراء لكتاب الله والسنة المأثورة...»[٢٢].

وعليه كانت الملكة اللسانية عند العرب أحسن الملكات[٢٣]وأبعدها عن الغموض، و يرى "ابن خلدون"[٢٤](ت٨٠٨هـ) أن ذلك: « لدلالةِ غير الكلمات فيها على كثير من المعاني. مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من المجرور أعني المضاف، ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال أن الحركات من غير تكلف ألفاظ أخرى. وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب »[٢٥]واللغة - في منظوره-:« عبارة المتكلم عن مقصوده. وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم...»[٢٦].

ويتفق "ابن خلدون" في كلامه الذي سبق عن اللغة مع أسلافه، أمثال "أبي الفتح بن جني" (ت٣٩٢هـ) عندما قال عن اللغة في خصائصه من "باب

القول على اللغة وما هي":« أما حدّها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم...»[٢٧]وليس عجيبًا أن تبلغ لغة من لغات البشر هذه المنزلة، أو تحقق ذلك الثراء أو تكون بتلك القوة، إذا توافرت لديها عوامل النمو، ودوافع البقاء وأسباب الحياة.

لكن إذا كانت اللغة العربية أو اللسان العربي لسان أمة واحدة من أمم العالم، فما الداعي إذًا إلى تغيُّرها ؟؛ وبتعبير أدق: كيف يكون في لغة واحدة لغة مهجورة أو مهملة وأخرى مستعملة فصيحة، أو كما يفضل باحثون آخرون القول: أجزاء باقية وأخرى باقية ؟!، هذا إذا علمنا أن الأولى أقدم وجودًا وأسبق من التالية، ثم كيف يؤثر اختلاط الأمم بعضها ببعض على لغة إحداهما ؟.

إن تعاقب الأجيال وتداول العصور واختلاف الأزمنة عوامل كافية للتغيير والتبديل، وإن هي لم تدفع بأمرٍ إلى الانقراض، تساهم في تحويله وتطويره (تغييره) وتنميته. ومنذ القرن السادس (٦م) بعد ميلاد سيدنا "عيسى عليه السلام"، كان معظم سكان الجزيرة العربية يتداولون لغة واحدة هي اللغة العربية، واستمر نقلها بين القبائل بالرواية (النقل)، إذ أن كل ما وصل إلينا من دواوين العرب: أشعارهم وآدابهم وأخبارهم، وكل ما ينسب إلى العصر الجاهلي لم يكتب أو يدون قبل ذلك العصر.[٢٨]غير أن تأخر التدوين طوال تلك العقود الزمنية كان عاملاً أساسيًا في تغيير مقومات هذه اللغة وتطويرها، وأحيانًا تعدد الروايات لوجه لغوي واحد أو ظاهرة لغوية معينة أو خبر أدبي مميز.

ويرجح الباحثون بدايةً تغير اللغة العربية إلى اختلاط العرب بالأمم الأعجمية بعد ظهور الإسلام وغلبته، وتحديدًا بسبب الفتوحات الإسلامية، فكان التأثر متبادلاً بين اللغة العربية واللغات الأجنبية، فدخلت إلى العربية مفردات من الآرامية والقبطية والبربرية والفارسية والتركية.[٢٩]

وظل اللسان العربي مرآة تعكس كل ما أحاط به من اضطرابات وظواهر منذ وجوده، حتى وصوله إلينا على الصورة التي نتداولها اليوم، فطرأ عليه التغيير، فكلام العرب أهل البادية قديمًا يختلف عنه في بعض مقوماته لدى العرب أهل الحواضر، ومن لانت جلودهم، واكتسب صفات جديدة بعد نزول

القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، واستمر ذلك التغير في العصور التي تلت عصر الإسلام حتى عصرنا. وهذا ما رمى إليه "ابن خلدون" حينما تحدث عن ملكة اللسان العربي، وقال: « إنما هي ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الأول كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا. فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك، الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم، تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمستعربين (المتعربين من العجم)...»:[٣]

ولم يتوقف الأمر عند هذا فحسب، بل تعداه إلى فساد المعاني وفساد الموضوعات،[٣]وكان أمرًا طبيعيًا ومنطقيًا، فالأعاجم الذين توافدوا على الدين الجديد الذي ظهر في الجزيرة العربية ما كانوا ليحسنوا الكلام بلغة هذا الدين الذي-كما سبق- جاء بلسان عربي.

٤,١ فساد الملكة اللغوية وظهور اللحن:

إن اللغة ملكة في اللسان، شأنها شأن الخطّ الذي هو صناعة ملكتها في اليد،[٣٢]وكما هو معروف لدى أهل التخصص أن العجمة إذا تقدمت في لسان واستحكمت فيه فسُدت ملكته وصار مقصرًا في اللغة العربية، وإذا حصل هذا فكيف يتسنى لصاحب هذا اللسان فهم معاني الألفاظ، وأنّى له الإحاطة بدلالاتها علمًا.[٣٣]والنتيجة من ذلك كله: تسرب الفساد إلى اللغة العربية وهو في اصطلاح اللغويين اللحن، مع أن زعماء العرب وأئمتهم كانوا حريصين[٤]أشد الحرص في زمن مبكر على تعلم اللغة العربية، وتعليمها بدافع فهم الدين الإسلامي الحنيف، وسنة "الرسول البشير صلى الله عليه وسلم"، من طرف المسلمين العرب من جهة، ومن أخرى المسلمين الأعاجم، قبل أن يكون الدافع خوفهم على لغتهم من تفشي اللحن أو فساد السليقة.[٣٥]

ولم يشعر أحد من ولاة أمور المسلمين عامة ومن العرب خاصة، بالحاجة إلى تفسير كتاب الله تعالى، أو تقييد الحديث مخافة ضياعه إلا بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية وامتداد حدودها خارج الجزيرة العربية، فبات من الواجب التحقق من الأسانيد والروايات.[٣٦]وقد صدق حدس الأوائل فما هي إلا سنوات بعد انتشار الإسلام ودخول الناس فيه أفواجًا حتى لانت جلود العرب في البوادي

بعد الحواضر-وقد أشرت إلى هذا- واستسلموا للوافدين عليهم، ودبَّ اللحن في أوصال العربية حتى طال آياتٍ من الذكر الحكيم وأحاديث من السنة الشريفة[٣٧] وفي هذا الشأن قال "ابن خلدون" (ت٨٠٨هـ):« ثم احتيج إلى معرفة الأسانيد وتعديل الناقلين (الرواة) للتمييز بين الصحيح من الأسانيد وما دونه؛ ثم كثُر استخراج أحكام الوقائع من الكتاب والسنة وفسد مع ذلك اللسان، فاحتيج إلى وضع القوانين النحوية...»[٣٨]غير أن أمراء العرب في ذلك الوقت- كما ذكرْت- لم يدّخروا مالاً ولا جاهًا أو سلطانًا[٣٩]في سبيل صدّ ما حاق بالعربية أو ما قد يحيق بالملكة اللغوية وسليقة العرب من ضرر:[٤٠]

وبات من واجب أهل الشريعة الإسلامية عامة وأمة العرب خاصة الاهتمام بعلوم اللسان العربي، بأركانه الأربعة: اللغة والنحو والبيان والأدب؛ وإلا فما السبيل لفهم الدين ؟، والكلام للعربي المسلم والعجمي الذي مثله على السواء في هذه الحال، إذا عرفنا أن الكتاب والسنة وما تضمناه من أحكام شرعية كلها بلغة العرب وقد تواترا جيلاً بعد جيل، نقلاً وكتابةً، أي سماعًا ومدونات مخطوطات[٤١]فأخذوا هذه العلوم بعين الاهتمام، ومُقَدَّمها- يقول "ابن خلدون"- :« النحو، إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة،... فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة، إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملةً، وليست كذلك اللغة...»[٤٢]

ويبدو مما سبق أن اللوم كثير واقع على عاتق الأعاجم، وإليهم يرد سبب فساد ملكة اللغة؛ والحقيقة أنه: بقدر ما كان بعضهم سببًا في هدم هذه الملكة كان آخرون خَدَمةً للغة العربية مخلصين لها، عاملين على فهمها وتفهيمها، وهم في ذلك مجتهدين، لا يرهقهم الوقت وطول الأمد، ولا يوهنهم تباعد المسافات ولا تشغلهم العصبية أو الحقد عن أهدافهم النبيلة[٤٣]ولما كان العجم أصحاب حضارة وصنائع وحرف[٤٤]كالفرس مثلاً- كان من السهل على من يتوجه منهم لطلب علمٍ أو رغبةٍ في جاه، أو سعيًا وراء سلطان، أن يحقق مبتغاه أو يبلغ مقاصده.

ألا ترى أن صاحب صناعة النحو "سيبويه" (ت١٨٠هـ) و"الزجاج" (ت٣١١هـ) و"الفارسي" (ت٣٧٧هـ) من بعده كانوا أعاجم نسبًا؟، غير أنهم نشأوا في بلاد العرب وخالطوهم منذ صباهم وصنعوا من الدرس اللغوي فنًا لمن

بعدهم، ومثلهم رواة في الحديث وعلماء في أصول الفقه، ومفسرين لكتاب الله[٤٥] ؟.

٢. المهارات الداعمة في اكتساب ملكة اللغة العربية عند ابن خلدون:

إن اكتساب الملكة اللغوية عند ابن خلدون يقوم أساسا على النظرة الطبيعية والفطرية التي اعتمدتها العرب في اكتسبها للغة من البيئة الطبيعية لها على السليقة قبل أن يختلط اللسان العربي بالعجمي؛ بدخول العجم في الإسلام، ومن تلك الطرق التي وضعها ابن خلدون لاكتساب الملكة اللغوية ما يلي:

٢,١ السمع والاستماع:

يعد السمع أحد أهم الوسائل التي اقرها ابن خلدون في حصول الملكة اللغوية، فالسمع في نظره أبو الملكات اللسانية؛ وقد كانت ملكة اللغة العربية تكتسب طبيعيا بالسمع حين كان المتكلم ينشأ في وسط لغوي كله عربية فصحى، حيث الصبي تتلقى أذنه التراكيب والصور اللغوية وطرق الأداء الكلامي، فيعبر عن مقاصده وفق الأساليب التعبيرية التي أكتسبها من البيئة اللغوية التي ترعرع فيها، وهذا ما أراده ابن خلدون من قوله:" فالمتكلم من العرب حين ملكة اللغة العربية موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولا ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم".[٤٦]

يفهم من قول ابن خلدون أن لا بد للسمع من بيئة لغوية مناسبة لاكتساب اللغة، وهذا الذي ينبغي التركيز عليه في المناهج التعليمية في مختلف الأطوار التعليمية، من خلال برمجة الأنشطة اللغوية العربية، كالمحادثة اليومية، أو الأنشطة الأخرى كالخطابة، والمسرح... وإلى ضرورة البيئة اللغوية ودورها في اكتساب اللغة يقول أحمد أمين: «كان العربي الذي يعبر بلسانه خريج الطبيعة والبيئة". [٤٧]ولذا وجب الاهتمام بمهارة الاستماع والحرص على إكسابها للمتعلمين وتطويرها، فالاستماع المكثف للغة، من شأنه أن يشحذ قريحتهم وينمي

ملكتهم اللغوية، وهو ما يسمى في سياق الانغماس اللغوي بالتعرض المباشر للغة في ظل مواقف سياقية متنوعة». [٤٨]

نستنتج مما سبق أن البيئة الطبيعية للغة لا يتركز الاهتمام فيها على قواعد اللغة، وإنما الاهتمام بالمحتوى الكلامي الاتصالي، أو فحو الخطاب. ومن هنا وجب تمرين أذن المتعلم على طول الاستماع وكثافته وتنوعه ليعوده على قانون لغوي، ونمط تعبيري معين يكسبه مهارة التصويب الذاتي للمسموع والمكتوب وهذا من أسمى المهارات التي يسعى بحثنا إلى تحقيقها.

٢,٢ **حفظ المكتسبات:**

أشرنا فيما تقدم إلى أهمية مهارة السمع والاستماع أو السماع ودوره في اكتساب الملكة اللغوية التي فسدت بسب اختلاط العرب بالعجم لذلك لم يعد السمع كافيا لاكتساب اللغة العربية الفصحى. إذ لا بد من أمر مساعد له وهو الحفظ لكلام الفصيح المثمثل في النصوص العربية الراقية في أزهى عصورها فابن خلدون يرى أن الحفظ لكلام العرب القديم من الأمور المساعدة على اكتساب الملكة اللغوية؛ وقد جعل القرآن الكريم والحديث الشريف من أول ما ينبغي أن يحفظ ابتغاء هذه الملكة، ثم يأتي بعد ذلك كلام السلف عامة ثم كلام فحول العرب، قال ابن خلدون:" ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن الكريم والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم ... حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم منزلة نشأ بينهم" [٩]يفهم من كلام ابن خلدون أن حفظ الكلام الفصيح وسيلة مثلى لصناعة الملكة العربية؛ إذن فالحافظ للكلام الفصيح يجد نفسه يترسم خطى العرب في كلامها واستعمال أساليبها ، ويظهر ذلك جليا في محادثاته الشفهية وتعبيراته الكتابية.

إن الحفظ في التراث العربية ضرورة لما له من فوائد في تعليم اللسان العربي وفي تعليم الأخلاق والشيم العربية، فقد أورد ناصف معروف ناصف نصا لابن سينا يقول فيه: "ينصح ويحض فيه على تلقين الأطفال آيات القرآن الكريم وأبيات الشعر التي تحث على الفضائل وتنهى عن الرذائل" [٥٠]

ولكن الحفظ غير كاف لاكتساب ملكة العربية إذ لا بد للحفظ من فهم واستعمال ومحاكاة العرب في مختلف الأساليب البلاغية في كلامها. وهذا الذي ينبغي التركيز عليه في البرامج التعليمية لاسيما، تدريس مادة اللغة العربية، فحمل المتعلمين وتشجيعهم على حفظ النصوص الراقية يعينهم على اكتساب الأسلوب الجيد ينعكس على كتاباتهم ومحادثاتهم، أي أن للحفظ تأثيرًا كبيرًا على المهارات اللغوية إدخالا وإخراجا.

٢,٣ فهم المحفوظ(منتوج الحفظ):

سبق وأن أشرنا إلى أن الحفظ وحده لا يكفي لامتلاك الملكة اللغوية، بل لابد من أن يصحب بأمر مهم وهو الفهم؛ إذ الفهم يمّكن الحافظ من استثمار محفوظه أثناء التعبير عن أفكاره محادثة أو كتابة؛ ولكن لا بد من فهم ذلك المحفوظ. إذ لا يمكن أن يتصرف المتكلم فيما حفظه ما لم يفهمه، وفي ذلك يقول ابن خلدون:" ... ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما حفظة من أساليبهم وترتيب ألفاظهم فتحصل له هذه الملكة بالحفظ والاستعمال" وقد أقرّ ابن خلدون بجودة مذهب ابن عربي في التعليم وهو مذهب يدعو إلى الفهم قبل الحفظ وأنكر المذهب الذي كان يبدأ بتحفيظ القرآن، حيث قال:" ويا غفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله في أول عمره، يقرأ ما لا يفهم.." [١]إلا أن الفهم لدى المتعلمين يختلف من مرحلة عمرية إلى أخرى، لذلك وجب على القائمين على وضع المناهج مراعاة النصوص التي تتماشى وقدرات المتعلمين على فهمها، ونذكر في هذا المقام ما كنا كثيرا ما نسمعه من بعض مشايخ المدارس القرآنية: " احفظوا ويأتي اليوم الذي تفهمون فيه ما حفظتم" أي أنهم مدركون أهمية الفهم للمحفوظ، وأن الفهم يختلف باختلاف المراحل العمرية للمتعلمين.

إن نظرة ابن خلدون وقبله ابن عربي تقف على قدم المساواة مع نظرة المناهج الحديثة إلى المتعلم الذي لم يعد وعاء فارغاً يجب ملؤه عن طريق التلقين وحمله على حفظ المعارف والنصوص دون فهم واسترجاعها عندما يطلب منه ذلك مما جعل من المتعلم متلقيا سلبيا ليس له القدرة الكافية لحل المشكلات التي

تعترضه في حياته. ونحن نوافق هذا الرأي الداعي للفهم قبل الحفظ مع مراعاة المراحل التعليمية للمتعلمين.

٢,٤ الشيوع في الاستعمال:

يُعد الاستعمال أمرًا بالغ الأهمية؛ فهو يأتي في المرتبة الرابعة بعد السمع، والحفظ، والفهم لاكتساب اللغة العربية والفصحى ويقصد به استخدام المتعلم ما حفظ وما فهم في أساليبه، ومن طبيعة الحال ليس المقصود هنا أن يستظهر ما حفظ بل أن ينسج كلاما على منوال ما حفظ وما فهم، أي أن تصبح لديه القدرة على محاكاة كلام العرب. وقد عبر ابن خلدون عن هذا المعنى باستعمال فعل يتصرف، حيث قال: " ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم، فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال"[٥٢] ولكي يكون الاستعمال مجديا وفعالا لابد من وجود أو خلق بيئة مناسبة تحاكي البيئة الطبيعية لتعلم اللغة كالمدارس الخاصة ودور الحضانة، والمدارس القرآنية والجامعات، ومن ثم تنشئة الأجيال وإعدادهم لاستعمالها خارج أسوار المؤسسات والمدارس التعليمة، وهذا ما يراه الكثير من الخبراء وأدركوه من خلال تجربتهم في البحث اللساني" لقد تبين أصحاب الخبرات الطويلة في البحث اللغوي واللساني وتعليم العربية، أن أفضل طريقة لتعليم اللغة وأيسرها وأقربها إلى الطبيعة هو خلق بيئة سماعية تنطق فيها اللغة الفصيحة بمفرداتها وتراكيبها وعباراتها الثرية المضامين". [٥٣]

ونجاح هذه التجربة في تجسيد فكرة إنشاء حضانة لغوية لمصطفى عبد الله الدنان خير دليل على ذلك، كما تعتبر المدارس القرآنية حسب رأينا - من أقرب البيئات إلى البيئة الطبيعية لاكتساب اللغة؛ وذلك لوجود بعض العوامل المساعدة على ذلك كحفظ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريف، والعديد من المتون العلمية الشعرية والنثرية، والشعر العربي كالمعلقات السبع ولامية العرب وبعض الدواوين. فبعد حفظ المتعلم لما ذكر سابقا وفهمه عن طريق التفاسير وشرح تلك المتون والأشعار من طرف المعلم (الشيخ) يكون المتعلم قد امتلك رصيدا لغويا معتبرا، وأساليب عديدة ومتنوع، ولكن تفتقر تلك البيئة إلى عامل

الاستعمال لتوظيف تلك الأساليب المختلفة والعبارات والألفاظ للتعبير عن مختلف الأغراض والمعاني أثناء عملية التواصل، وإلا سيبقي عقل المتعلم مستودعا لما حفظ. فتدريب المتعلمين على استعمال أمر ضروري.

إذن فبيئة المدارس القرآنية تتوفر على بعض شروط اكتساب الملكة اللغوية، كالاستماع والحفظ للنصوص اللغوية المختلفة والفهم؛ لذلك نلمس تميزا واضحا في أسلوب المتعلمين الذين زاوجوا بين التعليم في المدرسة القرآنية والنظامية أثناء محادثاتهم وتعبيرهم من خلال اقتباسات واستشهاد اتهم وهذا ما لاحظناه من تجربتنا الخاصة أيضا. والشيء ذاته بالنسبة لتعليم النحو العربي عن طريق حفظ متون النحو العربي؛ بدءا بمتن الأجرومية ثم ملحة الإعراب ثم ألفية ابن مالك و شذور الذهب ولامية الأفعال، وبعد يتلقى المتعلم شرحا لتلك المتون من قبل المعلم (الشيخ) في حلق التدريس الموزعة على أيام الأسبوع.

٣. العوامل المؤثرة في الملكة:

إن الملكة الإنسانية مثلها كمثل أي صفة إنسانية طبيعية كانت أم مكتسبة قد تعترضها بعض العوامل تؤثر فيها، وقد أشار ابن خلدون إلى التغيير الذي يطرأ على الملكة اللسانية أثناء ممارستها أو استعمالها، مما أدّى إلى فسادها؛ ومن تلك العوامل: (الاختلاط والعجمة).

١,٣ اختلاط الأمم:

يُعد الاختلاط عاملا من العوامل المؤثرة في الملكة اللغوية، بل يؤدي إلى فسادها، وقد عبر عنه بعض الباحثين بمصطلح (تسمم اللغة) [٤]وهذا يجعلنا نقف على ملاحظة وهي تعليم اللغات الأجنبية في السنوات الأولى إلى جانب اللغة العربية، قبل إتقانها، أما ابن خلدون فيرى أن فساد اللغة لا يكمن في البنية الإفرادية، بل هو في بنية التراكيب من اللغة، عن طريق أخذ تراكيب اللغات الأعجمية المغايرة لتراكيب هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم، وسبب فسادها أن الناشئ من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد أخرى غير التي كانت للعرب من غيرهم ويسمع كيفيات للعرب أيضا، فاختلط عليه الأمر، وأخذ من هذه وهذه فاستحدث وكانت ناقصة من الأولى، وهذا معنى فاسد اللسان

العربي"[٥٥] فابن خلدون يخص اللغة العربية دون اللغات الأخرى، وتأثرها بالاختلاط الناتج عن دخول الأمم الأخرى في الدين الإسلامي، واللغة العربية هي لغة التشريع والعبادة، وجد الأعاجم أنفسهم بحاجة إلى تعلم العربية، وضرورة الاحتكاك بالعرب ماسة فنجم هذا الاختلاط الذي كان سببا في فساد الملكة اللسانية عند العرب، وفي ذلك يقول: " فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك، الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمتعربين من العجم والسمع أبو الملكات اللسانية" [٥٦]

يؤكد ابن خلدون أن الاختلاط مدعاة لفساد الملكة وحصول ملكة أخرى ناقصة عن الأولى، ومن هنا نشير إلى ملاحظة مفادها أن من أهم أسباب ضعف اللغة عند المتعلمين في مختلف الأطوار التعليمية هو اختلاف المعلمين في لغة التدريس، فتكاد اللغة العربية الفصحى أن تكون محصورة في حصة اللغة العربية وبدرجة قريبة في العلوم الإسلامية، أما المواد الأخرى فتدرس بالعامية فهذا يحدث نوعا من الاختلاط بين الفصحى والعامية، مما يؤثر على الملكة الإعرابية أيضا؛ لأن سلامة اللغة عامل مهم في اكتساب الملكة الإعرابية، والتي بدورها تؤثر في تنمية المهارات اللغوية.

١,٤ العجمية:

تناول علماء اللغة الأقدمون مسألة العجمة، لما تعلق الأمر بالدرس اللغوي؛ حيث صنفوا الأعاجم إلى صنفين: صنف أجنبي عن العرب كلية لغة وعرقا، وصنف ثان مولد، وهو في عداد الأعاجم عند الأقدمين أيضا حتى وإن كان فصيحا؛ لأن علماء اللغة ربطوا بين العنصر واللغة؛ فاللغة الفصيحة متأصلة عند العربي الأصيل، وهي لغة موثوق بها ويحتج بها، أما المولد والأعجمي فلغتهما ليست كذلك. وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى مسألة العجمة مبينا ما لها من أثر على الملكة اللسانية وسبب فسادها، ذلك أن الأعاجم كانت لهم ملكة لغوية غير العربية، ولما دخلوا في الإسلام وجدوا أنفسهم مضطرين للنطق بالعربية مستعينين في تحصيلها على الاحتكاك بالعرب، والاعتماد على قواعد اللغة العربية أيضا، فابن خلدون يرى أن النفس البشرية لا

تتسع إلا لملكة واحدة، وإن تعددت الملكات تكون ناقصة، مثل التخصصات العلمية في العصر الحديث. وفي هذا يقول: " وقد تقدم لنا أن اللغة ملكة في اللسان، وكذا الخط صناعة ملكتها اليد فإذا تقدمت في اللسان ملكة العجمة صار مقصرا في اللغة العربية لما قدمناه من أن الملكة إذا تقدمت في صناعة بمحل فقل أن يجيد صاحبها ملكة في صناعة أخرى"[٧]ومعنى ذلك أن الإنسان بإمكانه أن يتعلم لغة ثانية غير أنها تكون أقل إحكاما من الأولى.

إذن فالعجمة سبب من أسباب ضعف أو فساد الملكة، إلا أن العجمة عند ابن خلدون ليس المقصود بها النسب، كما هي عند القدماء من اللغويين الذين حصروا ملكة اللسان العربي على الأقحاح منشأ ونسبا.

بعد الحديث عن الملكة وعوامل اكتسابها وكالعوامل المؤثرة فيها من اختلاط وعجمة، ارتأينا أن نقف على نقطة بحثية بالغة الأهمية، لاسيما في حقل تعليمية اللغة العربية ألا وهو تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها لإكسابهم.

٤. تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها:

نظرا لأهمية اللغة العربية ومكانتها بين اللغات، فقد لوحظ إقبال الكثير من الناطقين بغيرها على تعلمها، لأغراض عدة: إما علمية، وذلك رغبة منهم في توسيع معرفتهم، وثقافتهم، ورغبة في تعلم لغة جديدة، وإما لأغراض دينية؛ وذلك لدخولهم الإسلام وحاجتهم إلى تعلم العربية لأداء عباداتهم وفرائضهم بطرق صحيحة، وقد برز نقاش كبير حول ما الاستراتيجيات والطرق المناسبة لتطوير تدريسها وتعلمها، فكانت المهارات هي أساس الظاهرة اللغوية والأداء السليم لها، وكان امتلاك المتعلمين لها يعد شرطا أساسيا لتحقيق كفايات التعلم في مختلف مكوناتها.

ويعد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بها من أهم الإشكالات التي اهتمت بها المنظومات التربوية في مختلف الأقطار العربية، لذلك فالمعلمون يجمعون على أن تعليمها لغير الناطقين بها يكون باللغة العربية الفصحى وليس باللهجات العامية؛ لأن هذه العاميات تعجز عن تلبية حاجيات الأجانب في التعلم

وفي مناحي الحياة المختلفة، فالمدرسون يرون أن تدريس اللغة العربية لتلك الفئة يكون على عدة مستويات"[٥٨]وهي كالآتي:

١) مهارة تلقي الأصوات:

تصدى علماء اللغة الأوائل لظاهرة العجمة واختلاط بعض الحروف ببعضها؛ حيث تناولوا شرح مخارج الحروف بالتفصيل، ومن بينهم الخليل صاحب أول معجم، كما كان كتاب بن سينا" أسباب حدوث الحروف" كتابا مهما في الحديث عن مخارج الحروف وصفاتها، كما تحدث عن الحروف الشبيهة في اللغات الأخرى. إن مما ينبغي أن يراعيه معلم اللغة العربية لغير الناطقين بها في هذا المستوى هو تعليم أصوات اللغة العربية لتمكن الأجنبي من معرفة مخارج الحروف، وهي عشرة مخارج: الشفوي، والشفوي الأسناني، والأسناني اللثوي، والجانبي، والغاري والطبقي، واللهوي، والحلقي والحنجري، فقد لاحظ الدارسون أن الأصوات العربية تغطي الفراغ بأكمله من أقصى الحلق إلى الشفتين والعكس.[٥٩]

ويرى الباحثون أن اللغة العربية لديها أكبر عدد من المخارج الاحتكاكية بالمقارنة مع لغات أخرى، كالانجليزية والاسبانية والروسية، فبلغ عدد مواضع الاحتكاك سبعة، أما في تلك اللغات فتتراوح بين الخمسة والثلاثة مواضع لذلك يبدأ المعلم بهذا المستوى؛ لأن المتعلم الأجنبي يجد صعوبة في نطق بعض الأصوات لعدم وجودها في لغته الأم كالصوتين اللهوي والحلقي، والتي يصعب نطقها عليهم كصوت الحروف التالية: (ح، ع، ق، خ) فيستبدلونها بأصوات أخرى فلذا وجب على المعلم التركيز على هذه المفارقات حتى يكتسب الطالب هذه المهارة فيقدم لهم بعض الكلمات التي تحتوي على صورة ثنائيات وكذلك بإيجاد كلمتين متشابهتين بجميع الأصوات ما عدا الصوت الذي يكون مصدر الصعوبة مثل: علم / ألم فالصوت المنطوق من الطالب يكون ألم، فهنا يجب توضيح المعنى عن طريق تقديم الرسومات والصور الواضحة للطالب.[٦٠]

ونلاحظ هذا الأمر مع الرعايا الأفارقة الذين كثر تواجدهم في الجزائر، يتحدثون اللغة العربية الفصحى مع وجود صعوبة في نطق تلك الحروف المذكورة، أو أثناء تلاوتهم القرآن وتعلمه، لذلك ينبغي للمتعلم أن يولي اهتماما

كبيرا لتدريس الأصوات والشيء ذاته بالنسبة لبعض الناطقين ببعض اللهجات المختلفة في الجزائر والتي تعتبر اللغة الأم عندهم كالأمازغية والتارقية فإنهم يجدون صعوبة في نطق بعض الحروف نظرا لطبيعتها أو مكان مخرجها فيستبدلونها بغيرها كاستبدال الغين بالقاف والحاء بالخاء..

٢) مهارة الكلام:

بعد تدريس المستوى الأول في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها والمتعلق بالأصوات، يأتي مستوى تدريس الكلام، ويركز المتعلم في هذا المستوى على تعليم الطلاب بعض التعبيرات البسيطة مثل: هذا ثم يحول صيغة العبارة إلى سؤال مثل: هل هذا قام ويجيب المتعلم بنعم أو لا، ومن ثم يبدأ المعلم بتغيير الأسلوب كأن يسأل على سبيل المثال: هل هذا قلم أم...؟ ويترك المجال للمتعلمين بالإجابة. ويستحسن أثناء تدريس هذا المستوى الاستعانة ببعض الوسائل التعليمية التوضيحية كالصور أو مجسمات الأشياء للخضر والفواكه والحيوانات والرسومات ثم نكون جملة مكونة من اسم إشارة فنقول: هذا الشيء المراد تعلمه ويطلب المعلم من الطلاب أن يرددوا الجملة خلفه. كما يمكن الاستعانة ببعض التطبيقات التعليمية.[٦١]

٣) المهارات اللغوية:

يقوم المعلم أثناء تدريس النحو أو القواعد بتحديد مستوى الطلبة أولا، ليقوم إما بإتباع النحو النظري، أو النحو الوظيفي معتمدا القاعدة ثم التدريب عليها؛ وفي هذا المقام يقوم بالأنشطة الأساسية لتدريس القواعد وتتمثل في:

أ. مهارة الاستبدال:

إن نشاط التدريب على الاستبدال يعتبر أبسط صورة للتدريب على التراكيب النحوية، حيث يبدأ المتعلم في هذا المستوى بترديد الجملة عدة مرات، ثم يقوم بعملية الاستبدال بإحدى الكلمات كلمة أخرى لها نفس الوظيفة؛ سواء أكانت جملة اسمية أو فعلية مثل: العلم نافع فيستبدل كلمة العلم بكلمة الصبر نافع وهكذا بالنسبة للجملة الفعلية مثل: حضر الطالب ، فيستبدل المتعلم كلمة حضر

بغاب فمن خلال هذا النوع من التدريب يتمكن من ترسيخ القواعد النحوية وامتلاك القدرة على الإعراب، وهذا ما لاحظناه في ميدان التدريس في المدرسة النظامية والقرآنية.

ب. مهارة تحويل الجمل:

يقوم المعلم في نشاط تدريب التحويل بتدريب المتعلمين على تحويل الجمل من صيغة إلى أخرى؛ كتحويل الجملة المثبتة إلى جملة منفية مثل: " نزل المطر. جملة مثبتة يحولها المتعلم إلى جملة منفية فتصبح لم ينزل المطر. أو تحويل الجملة التقريرية إلى جملة استفهام، مثل: الأرض تدور" فتصبح: "هل الأرض تدور؟ أو تحويل المفرد إلى المثنى مثل: حضر الطالب / حضر الطالبان. أو تحويل جمع الذكور إلى جمع الإناث مثل: نجح المجتهدون / نجحن المجتهدات. وهذا النوع من التدريب لا يزال معمولا به في تدريس اللغة.

ج. تركيب الجملة:

هنا يقوم المدرس صفات أخرى أو ظروف الزمان أو ظروف المكان، ويقوم بتدريب المتعلمين على وصل الجمل مثل: " هذه حقيبة" وجملة أخرى " الحقيبة جديدة" ويطلب من المتعلمين وصل هاتين الجملتين لتصبح الجملة: " هذه الحقيبة جديدة" أو التوسع بإضافة ظرف الزمان إلى الجملة الأولى، مثل: قرأت الكتاب والجملة الثانية: " قرأت مساء، لتصبح على النحو الآتي: قرأت الكتاب مساء.

د. اكتساب المفردات:

ينصب اهتمام المدرس في هذا المستوى على المفردات الأكثر شيوعا واستعمالا وحاجة المتعلم إليها تكون في مختلف مناحي الحياة، كأسماء الأماكن العمومية ووسائل النقل والأدوات المدرسية التي يستعملها، وأسماء أيام الأسبوع، وأسماء أشهر السنة، أسماء الجهات ...إلخ وينبغي على المعلم أن يستعين بالوسائل التعليمية التوضيحية؛ كمجسمات الأشياء، والصور والرسومات، أو الإشارة الحسية لها أو عن طريق وسائل العرض كالعاكس الضوئي وبعض

التطبيقات التعليمية؛ ولكن ما يجب التنبيه إليه هو ألا تكون هذه المفردات خارج سياق الاستعمال؛ إذ لا جدوى من حفظ كم هائل من المفردات مع عدم القدرة على توظيفها للتعبير عن حاجة المتعلم أو عدم تحقيق الكفاءة التواصلية للمتعلم، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق توظيفها تلك المفردات في جمل، كي يسهل على المتعلم استعمالها أثناء قيامه بعملية التواصل.

ه. مهارة الاستماع:

إن تدريس الاستماع وتدريب المتعلمين عليه سيعد من أهم الأنشطة في تعليم وتعلم اللغات، كما يعد من أصعب المهارات لدى متعلم اللغة الثانية ومعلمها معا، وتكمن صعوبتها لدى المتعلم في كونها عملية مركبة تقتضي فهم المتكلم ومتابعته في سرعته. إعداد درس تعليمي لمهارة الاستماع والنشاطات التي اعتمد عليها:

المرحلة الأولى: اختيار النص ويشترط فيه أن يكون:

- مناسبا لمستوى المتعلم المبتدئ.
- أي يكون قصيرا لا يزيد عن دقيقة ونصف.
- أن تكون لغته بسيطة وسهلة.
- أن تكون سرعة قراءة النص تناسب المستوى من حيث البطء والوضوح مخارج الحروف.

المرحلة الأخرى: الأنشطة التي تقدم في مهارة الاستماع.

١) مرحلة ما قبل الاستماع:

وهو نشاط موجه ويقصد به تهيئة المتعلم للنص المراد الاستماع له. ويكون له علاقة بالاستماع؛ حيث يتم التركيز أثناء تقديم مهارة الاستماع لمستوى المتعلم على تعلم اللغة وإعطائه مدخلات اللغة من خلال النص.[٦٣]

٢) **مرحلة أثناء الاستماع**:

وتشمل هذه المرحلة النشاطات التي يقوّم بها المتعلم استماعه وتوجيهها لفهم المعلومات الأساسية كموضوع النص والفكرة الرئيسة ومكان الحدث وتكون غالبا ذات طابع موضوعي، وحتى تكون هذه المرحلة مثمرة وذات جدوى لا بد من الاهتمام بالمرحلة التي سبقتها؛ من تهيئة المتعلم وحسن اختيار لنص الذي هو محط عملية الاستماع.

٣) **مرحلة ما بعد الاستماع**: وفي هذه المرحلة يتخذ المعلم وجهين هما:

الوجه الأول: أنشطة لقياس فهمه للنص المسموع، مثل الإجابة عن الأسئلة وذكر أشياء وردت في النص ومناقشة حول النص وما يتعلق به.

الوجه الآخر: الانتقال إلى المهمة والإنتاج اللغوي من حيث تلخيص النص شفويا أو تحريريا، أو تبادل الأدوار بين الطلاب حول موضوع النص.

٤) معالجة الأصوات الواردة في النص، وهذا التدريب يساعد المتعلم على إدراك الفروق بين الأصوات المتشابهة وتقدم له مجموعة من الأصوات المتشابهة في المخرج، ويطلق عليها الثنائيات اللغوية مثل:(سيف ـ صيف) (تألم ـ تعلم) (تين، طين) (سورة ـ صورة) [٤]الموقع نفسه

٥) مهارة القراءة:

إن تعليم الحروف العربية لغير الناطقين بها يعد خطوة بالغة الأهمية لما لها من دور في تعليم وتعلم القراءة، فتعليمها إما أن يكون حسب ترتيبها الألفبائي؛ وإما أيكون حسب قدرتها على إنتاج الكلمات التي يحتاجها المتعلم وهذا الذي يفضله الكثير من المعلمين، كما يستطيع أن يستخدم المعلم الصور والبطاقات كوسائل تعليمية لتدريس نشاط القراءة، حيث يقوم برسم الشيء وينطق المعلم اسمه أسفل الصورة ، يطلب من المتعلمين أن يرددوا خلفه اسم الشيء بصورة جماعية ثم يطلب منهم ترديدها، ثم يطلب منهم ترديد اسم الشيء المرسوم جماعات ثم بشكل فردي ـ و يستحسن أثناء تدريس القراءة أن يكون عدد المتعلمين قليلا حتى يتسنى للمعلم متابعة قراءاتهم الفردية ويكون النشاط ذا

فاعلية ـــ وبعد الترديد الجماعي والفردي لأسماء تلك الأشياء الموجودة أسفل الصورة يقوم المعلم بمسح الصورة من السبورة ويطلب من المتعلمين قراءتها من دون صورة. [٦٥]

٦) مهارة الكتابة:

تعد الكتابة نوعا من أنواع المهارات التي ينبغي للمعلم أن يكسبها للمتعلمين سواء للناطقين بالعربية أو كانوا غير ناطقين بها، وهذا المستوى يهدف إلى تمكين المتعلمين من رسم الحروف رسما صحيحا أو تدوين ما فهمه من قراءة النصوص أو التعبير عن أفكاره وما يجول في نفسه؛ كما يمكن أن يعتمد على الإملاء ليقيس من خلاها مدى تمكن المتعلمين من كتابة الكلمات كتابة صحيحة، لاسيما تلك الكلمات التي تشتمل على حروف متشابهة؛ كسورة وصورة، وطين وتين. أو الأخطاء الإملائية الأخرى ليقوم بتصحيحها مع المتعلمين على السبورة ثم على دفاترهم. وهناك ثلاث اتجاهات لتعليم الكتابة وهي:

١. أن يتدرب المتعلم على كتابة الحروف بالترتيب الألف بائي.
٢. - أن يتعلم المتعلم رسم الحروف بجميع أشكالها مثل الحروف في بداية الكلمة وفي وسطها وآخرها مثل: (علم، معلم، باع) والأحرف التي تقبل الاتصال أي لا تتصل بحرف بعدها و هي: (أ، د، ذ، ر، ز، و) والأحرف التي تقبل الاتصال وهي: (ب، ت، ث، ج، ح، خ، ط، ظ، ك، ل، م، ن، ض، ص، ع، غ، ف، ق، س، ش، ه، ي) ولإدراك المتعلمين الفرق بين المجموعتين يكتب مثلا كلمة يد، ودرس.
٣. - أن يقدم المعلم الحروف دون ترتيب، بل حسب ورودها في الكلمة مثل: كتاب، كراس، مكتب، ديك، كأس، ملك.[٦٦]

بعد دراستنا للملكة اللغوية وطرق اكتسابها وفق نظرية ابن خلدون، وتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، توصلنا إلى أن كل من اكتسب الملكة اللغوية يفترض أنه قد اكتسب معها الملكة الإعرابية التي كانت سليقة عند العرب قبل فسادها بمخالطة الأعاجم لما دخلوا الإسلام؛ إذن فالظاهرة

الإعرابية خاصية من خصائص اللغة العربية والتي ينبغي الحفاظ عليها، لاسيما في الأوساط التربوية والتعليمية لما لها من فعالية في تنمية المهارات اللغوية والتي لوحظ فيها ضعفا عند المتعلمين في المراحل التعليمية المختلفة، ولتدارك هذا النقص لدى المتعلمين كان لزاما التركيز على الملكة الإعرابية والاهتمام بها نظريا وتطبيقا.

خاتمة:

في نهاية هذا البحث، نقول إن ابن خلدون قدم إسهامات قيمة في فهم الملكة اللغوية وعوامل اكتسابها. لقد أكد على أن اللغة ليست مجرد أداة للتواصل، بل هي أيضًا مظهر من مظاهر الهوية الثقافية والاجتماعية. الملكة اللغوية، كما وصفها ابن خلدون، تنمو وتتطور من خلال التفاعل الاجتماعي والممارسة المستمرة، وهي تتأثر بعوامل متعددة مثل البيئة اللغوية، العمر، التعليم، والتفاعل الاجتماعي.

ومن النتائج الت توصلنا إليها من خلال بحثنا ما ياتي:

- ✓ الملكة اللغوية هي قدرة فطرية تتطور من خلال التفاعل الاجتماعي والممارسة.
- ✓ اللغة تشكل جزءًا لا يتجزأ من الهوية الثقافية والاجتماعية للأفراد.
- ✓ البيئة اللغوية والثقافية لها تأثير كبير على اكتساب وتطور اللغة.
- ✓ العمر والتعليم والتفاعل الاجتماعي هي عوامل رئيسية في اكتساب الملكة اللغوية.
- ✓ القدرة على النطق والاستماع والدماغ البشري تلعب دورًا مهمًا في تطوير اللغة.
- ✓ يلعب الإعراب دورا مهما في تنمية المهارات اللغوية.
- ✓ الحفظ للقواعد النحوية وحده غير كاف لامتلاك الملكة اللغوية.

التوصيات:

- إن النهوض بالعربية يقتضي منا استشعار مكانتها من حيث أنها لغة القرآن
- على الجهات الوصية أن تكوّن مدرسي اللغة العربية تكوينا نوعيا يتسنى لهم من خلاله رفع مستوى اللغة العربية مما هي عليه الآن.
- ينبغي على معلمي اللغة العربية تحبيبها للمتعلمين عن طريق التحفيز والتشجيع على تذوق جمالها.
- على واضعي المناهج إعادة النظر في طرق تدريسها.

المراجع

[١] - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد ١٤، ط١، ٢٠٠٠، مادة: ملك

[٢]- المرجع نفسه.

[٣]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر بيروت، ١٩٧٩، مج ٥، ص ٣٥١

[٤]- عبد الحق الكتاني، المعجم الوسيط، دار الكتب العلمية،

[٥]- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦، مادة: ملك.

[٦] - جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط٧، ١٩٩٢، مص: ملك.

[٧] - السيد الشقراوي، الملكة اللغوية في الفكر العربي، لاك مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٢، القاهرة، ص٢٧.

[٨] - أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، دار الفكر مكتبة الحية، د ط، د ت، الجزء ٣، بيروت، لبنان، ١٣٣ص

[٩] - أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ط٣، الهيئة المصرية، ١٩٨٦، ج١، ص٢٥١.

[١٠]- ابن خلدون،(المقدمة محققة بلونين)، دار الفكر، طبعة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ج٢، ص ٨٥٦

[١١] المرجع نفسه، ابن خلدون، ص ٥٧٤.

[١٢] ينظر: المقدمة، ابن خلدون، ص ٥٧٥

[١٣] ـ محمد عطية الإبراشي، الآداب السامية، دار الحداثة، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ، ص ١٠٦.

[١٤] ـ السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف، بيروت ن دون تاريخ، ج٢ ص ١٣.

[١٥] ـ محمد عطية الإبراشي، المرجع السابق، ص١١٥.

[١٦] ـ عن ابن فارس، ذكره: د محمد عطية الابراشي في المرجع السابق، ص ١١٥.

[١٧] ـ مرتاض عبد الجليل، بوادر الحركة اللسانية عند العرب، مؤسسة الأشرف، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ص ٩.

[١٨] ـ ابن خلدون، المقدمة (محققة بلونين)، دار الفكر، طبعة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ص ١٦٢.

[١٩] ـ مرتاض عبد الجليل، المرجع السابق، ص ٩.

[٢٠] ـ السيد أحمد الهاشمي، المرجع السابق، ج٢ ص ١٣.

[٢١] ـ ابن خلدون، المقدمة ، سبق ذكره، ص ٥٦١.

[٢٢] ـ المصدر نفسه، ص ٥٦١ .

[٢٣] ـ المصدر نفسه، ص ٥٦٦.

[٢٤] ـ هو: عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين ابن خلدون (٧٣٢ـ ٨٠٨هـ / ١٣٣٢ـ ١٤٠٦م) مؤسس علم الاجتماع ، اشتهر بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. والمقدمة المذكورة هي مقدمة الكتاب.

[٢٥] ـ المصدر السابق، ص ٥٦٦.

[٢٦] ـ المصدر نفسه، ص ٥٦٥.

[٢٧] ـ ابن جني، الخصائص، تحق:محمد على النجار، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٦٧.

[٢٨] ـ محمد عطية الابراشي، الآداب السامية، مرجع سابق، ص ١٠٨ـ ١٠٩.

[٢٩] ـ نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة، ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية مصر، دون تاريخ ، ص ٨٠.

[٣٠] ـ ابن خلدون، المقدمة ، مصدر سابق، ص ٥٦٦.

[٣١] ـ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي للمدارس، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ١٥.

[٣٢] ـ ابن خلدون، المصدر السابق، ص ٥٦٤.

[٣٣] ـ المصدر نفسه، ص ٥٦٤.

[٣٤] ـ إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية أسطورة وواقع، دار الفكر، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٧ م، ص ٩.

[٣٥] ـ مرتاض عبد الجليل، بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب، مرجع سابق، ص ٥٥.

[٣٦] ـ ابن خلدون، المصدر السابق، ص ٥٦١.

[٣٧] ـ مرتاض عبد الجليل، بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب , مرجع سابق، ص ٥٥.

[٣٨] ـ ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص ٥٦٢.

[٣٩] ـ المصدر نفسه، ص ٥٦.

[٤٠] ـ إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية، مرجع سابق، ص ١٠.

[٤١] ـ ابن خلدون، المصدر السابق، ص ٥٦٥.

[٤٢] ـ المصدر نفسه، ص ٥٦٥.

[٤٣] ـ المصدر السابق، ص ٥٦٢.

[٤٤] ـ المصدر نفسه، ص ٥٦٢.

[٤٥] ـ المصدر نفسه، ص ٥٦٢.

[٤٦]- ينظر ابن خلدون ص ٣٦٠

[٤٧] ـ أحمد أمين، ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، القاهرة، د ط، ٢٠١٢، ص ٣٠٦.

[٤٨] ـ الانغماس اللغوي ودوره في تحصيل الملكة اللسانية، دراسة في أصوله العربية القديمة وتطبيقاته الحديثة. أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية. إعداد الطالبة آمنة مناع، الموسم ٢٠١٦. ٢٠١٧

[٤٩] ـ ينظر: المرجع السابق، ابن خلدون، ص٥٥٩

[٥٠] ـ نايف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس، ط٦، ٢٠٠٧، ص ١١٣

[٥١] ـ المرجع السابق، المقدمة، ابن خلدون، ص٥٣٨.

[٥٢] ـ المقدمة، ابن خلدون، ص ٥٧٤.

[٥٣] ـ إبراهيم مصطفى وزملاؤه، تحرير النحو العربي، دار المعارف، مصر

[٥٤] ـ ينظر حسن ظاظا، اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة، دار القلم للطباعة والنشر، دمشق، سورية، ط٢، ١٩٩٠، ص ٤٢.

[٥٥] ـ المرجع نفسه والموضع نفسه، ط٢، ١٩٩٠

[٥٦] ـ المرجع السابق المقدمة ص٦٢٤.

[٥٧] ـ المقدمة، ابن خلدون ص٦٢٤.

[٥٨] ـ من مجلة دواة، مجلة محكمة تصدر عن العتبة الحسنية، اعتمدت بتاريخ٢٠١٤/١٠/٢٢.

[٥٩] https://uatfnns.com/%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%AA%D8%B9%D8%AF%D9%91%D9%8F-%D8%AF%D8%B1%D8%B3%D8%A7-%D9%86%D9%85%D9%88%D8%B0%D8%AC%D9%8A%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%87%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9-%D8%9F/

عنوان الموقع: **UAT** اتحاد معلمي العربية للناطقين بغيرها منصة تعليمية لنشر العربية وتدريب وتأهيل معلمي العربية كلغة ثانية، **الموضوع**: كيف تعد درسا نموذجيا في مهارة الاستماع ،سويفي فتحي، محاضر جامعي ومؤلف مناهج تعليمية، تاريخ الزيارة وتوقيتها. ٢٠/٠٦/٢٢٠/ ١٢:١١.

[٦٠] - الموقع نفسه، تاريخ الزيارة وتوقيتها: ٢٢/٠٦/٢٠٢٠. ٠٨:٥٥

[٦١] - الموقع نفسه، تاريخ الزيارة وتوقيتها: ٢١/٠٦/٢٠٢٠/ ٢١:٤٥

[٦٢] - الموقع نفسه، تاريخ الزيارة وتوقيتها :٢١/٠٦/٢٠٢٠: ١٠:٢٠

[٦٣] - الموقع نفسه، تاريخ الزيارة وتوقيتها: ٢٢/٠٦/ ٢٠٢٠. ٢٠:٠٠

[٦٤] - الموقع نفسه، تاريخ الزيارة وتوقيتها: ٢٢/٠٦/ ٢٠٢٠. ٢٠:٣٠.

[٦٥] - الموقع نفسه، تاريخ الزيارة وتوقيتها : ٢٢/٠٦/ ٢٠٢٠. ٢٠:٣٠.

[٦٦] - الموقع نفسه. ، تاريخ الزيارة وتوقيتها : ٢٢/٠٦/ ٢٠٢٠. ٢٠:٣٠.

دراسات

عقيدة العصمة في الفكر الديني ودورها في كشف خصوصية التفكير بين الديانات السماوية

الأستاذ الباحث

يحيى ابن عبد الوهاب

Received: 8/ 3/ 2024
Revised: 19/ 3/ 2024
Accepted: 1/ 4/ 2024
Published: 25/ 4/ 2024

يحيى ابن عبد الوهاب
باحث في سلك الدكتوراه
جامعة عبد المالك السعدي بتطوان
yahya.benabdelouahab@gmail.com

عقيدة العصمة في الفكر الديني ودورها في كشف خصوصية التفكير بين الديانات السماوية

الملخص:

تشتغل هذه الدراسة بعقيدة العصمة حيث تتأسس فرضيتنا الرئيسية على أن تقرير هذه العقيدة ترتب عنه تغييرات جذرية في جوهر الديانة اليهودية والمسيحية وقد لاقى ذلك اعتراضا شديدا داخليا من قبل بعض اللاهوتيين والفلاسفة وخارجيا من قبل العلماء المسلمين الذين اهتموا كثيرا بهذه المسألة جراء تداعياتها الكبيرة على حرية المجتمعات وتقييد تفكيرها وربط مصيرها ونجاحها برضا رجال الدين الأمر الذي رأو فيه خروجا عن تعاليم الديانات السماوية، وهكذا فإن الشرخ القائم بين الديانات الثلاث في مسألة العصمة ما هو في المقام الاول إلا اختلاف رؤيتهم لحرية التفكير وكيفية تقرير الفرد لمصيره، معززين طرحنا أن الاختلاف في هذه المسألة أسهم مباشرة في نشوء تيارات دينية وفكرية جديدة في أوروبا. وقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة محاور خصصنا المبحث الأول للحديث عن العصمة في الديانة اليهودية والمسيحية أما المحور الثاني فقد استعرضنا فيه ردود العلماء المسلمين على هذه المسألة وانعكاس ذلك على الحياة الثقافية والعلمية والفكرية بالغرب الإسلامي وفي الأخير سلطنا الضوء على دور مسألة العصمة في كشف الخصوصيات بين الديانات السماوية.

الكلمات المفتاحية:

العقيدة، العصمة، الصمة عند اليهود، العصمة عند المسيحيين.

Abstract:

This study revolves around the doctrine of infallibility, with our main premise being that the interpretation of this doctrine leads to fundamental changes in the essence of Judaism and Christianity. This has faced significant internal opposition from theologians and philosophers, as well as external opposition from Muslim scholars who have shown great interest in this issue due to its substantial implications on the freedom of societies, the restriction of their thinking, and tying their destiny and success to the satisfaction of religious authorities. This has been perceived as a deviation from the teachings of the divine religions. The existing rift between the three religions regarding the doctrine of infallibility primarily reflects their differing perspectives on the freedom of thought and how individuals determine their destiny. The study emphasizes that the divergence in this matter directly contributes to the emergence of new religious and intellectual currents in Europe. The study is divided into three main axes. The first section is dedicated to discussing infallibility in Judaism and Christianity. The second axis reviews the responses of Muslim scholars to this issue and its impact on cultural, scientific, and intellectual life in the Islamic West. Finally, the study sheds light on the role of the doctrine of infallibility in unveiling the distinctions between the Abrahamic religions.

Key words:

Doctrine, infallibility, Jewish infallibility, Christian infallibility.

مقدمة

تشتغل هذه الدراسة بعقيدة العصمة حيث تتأسس فرضيتنا الرئيسية على أن تقرير هذه العقيدة ترتب عنه تغييرات جذرية في جوهر الديانة اليهودية والمسيحية ولاقى ذلك اعتراضا شديدا داخليا من قبل بعض اللاهوتيين والفلاسفة وخارجيا من قبل العلماء المسلمين الذين اهتموا كثيرا بهذه المسألة جراء تداعياتها الكبيرة على حرية المجتمعات وتقييد تفكيرها وربط مصيرها ونجاحها برضا رجال الدين الأمر الذي رأو فيه خروجا عن تعاليم الديانات السماوية، وهكذا فإن الشرخ القائم بين الديانات الثلاث في مسألة العصمة ما هو في المقام الاول إلا اختلاف رؤيتهم لحرية التفكير وكيفية تقرير الفرد لمصيره، معززين طرحنا أن الاختلاف في هذه المسألة أسهم مباشرة في نشوء تيارات دينية وفكرية جديدة.

تعد عقيدة العصمة من القضايا التي أثارت اهتمام علماء اللاهوت في القرون الوسطى، فمسألة العصمة من القضايا الجوهرية التي ناقشها علماء تلك العصور نظرا لدورها المركزي في تحديد منزلة العقل والفكر عند كل دين، وفي هذا السياق لم يتوان العلماء المسلمون بالمغرب والأندلس من بسط وجهات نظر الدين الإسلامي في هذه المسألة الخلافية إذ بدورهم أثاروا هذه المسألة بشكل كبير وتناولوه بطرق متعددة مفندين نظرية الديانتين اليهودية والمسيحية في هذه القضية..

في هذه الورقة البحثية سنحاول تسليط الضوء على عقيدة العصمة في الدين اليهودي والمسيحي من خلال تناول أبرز نصوصهم الدينية المعتمدة في المسألة، ومن ثم دراسة ردود علماء المغرب والأندلس على هذه القضية والمناهج المعتمدة من قبلهم ومعرفة مدى اهتمامهم بعقيدة العصمة من عدمه حتى نتمكن بالنهاية من كشف إشكالية مهمة لها ارتباط بالفروق الجوهرية في طريقة تفكير كل دين ومنزلة العقل داخلها وأثر ذلك فيما بعد على المجتمعات الدينية، وسيكون ذلك من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول: العصمة في الديانة اليهودية والمسيحية

المبحث الثاني: أثر العصمة على الحياة الثقافية والعلمية والفكرية في الغرب الإسلامي

المبحث الثالث: مسألة العصمة ودورها في كشف الخصوصيات بين الديانات الثلاث

المبحث الأول: العصمة في الديانة اليهودية والمسيحية

المطلب الأول: العصمة في الديانة اليهودية

في مستهل هذا المحور نجد أن التوراة أمرت بطاعة الأئمة والحكام، حتى وإن لم يكونوا أنبياء، شريطة عدم مخالفتهم لأحكام التوراة، وتعتقد الديانة اليهودية أن العصمة إنما تكون لنبي مرسل، وفيما عدا ذلك هنالك شك[1]. لكننا إذا تمعنا جيدا في بعض النصوص الدينية اليهودية نجد صورا تناقض عصمة أنبياء بني إسرائيل، حيث تمادى بنو إسرائيل في نسب صفات خاطئة عديدة إلى أنبيائهم تشكك في الاختيار الإلهي لهم، وفي كونهم قدوة بشرية وذلك نتيجة للخلط في مفهوم النبوة. سنقف فيما يلي على أهم النصوص التي تحمل في ثناياها عبارات ومعاني مناقضة تماما لمفهوم العصمة

أ- أقوال الديانة اليهودية المنتقصة لعصمة الرسل

وردت عدة نصوص تنتقص من شأن الأنبياء والرسل وتنسب إليهم بعض القبائح، مما يؤدي إلى الطعن في نبوتهم، وفيما يلي سنعرض باختصار بعض الرسل والأنبياء الذين أخذوا قدرهم من هذه الأوصاف.

١- هارون

جاء في التوراة أن هارون صانع العجل لبني إسرائيل عند ذهاب موسى للقاء ربه، ففي سفر الخروج جاء: «ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في أذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها، فنزع كل

الشعب أقراط الذهب التي في أذانهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلا مسبوكا، فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، فلما نظر هارون بني مذبحا أمامه ونادى هارون وقال غدا عيد الرب، فبكروا في الغد وأصعدوا محروقات وقدموا ذبائح سلام وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب»[٢].

من خلال هذا النص نستنتج أن بني إسرائيل قد نسبوا الشرك لهارون عبر اتخاذه العجل إلها، فهارون حسب هذا المقطع هو الشخص المتسبب في شرك بني إسرائيل بالله تعالى، وهارون أيضا هو الذي يتحمل الوزر الأكبر لهذا العمل الذي فيه مخالفة صريحة لأوامر وتعاليم أخيه موسى عليه السلام.

٢- سليمان

لم يقتصر الشرك على هارون، بل امتد ليصل إلى سليمان الذي مال قلبه عن إلهه إلى آلهة أخرى كانت نساؤه تعبدها دون الله، ففي سفر الملوك الأول نقرأ عن سليمان: « وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون قوابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتكم فالتصق سليمان بهؤلاء المحبة وكانت له سبع مائة من النساء السيدات وثلاثة مائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه، وكان في زمن شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا

مع الرب إلهه كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشتوت إله الصيدونيين ومكلوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر في عيني الرب، ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه، حينئذ بنى سليمان مرتفعة الكموتس رجس الموآبين على الجبل الذي نجاه أورئليم ولملوك رجس بني عمون، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتن فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى، فلم يحفظ ما أوصى به الرب»[٣].

التأمل المتمعن لما ورد في سفر الملوك يقول بأن سليمان عبارة عن شخص شهواني محب للنساء اللواتي تسببن له الوقوع في عبادة آلهة وثنية ومخالفة أوامر الرب، وهذا القول يخول لصاحبه القول بأن سليمان وقع في معصية كبرى وهي معصية الشرك بالله في أواخر حياته.

٣- نوح

إذ نعتوه بالمعصية وبعض الألفاظ البذيئة، ورد سفر التكوين:«وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فأبصر حام أبو كعنان عورة أبيه واخبر أخويه خارجا فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير، فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته وقال مبارك إله سام وليكن كنعان عبدا لهم ليفتح الله اليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم»[٤].

ظاهر هذه الرواية أن نوحا شرب الخمر وتعرى وأن حامًا لم يستر عورة أبيه ومن ثم دعا نوح على كنعان وهو واحد من أبناء حام. وبذلك لم يكن حال نوح مختلفا عن حال هارون وسليمان فنوح بدوره قد ارتكب معاصي كبرى .

٤- لوط

وصفت التوراة لوط بالسكر والزنا بابنتيه، فجاء في سفر التكوين: «وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا كعادة كل الأرض هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر منه ودعت اسمه موآب، وهو أبو الموآبين إلى اليوم والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمي وهو أبو بني عمون إلى اليوم »[٥].

بناء على ما تقدم فإن سفر التكوين يقرر أن لوطا لم يكن أفضل حالا من قومه، وهي بذلك تضعه في ميزان متساو مع قومه الذي لحقهم عذاب عظيم بسبب ذنوبهم المتكاثرة.

٥- داود

لم يكن حال داود في التوراة أحسن حالا من الأنبياء الذين سبقوه، إذ اتهمه اليهود أيضا بالزنا ففي سفر صموئيل الثاني نجد: « وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا، فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بتشع بنت أليعام امرأة أوريا الحثى فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود أني حبلى»[٦].

بعد جرد هذه النصوص يمكننا القول أن نصوص الدين اليهودي، نعتت أبرز الأنبياء والرسل بأبشع الأوصاف التي تتعارض مع من يتصف بالعصمة فالزنا والشرك بالله واتباع الهوى أمور يشترك فيها كل عاص مخالف لأوامر الله. فهل الأمر ذاته ينطبق على الحاخامات اليهود؟ هذا ما سنتعرف عليه في المحور التالي.

ب- عصمة الحاخامات

المقصود بالحاخامات، الأحبار والفقهاء والكهنة، ويراد بهم على وجه الإجمال رجال الدين الذين لهم حق التشريع فيحللون ويحرمون ويغيرون ويبدلون[٧] .

وللحاخامات دور محوري في الديانة اليهودية، إذ هم الذين قاموا بتأليف التلمود وما فيه من تعاليم، ويعتقد اليهود أن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء، وذكر في التلمود أن الحاخامات المتوفين مكلفون بتعاليم المؤمنين في السماء، وجاء في كتاب

يهودي اسمه كرافت مطبوع في سنة ١٥٩٠ «اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء»[٨].

ويرى الفكر الديني اليهودي أن أقوال الحاخامات هي الشريعة لأن أقوالهم هي قول الله الحي، فإذا قال لك الحاخام أن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدق قوله ولا تجادله فما بالك إذ قال لك أن اليمنى هي اليمنى واليسرى هي اليسرى[٩].

وفي ذات السياق نجد أحد علماء اليهود يقول: (مخافة الحاخامات هي مخافة الله)[١٠].

ويضيف الحاخام مناحم قائلا في أقوال الحاخامات المناقضة لبعضها: (أنها كلام الله مهما وجد فيها من التناقض فمن لم يعتبرها أو قال إنها ليست أقوال الله فقد أخطأ في حقه تعالى وذكر في كثير من اليهود أن أقوال الحاخامات المناقضة لبعضها منزلة من السماء ومن يحتقرها فمثواه جهنم وبئس المصير)[١١].

ربما تعزى هذه الأقوال الحاخامية لما ورد في التلمود صحيفة ٧٤ من أن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله، فاليهود يرون أنه وقع يوم ما خلاف بين الباري وبين علماء اليهود في مسألة، فبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الربيّن واضطر الله أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور، وهذه العصمة لا تختص فقط بالحاخامات بل بكل ما يتعلق بهم أيضا، فقيل أن حمار الحاخام لا يمكن أن يأكل شيئا محرما، وجاء أيضا في كتاب شاغيجا من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت دون من احتقر أقوال التوراة، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود[١٢].

لم تقتصر تداعيات إدعاء الحاخامات بالعصمة فقط على هذه المناحي، فإدعاء الحاخامات بالعصمة أدى إلى تطور عميق في العقيدة اليهودية، فقاموا بدمج الحس العقدي بالحس السياسي، فبنو إسرائيل يرون أن العودة للعقيدة اليهودية تمر بالعودة إلى الروح المتوثبة نحو استعمار القدس، الرمز الذي كان فيما سبق مجدا لبني إسرائيل وملكهم حسب التوراة، وبالتالي أصبح الحاخامات والكهنة زعماء دينيين وسياسيين، فهم يشرعون ويوجهون الجمهور في القضايا السياسية والدينية، وقد اعتمدوا في هذا على نصوص وردت في التوراة أشارت

إلى فقدان شعب بني إسرائيل للأنبياء، إذ جاء فيه « آياتنا لا ترى، لا نبي بعد، ولا بيننا من يعرف حتى ومتى »[١٣].

بعد هذا العرض يحق لنا معرفة موقف يهود المغرب والأندلس من عقيدة العصمة هل كان مؤيدا كليا للمواقف السابقة أم اتخذ موقفا وسطا في هذه المسألة أم العكس اجتر أفكارا جديدة، سنناقش هذه القضية من خلال معرفة آراء كل من ابن ميمون ويهوذا هليفي في هذه القضية.

ت- فكر ابن ميمون في موضوع العصمة

شكل موسى بن ميمون ذروة التفكير الديني اليهودي في القرون الوسطى عبر كتابه دلالة الحائرين، الذي خصص الجزء الأول منه للحديث عن ماهية الله وكيفية إدراكه وتوحيده، وقد افتتح كتابه بمجادلة عنيفة للذين يصفون الله بالأوصاف المادية، كما تناول في الجزء الثاني من كتابه مفهوم النبوة وماهيتها وحقيقتها، وفي ثنايا كلامه يمكن معرفة موقفه من قضية العصمة التي حصرها في الأنبياء، وبالأخص نبي الله موسى*، وفي قضاة بني إسرائيل، الذين تصحبهم معونة إلهية تمنعهم من الوقوع في الأخطاء والمعاصي*.

وقد ورد في هذا الكتاب بحث مفصل في منزلة المعتزلة والأشعرية، مما يدل على أن موسى بن ميمون درس المذاهب الإسلامية على العموم دراسة وافية، وكان له إلمام بالفلسفة العربية، ينذُر أن تتوفر في شخص آخر من أحبار اليهود في القرون الوسطى[١٤] .

وقد أدى هذا الانفتاح إلى تنشيط الحركة الفكرية في عصره، إذ تلقت كتاباته بالقبول والرفض، فموسى بن ميمون لم يوافق العقائد اليهودية بإطلاق في عدة مسائل من بينها قضية العصمة، ومعلوم أن الديانة اليهودية تقول بعصمة بني إسرائيل وجميع الحاخامات كما رأينا سابقا ويصفون بعض الأنبياء بأوصاف تسقط العصمة عنهم، وبسبب مواقف ابن ميمون المعارضة لهذه الأفكار، قامت حملات ضده إلى حد أن بعض رجال الدين اليهود حرّموا قراءة كتبه، واعتبروا

أن بعض ما جاء في هذه الكتابات نوع من الزندقة والكفر بالعهد القديم والتلمود، فأفتوا بإحراق كتبه خاصة دلالة الحائرين.

لقد كان تأثير ابن ميمون في الدين اليهودي تأثيرا انقلابيا، إذ رفض القصص التي وردت في العهد القديم، وقال أنها غير صحيحة من الوجهة التاريخية [١٥].

وقد اعتبر العديد من اليهود أن أفكار ابن ميمون تأسس لنظريات معادية لأسس الدين اليهودي، ففكر ابن ميمون أنتج في القضايا العقدية ثورة عنيفة بين اليهود، وبدأ أمر الفتنة في أخريات أيامه، ثم اشتدت بعد وفاته، وكان زعيم المتمردين على فكره الحبر سليمان بن إبراهيم من مدينة مونبيليه يعاونه اثنان من كبار تلاميذه الذين اتصلوا برؤساء الدين من اليهود في شمال فرنسا، وأظهروا السخط على كل من يدرس فكره وكتابه لأنها مبنية على تأويل نصوص التوراة وأراء التلمود[١٦].

وبهذا يكون لابن ميمون وأفكاره العقدية أثرًا عميقا في أفكار اليهود بما فيهم يهود الغرب الإسلامي، إذ أصبح عماد الاسترشاد لكل من يدرس كتب الدين.

ث- فكر يهوذا هليفي في موضوع العصمة

تصنف الفترة التي عاش فيها يهوذا هليفي* من الفترات الذهبية لليهود ببلاد الأندلس، ويعد كتابه الحجة والدليل في نصر الدين الذليل، انعكاسا لهذه الفترة، فالمنهج الذي اتبعه يهودا في كتابه هو منهج الحوار بدل المناجاة، فلم يقم بنشر أفكاره وتعاليمه بشكل تقليدي[١٧]، ومن ذلك كيفية مناقشته لموضوع العصمة، حيث أتت وجهة نظره في هذا الموضوع مغايرة تماما لباقي الحاخامات اليهود، فقد حاول نفي اتهام اليهود للأنبياء بارتكاب المعاصي* والكبائر وعدم عصمتهم*، ورأى أن العقل الفعال رتبة يمكن أن يحصل إليها أي شخص[١٨]*، ونجد يهودا هليفي قد تناول هذه القضية من خلال استحضار الحكم والأمثال والإشارات الموجودة في التلمود، وهو بذلك يحاول القطع مع العلوم العقلية

اليهودية، التي بدأت تنتشر بشدة منذ أوائل القرن الرابع الهجري على يد كل من إسحاق الإسرائيلي طبيب القيروان، وسليمان بن جبريول في كتابه ينبوع الحياة، ويحيى يوسف بن فاقودة في كتابه الهداية إلى فرائض القلوب، وموسى ابن ميمون في كتابه دلالة الحائرين، فمثّل هليفي بذلك تيارا محافظا يعطي الأولوية للنقل بدل العقل وللدين على الفلسفة، وللذوق والكشف والإلهام على النظر والاستدلال، وهذا التيار نجده منتشرا بكثرة في أوساط فرقة "القراؤون" الذين عاشوا في كنف المسلمين، ونجد أن هذا التيار قد رفض منح العصمة للحاخامات والقساوسة، وبذلك يكون يهوذا هليفي أحد المنافحين عن هذه الفرقة، وهنا يتبين لنا بوضوح مدى تأثر الفكر اليهودي في بعض جوانبه بالفكر الإسلامي، خاصة في الفترات التي شهدت استقرارا سياسيا وفكريا[١٩].

المطلب الثاني : العصمة في الديانة المسيحية

يعتقد النصارى بربوبية المسيح وألوهيته، وهذا يعني تلقائيا عصمته من الخطأ والذنوب، وقد لعب بولس دورا كبيرا في تقرير هذه العقيدة والحديث عن الصفات التي يتميز بها عيسى عليه السلام، فنجده يقول في رسالته إلى أهل رومية « يسوع المسيح ربنا لأجل إسمه قبلنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان في جميع الأمم، نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح [٢٠]»، ويقول أيضا: « بل نفتخر أيضا بالله بربنا المسيح الذي نلنا به الآن المصالحة هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا»[٢١].

كما نجده في رسالته إلى أهل كورنثوس «مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح في كل مكان لهم ولنا، نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح حتى إنكم لستم ناقصين في موهبة ما وأنتم متوقعون استعلان ربنا يسوع المسيح، الذي سيثبتكم أيضا إلى النهاية بلا لوم في يوم ربنا يسوع المسيح، آمين هو الله الذي به دعيتم إلى شركة ابنة يسوع المسيح ربنا»[٢٢].

فهذه الأقوال الواردة على لسان بولس تنصّ صراحة على ربوبية المسيح وألوهيته. غير أن المسيحية تستدل إلى جانب أقوال بولس ببعض الأقوال الواردة في العهد القديم والإنجيل، فجاء في سفر إشعيا: « لأنه يولد لنا ولد ونعطى أبا

وتكون الربانية على كتفه ويدعى عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام[٢٣]»، ويستدلون أيضا بما قاله داوود « قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك »[٢٤].

أ- عصمة المسيح من الخطيئة والصفات الرديئة

استدل النصارى بعصمة المسيح من الخطيئة والصفات الرديئة بعدة نصوص، منها ما ورد في سفر أشعيا « ولم يكن في فمه غش»[٢٥]، وما ورد في رسالة بطرس الأولى: « الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر»[٢٦]، وهذا يعني أن المسيح امتاز بعدم وجود مكر في فمه، مما يفيد الطبيعة اللاهوتية فيه.

كما يحتجون أيضا بما ورد في المزمور: « أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك»[٢٧]، حيث ينسب النصارى هذا القول على المسيح، مما يجعل له ميزة على سائر الناس.

ومن النصوص التي اعتمد عليها الفكر الديني المسيحي للتأكيد على عصمة المسيح ما ورد في رسالة العبرانيين نقلا عن المسيح: «لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس»[٢٨]، وأيضا ما جاء في رسالة بطرس الأولى: « بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح»[٢٩]، وبهذا يستخلص المسيحيون أن المسيح له ميزة على الناس لأنه كان بلا عيب فيه.

وفي رسالة العبرانيين ورد أيضا: « قد انفصل عن خُطاه»[٣٠]، ونفس المعنى تكرر في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثس: «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية لأجلنا لنصير تحت بر الله فيه»[٣١]. وجاء في إنجيل يوحنا أيضا قول المسيح: «من منكم يبكتني على خطية»[٣٢].

ويستخلص النصارى من مجموع النصوص السابقة ميزة خاصة على غيره وأنه معصوم عن الوقوع في الذنوب والمعاصي، لأنه امتاز أيضا بالاستقامة.

ب- **عصمة البابا**

تقرر عصمة البابا في مجمع روما سنة ١٨٦٩م، فكان من نتائج ذلك امتلاك البابا حق التشريع، وعصمته من الوقوع في الخطأ، فكل ما يصدر عنه لا يمكن مخالفته، والمخالف له كافر ملعون، وقد استندت الكنيسة في تقرير هذه السلطة على بعض النصوص الدينية التي تشير إلى أن المسيح قد أعطى القدرة لتلاميذه على إتيان المعجزات التي ورثت فيما بعد لرجال الدين، معتبرين في الآن ذاته أن نزول الوحي لم ينقطع برفع عيسى، وإنما هو متصل بتلاميذه وأتباعهم.

وتعود جذور هذه الفكرة في الفكر المسيحي لبولس، والمتصفح للأناجيل الأربعة ولأسفار العهد الجديد وخصوصا أعمال الرسل وبولس، يجد فكرة الملاك الذي يرشد المؤمنين ويتصل بهم والمعجزات التي ظهرت على أيدي تلاميذ المسيح تتردد كثيرا وبإلحاح، فرجال الدين أو الكنيسة عند المسيحيين لهم نفس القداسة والعصمة التي ليسوع المسيح، ومن هنا كان الخروج على طاعة الكنيسة ورجالها كفر بالمسيح والمسيحية، كما أن فكرة اتصال الوحي ونزوله على أتباع عيسى المبرر الذي يعتمد عليه المسيحيون في الأخذ بالعهد الجديد، واعتقاد ما فيه رغم أنهم جميعا يعترفون أنه ليس من وضع عيسى ولا إملائه، وإنما هو من وضع تلاميذه[٣٣].

ترتب عن إثبات عقيدة عصمة الباباوات انقسام حاد بين الطوائف الكاثوليكية ببلاد أوروبا والمشرق، فالذين خالفوا هذه العقيدة من أهالي أوروبا سموا نفسهم بالكاثوليكيين القدماء[٣٤]. فعقيدة عصمة البابا عرفت شدًّا وجذبًا داخل المؤسسة الكنسية، وهذا ما سأعرج على ذكره في تاريخ عصمة الكنيسة والباباوات.

ت - تاريخ عصمة الكنيسة والباباوات

أمر البابا بيوس التاسع بالتئام المجمع الفاتكاني سنة ١٨٦٩م بغرض اثبات عصمة البابا، وتاريخيًّا كانت مسألة العصمة مدار خلاف كبير بين

الباباوات، فهيبور الكاثوليكي البافاري على سبيل المثال يقول أنه في مدة ١٣ قرنا كان هناك سكوت غير مدرك من جهة عقيدة العصمة في عموم الكنيسة ومؤلفاتها، إذ إن جميع كتب قواعد الإيمان القديمة ومؤلفات الآباء ليس فيها كلمة واحدة ولا إشارة واحدة إلى أن تحديد الإيمان والتعليم متوقف على البابا[٣٥].

عند عقد المجمع الفاتكاني سنة ١٨٦٩م صرح عدد ليس بقليل من الأساقفة في فرنسا وألمانيا بمعارضتهم لتعليم العصمة، فطبع "ماري" الأسقف الفرنسي كتابا يبرهن أن تقرير هذه العقيدة يقلب أساسات الكنيسة قائلا: (أن الكنيسة حكم ملكي مقيّد ولكن إن تم هذا التحديد تتغير الكنيسة إلى حكم مطلق وحيث أن المبادئ الإلهية لا تتغير إذا تغيرت الكنيسة لا تعود تحسب إلهية فإن ثبتتا هذه العقيدة كيف تنتصر علينا أعداء الكنيسة وكيف تستشهد علينا تحديدات الأجيال ومضادة التعاليم وشهادة الكتب المقدسة والإباء والمجامع)[٣٦].

وقد انقسم الاسقافة إلى ثلاث أحزاب :

الأول مع نشر هذا التعليم الجديد، والثاني قدم عرضا للبابا ضد التعليم، أما الثالث اختار المساواة بينهما .

من الأساقفة الذين كتبوا كتابا يطلب إشهار العصمة الأسقف "بادربورن الجرماني" وقد لاقى هذا الكتاب اعتراف ٤١٠ أسقفا، في حين وصل عدد المعارضين له ١١٦٢ أسقفا منهم ١٢٠ أمريكيا و ٤٦ فرنسيا و ٢٧ ألمانيا ونمساويا و ٢٩ شرقيا و ٦ برتغاليين و ١٤ مجريا و ٣ إنجليزيون و ١٥ إيطاليا[٣٧].

إلى جانب الكتب المؤيدة لتقرير عقيدة العصمة، وجدت كتابات اختارت المساواة بين تقرير عقيدة العصمة من عدمه، كالكتاب الذي ألفه "أسقف بلتيمور" في أمريكا، كما صنفت أيضا كتب كان غرضها الأساسي دحض عقيدة العصمة ونورد في هذا السياق ما قاله الكردينال رئيس أساقفة فيناروشير الذي يحسب على هذا الخط المعارض إذ نجده يقول: (لا يحق لنا أن نجهل أن صعوبات كثيرة ناتجة عن عبارات أباء الكنيسة وأعمالهم وعن كتب التاريخ وعن التعليم الكاثوليكي لم تزل باقية ويجب تفسيرها تماما قبلها يسوغ لنا أن نقدم هذا التعليم

للشعب المسيحي كتعليم معلن من الله وإذ نحن الأساقفة الممارسين واجباتنا بين الممالك الكاثوليكية العظيمة نعلم حالتها من الاختبار اليومي نتحقق أن هذا التحديد المطلوب يعطي سلاحا لأعداء الديانة ويهيج حتى الناس الصالحين على الديانة ويعطي فرصة لحكومات ممالكنا للتعدي على الحقوق الباقية للكنيسة فنطلب أن تعليم العصمة لا يقدم لمناظرة المجمع)[٣٨].

لاقى كتاب رئيس أساقفة فيناروشير تأييد أكثر رؤساء أساقفة جرمانيا والنمسا، وخاصة رؤساء أساقفة براغ وكولونيا وميونخ وبمبرج وغيرهم، وأكدوا أن الوقت غير مناسب لنشر هذا التعليم، وضمن هذا السياق العام أكد العالم المسيحي "دولنكر" DOLNKR في حق طالبي تحديد العصمة أن هدفهم هو إجبار الشعب المسيحي تحت تهديد الحرم ومنع الأسرار والهلاك الأبدي، على أن يؤمنوا بما لم تؤمن به الكنيسة سابقا ولم تعتقده، مضيفا أن نشر هذه العقيدة سيحدث تغييرا في إيمان الكنيسة وتعليمها[٣٩].

لقد كانت قائمة المعارضين لتقرير عصمة البابا طويلة، فالكاردينال "روشر" Racher رئيس أساقفة فيينا والأسقف "هيغلي" من رتنبرج بدورهما طبعا كراريس ضد تحديد العصمة، غير أن هذه المعارضة لم تؤثر في باقي الأساقفة، فالفريق المؤيد لتقرير هذه العقيدة أبدوا صلابة شديدة، "كمانين" رئيس أساقفة لندرا، و"ديشان" رئيس أساقفة مالين، و"سيولدين" رئيس أساقفة بلتيمور، و"مرتين" أسقف بادربورن، و"يي" أسقف بوتير، و"حسون" بطريرك الأرمن الكاثوليك، حيث قدموا حججا كثيرة تؤيد تقرير هذا التعليم الجديد.[٤٠]

انبثق عن الجلسة التي عقدت في ١٣ يونيو سنة ١٨٦٠م، للنظر في شأن عصمة البابا من عدمه النتائج التالية:

- أصوات الارتضاء ٤١٥ صوتا.
- أصوات الارتضاء قليلا ٦٢ صوتا.
- أصوات عدم الارتضاء ٨٨ صوتا.

وقد طالب المصوتون لصالح إقرار العصمة، بإدخال ألفاظ صريحة تؤيد هذه العقيدة فقام "السيكما" في جلسة عمومية يوم السبت ١٦ يونيو بأخذ القرار الأخير في الجلسة الرابعة الجهارية للمجمع في ١٨ يونيو وكانت النتيجة على الشكل التالي:

- أصوات الارتضاء ٥٦٤ صوتا.
- أصوات عدم الارتضاء ٦ أصوات.
- ومائة وستة " ١٠٦ " غائبون، منهم بسبب المرض، ولكن الجانب الأعظم بسبب عدم قبولهم المصادقة على هذه العقيدة الجديدة.

وعقب عملية التصويت قام البابا "بيوس" PYOS التاسع رسميا بالمصادقة على عقيدة العصمة، وأصبحت حينها عقيدة من عقائد الدين المسيحي، فكان من تداعيات ذلك تعرض الأساقفة المعارضين لهذه العقيدة للعزل، مثلما جرى في جرمانيا حيث عُزل عدد غفير من أشهر علماء مدارس اللاهوت ووقفوا عن وظائفهم الكهنوتية لأنهم رفضوا هذه العقيدة الجديدة[٤١].

بعد إقرار عقيدة العصمة، قسمت الديانة المسيحية العصمة إلى نوعين: عصمة فعلية في التحديد والتعليم وهي خاصة بالبابا، وعصمة سلبية ويسمونها عصمة الخضوع والطاعة في قبول التعليم وتصديقه وهي لعموم الشعب المسيحي[٤٢].

تمّ اعتبار الكنيسة قاض معصوم في جميع مباحث الإيمان، وهي محصورة في البابا والأساقفة، أما الكهنة والعلماء وعموم الناس فليسوا ضمن دائرة الكنيسة المعصومة.

وبخصوص مصدر العصمة، فقد انقسم رجال الدين المسيحيين إلى أربعة مذاهب:

- الأول يرى أن مركز العصمة هو عموم الكنيسة، وله وجهان: الأول ينسب العصمة إلى الكنيسة المنتشرة، والثاني تنسب العصمة للأساقفة.

- أما المذهب الثاني يرى أن العصمة لجميع الأساقفة في مجامعهم سواء وافقت الكنيسة على الحكم المجمع عليه أم لم توافق عليه.
- المذهب الثالث: يرى أن العصمة هي للمجمع والبابا، وقد حصروها في أربع وجوه:
  - الوجه الأول : البابا وحده يحكم رسميا.
  - الوجه الثاني : البابا وبعض الأساقفة.
  - الوجه الثالث : البابا وحده إن قبلت أحكامه الكنيسة.
  - الوجه الرابع : البابا وبعض الأساقفة الذين يقبل حكمهم عموم الكنيسة.

أما جهة اتساع دائرة العصمة فهناك من يرى أن البعض يحصر العصمة في أمور الإيمان وتعاليم الأدب، والبعض الآخر يميز بين الحق وبين الحوادث وحوادث متعلقة بالإيمان، فيما ذهب بعضهم أن الكنيسة لم تحدد صراحة مركز العصمة[٤٣].

انطلاقا من هذه الأحداث الهامة يتضح أن الكنائس المسيحية لم تكن مجمعة على فكرة عصمة البابا وبشكل خاص تلك الكنائس المنتشرة في المشرق العربي حيث تفطنوا باكرا للآثار السلبية التي سيترتب عنها إقرار هذه العقيدة لاسيما المجتمعات المسيحية التي ستئن تحت هوى رجال الدين، ولهذه الغاية لم تتوان الفرق المسيحية المؤيدة لعقيدة العصمة من إصدار أحكام قاسية تضطهد المعارضين وتتهم بالزندقة والهرطقة والخروج عن الإجماع المسيحي. وبشكل خاص تلك الفرق المتواجد في المناطق الخاضعة للحكم الاسلامي، ومن هنا يتضح تأثر هذه الفرق ببعض الأفكار الإسلامية الداعية إلى عدم السيطرة على المجتمعات تحت عناوين "الطاعة الدينية والوقوع في الذنوب"، كما يفسر لنا أيضا ظهور حركات تصحيحية مسيحية فيما بعد تعارض بشدة طبيعة الدين المسيحي توجت فيما بعد بظهور فلسفة الأنوار بأوروبا.

المبحث الثاني: أثر العصمة على الحياة الثقافية والعلمية والفكرية بالغرب الإسلامي

المطلب الأول: أثر فكر الخزرجي في موضوع العصمة على الحياة الثقافية والعلمية والفكرية

شكل أبو عبيدة الخزرجي* عبر مصنفه مقامع الصلبان، أحد أبرز وجوه الحوار الديني بالغرب الإسلامي، فردوده على القسيس اللوطي شكلت نقطة تحول في علم مقارنة الأديان، فالرجل اعتمد في جداله على التوراة والإنجيل[٤٤]، وهذا دليل على مدى اهتمام علماء الإسلام في الأندلس بدراسة الكتب المقدسة ونقدها نقدا علميا، بالإضافة إلى ذلك، اعتمد الخزرجي في ردوده على ثلاث مناهج : المنهج النقلي والمنهج العقلي والمنهج التاريخي*، وهذا ما يتبين عند حديثه عن مسألة عصمة الكنيسة، والعصمة في مجال النبوات*. ومنهج الخزرجي كان له أثر كبير في الفكر الديني، سواء بالمشرق أو المغرب، فالقرافي على سبيل المثال عند حواره مع النصارى اعتمد كثيرا على أقوال الخزرجي خصوصا عند تطرقه لمسألة عصمة الكنيسة، وهو ما عبر عنه بالقول : « ولما علم حذاقهم أن دينهم ليس له قاعدة تبنى عليه ولا أصل يرجع إليه جمعوا عقول العامة بتخييلات موهمة وأباطيل مزخرفة وضعوها في الكنائس والمزارات»[٤٥].

فهذا الإقتباس يؤكد أن الخزرجي في حقل الجدل الديني عموما، وفي مسألة العصمة خصوصا تأثر به العديد من العلماء فردوده على القس النصراني في كتابه مقامع الصلبان لفت أنظار رجال العلماء المسلمين الذين تعرضوا للرد على اليهود والنصارى كالقرطبي الذي نقل كلامه في كتابه الإعلام بما فيه دين النصارى من الفساد، الأمر الذي أدى إلى إحياء الحركة الثقافية والدينية في عهده عموما وفي مجال الحوار الديني خصوصا[٤٦].

ويجب هنا أن لا يفوتنا ذكر أن أبو عبيدة الخزرجي استفاد كثيرا من كتاب الفصل لابن حزم للرد على القضايا الجدلية بالأندلس، بما فيها مسألة العصمة،

وبالتالي فإن جهود الخزرجي تدخل ضمن إطار المناظرات غير المباشرة التي كان يمارسها الأندلسيون للدفاع عن الإسلام[٤٧].

المطلب الثاني: أثر فكر الحكيم السموآل في موضوع العصمة على الحياة الثقافية والعلمية والفكرية

يدل كتاب "بذل المجهود في إفحام اليهود" على واسع علم ونظرة الحكيم السموآل*، وكثرة خبرته، فقد أظهر أثناء مناقشته لعقائد اليهود، بما فيها قضية العصمة، تناقض الأحبار وأخطائهم ومغالطاتهم، مستفيدا في ذلك من تجربته سابقا أحد كبار أحبار اليهود، ولذلك استطاع بما وصل إليه من علم بالتوراة، وسعة إطلاعه على الكتب متونا وشرحا أن يفحم علماء عصره من اليهود، ولا يزال هذا الإفحام يتصدى أحبارهم إلى يومنا هذا، وهو يتبع في ذلك طريقة " العناقلة " فيورد السؤال، ويتصور جوابه وما يمكن أن يستدرك عليه، ثم يرد على ذلك كله، ويجيب عنه : " نقول لهم ... فإن قالوا ... قلنا ... " ويورد إلى جانب ذلك نصوص التوراة[٤٨]، وهذا المنهج تكرر كثيرا عند تطرقه لعصمة الأنبياء، وما حدث من خلاف بين اليهود في قضية العصمة، والتي أدى لانقسامها. فقضية العصمة كانت حاضرة بقوة في كتاب بذل المجهود في إفحام اليهود للسموآل المغربي* ، مما يؤكد حضور هذا الموضوع بقوة في الفكر الديني بالغرب الإسلامي.

المطلب الثالث: أثر فكر الحجري في موضوع العصمة على الحياة الثقافية والعلمية الفكرية

شهدت الفترة التي عاصرها أبو القاسم الحجري* ظهور مجموعة من المؤلفات النصرانية التي تناولت الديانة الإسلامية بصورة مسيئة، ومن هذه المؤلفات " ضد القرآن " لبرناندو بيريث دي سنسون، و"ذم القرآن" لأحد أبناء الدومينكان، وشعلة العقيدة في مواجهة القرآن والعقيدة الإسلامية.

وقد حاول الأندلسيون من جانبهم الحفاظ على هويتهم الدينية، فكانت كتابات المسلمين الجدلية والحوارية في فترة أبو القاسم الحجري يغلب عليها مظهران :

- الدفاع عن الإسلام ضد أقاويل النصارى، والحفاظ على الهوية الإسلامية ضد موجات التنصير الموجه للمسلمين.
- نقض العقائد الدينية النصرانية، وبيان أفضلية الإسلام على النصرانية.

وكان لهذا الجدال في الأندلس أصداء على المغرب، فحذر أبو القاسم الحجري من الرهبان الذين كانوا متواجدين آنذاك بالمغرب*، فجادل بعضهم مثل الأمير الإسباني الذي كان بمراكش حيث ناقشه في مسألة عصمة القساوسة[٤٩]، وهذا المعطى يعزز طرحنا القائل بأن موضوع العصمة قد أخذ حيزا مهما من النقاشات بين المسلمين وغيرهم من أتباع الديانات السماوية*، فهذه القضية لطالما شكلت مدار خلاف شديد بين علماء المغرب والأندلس وأتباع الديانات السماوية، والملاحظ أن أبو القاسم الحجري اعتمد في مناقشاته وردوده على الأدلة العقلية القائمة على القياس.

ومن هنا يتبين لنا أن قضية العصمة لعبت دورا محوريا في تنشيط الحركة العلمية والثقافية والدينية، خاصة بعد سقوط الأندلس، إذ شكلت مدار خلاف بين علماء الفكر الديني.

المطلب الرابع: أثر فكر عبد الله الترجمان في موضوع العصمة على الحياة الثقافية والعلمية والفكرية

استفاد عبد الله الترجمان* في معالجته لموضوع العصمة وطريقة عرضها، من خلفيته السابقة المتمثلة في كونه قسيسا تلقى دراسة في الكتاب المقدس، فعبد الله الترجمان انقطع لطلب العلم واستطاع أن يصحب فيها أساطين العلم بالديانة النصرانية، أمثال: "نقلاو مرتيل"، الذي كانت منزلته في العلم والدين عند النصارى رفيعة جدا، بالإضافة إلى هذا كله، فالرجل كان عارفا بخبايا الكنيسة، وقد استغل عبد الله الترجمان هذه الحمولة ووظفها في طريقة عرضه للعصمة وتفنيد أدلة المسيحيين في هذه المسألة[٥٠]* فقدم لإثبات صحة وجهة نظره أدلة عقلية ونقلية وأمثلة تطبيقية. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرية الفكر التي وصل إليها علماء المغرب عندما ينشرون على وجه العموم كتبا تدافع عن العقائد الإسلامية، وقد أسهم ذلك بشكل كبير في تنمية نواحي التفكير الديني

وتأكيد مبدأ التسامح وتوثيق مشاعر الألفة بين المسلمين وباقي أتباع الديانات السماوية.

المبحث الثالث: مسألة العصمة ودورها في كشف الخصوصيات بين الديانات الثلاث

يبدو أن مقاربة الدين اليهودي والمسيحي لمسألة العصمة أنتج تداعيات متتالية، فإقرار هذه المسألة ساهم بشكل مباشر في جر التيارات المسيحية الغاضبة لهذه العقيدة إلى توجيه نقد مباشر للديانتين لكونها تشكل خروجا فاضحا ونكوصا عن العقائد الثابتة.

ويبدو أن إرهاصات هذا النقد قد ابتدء داخل البيئة الإسلامية التي كانت تتمتع آنذاك بحرية النقد والتفكير حيث مكن ذلك العلماء اليهود والمسيحيين المحسوبين على البيئة الإسلامية من توجيه انتقادات لاذعة وأفكار جديدة في هذه المسألة معززين رجاحة موقفهم بدلائل من الكتب المقدسة. وقد عم هذا النقد فيما بعد البيئة الأوروبية فوجهت سهام الطعن تجاه هذه العقيدة المستحدثة. فعلى سبيل المثال نجد اسبينوزا يقف في بنية كتاب النص المقدس على مفهوم النبوة حيث تبين له أنه تراث لا يلتقي مع العقل[٥١]، وفرويد بدوره لاحظ أن الدين الجديد يشكل نقوصا ثقافيا بالنسبة للدين القديم ذلك أن الدين الجديد لم يحافظ على الروحانية ولم يعد دين توحيد[٥٢]، ومارسيل البادوني كذلك اعتبر أن الإحالة إلى العهد القديم لم يعد صالحا[٥٣].

وهذا كله مجتمعا يؤكد بشكل لا لبس فيه الطبيعة المختلفة لكل من الدين اليهودي والمسيحي والإسلامي، فالدين الإسلامي سمح مبكرا باستعمال العقل ولم يقيده لصالح فرد بذاته أو مؤسسة دينية معينة، على عكس الديانتين اليهودية والمسيحية حيث حدّا بشكل كبير من استعمال العقل وأعطوا لرجال الدين والمؤسسات الدينية سلطة عليا تتحكم في العقل وتتفوق على النص لكونهم يتمتعون بالعصمة التي اكتسبوها من أنبيائهم، الأمر الذي جرّ عليهم فيما بعد ردود فعل عنيفة أدت إلى تراجع كبير لدور الدين داخل المجتمعات الغربية ومؤسسات الدولة معتبرين النصوص الدينية وأقوال رجال الدين ليست سوى

هرطقات وخرافات. خاصة أن الفكرة الحاكمة في العهد القديم هي الحتمية التاريخية لصالح الشعب دون أثر للدور الإنساني، وذلك بسبب عصمة الحاخامات والباباوات.

ربما أدركت الكنيسة مؤخرا هذا الخلل فقامت في المجمع الفاتيكاني الثاني بتصحيح هذه الفجوة والإنفتاح على تطورات المرحلة ومتطلباتها، من قبيل الاعتراف بحقوق الإنسان والحداثة وحق الانسان في تقرير مصيره[٥٤] وأن اليهودية والإسلام فيهما قدر كبير من هداية الإنسان إلى طريق الصواب. ومن هنا يمكن القول بأن المسيحية قد مرت بثلاثة مراحل وهي: النصرانية في عهد عيسى ومسيحية بولس ثم مسيحية المجمع الفاتيكاني الثاني. وقد تموقعت عقيدة العصمة بين المرحلتين الثانية والثالثة، وساهمت بشكل كبير في تغيير طبيعة الدين المسيحي لاحقا وتحولها لما عليه الآن.

وهنا يتبين لنا الخلافات الجوهرية بين البيئة العربية والبيئة الغربية ومفصلية العقل في كل بيئة على حدى. فالاسلام منذ ظهوره سعى بشكل أساسي إلى إحداث ثورة اجتماعية وفكرية، فكان هدفه الأسمى تغيير نمط حياة الإنسان والإنتقال به من مرحلة المسؤولية الجمعية والقبيلة إلى مرحلة المسؤولية الفردية، وهذا بطبيعة الحال يتطلب توفير بيئة ملائمة تسهم في تحقيق هذا المبتغى وفي مقدمة ذلك اكتساب أهلية قانونية وذمة مالية، وتساوي كل الأفراد بعيدا عن الهرمية الاجتماعية والوساطات الدينية لتحصيل السعادة الدينية والدنيوية.

وانطلاقا من ذلك يمكن تفسير إحدى العوامل المباشرة لظهور التيار العلماني في البيئة الغربية، فأسباب ظهوره مرتبطة بطبيعة الدين اليهودي والمسيحي حيث قاموا بالحطّ من النصوص المقدسة ورهن دور العقل والتفكير لصالح رجالات الدين الذين تحكموا في المجتمعات آنذاك تحت يافطة العصمة. وهذا ما خلا منه الإسلام ووجّه علماءه ومفكريه مبكرا سهام النقد له قبل ظهور الحركات الدينية الإصلاحية وفلاسفة الأنوار بأوروبا، وبذلك يكون العهد القديم مكون أساسي من مكونات الثقافة الغربية فأنتجت له مفاهيم عديدة من بينها المفاهيم

المرتبطة بالعصمة والعقل والفكر، وهذا يجرنا للقول بأن لكل بيئة مفاهيم خاصة وسياقات معينة ينبغي دراستها انطلاقا من هذه الدوائر. خاصة إذا وضعنا في الحسبان أن الأديان هي حاضنة الهويات وأن أصول الحضارات الكبرى ديانات.

النتائج والتوصيات

- إقرار عقيدة العصمة أثّر جذريا في طبيعة الديانة اليهودية والمسيحية حيث تم التحكم في الفرد تحت مسمى عصمة "رجال الدين".
- معارضة الفكر الإسلامي بالمطلق لهذه العقيدة كونها تعد انحرافا فاضحا عن أصول الديانتين.
- جلب إقرار عقيدة العصمة على الفكر الديني بالغرب ردود فعل عنيفة على كل ما له علاقة بالدين فانبثقت مدارس فكرية وفلسفية هدفها الأساسي نقد النصوص الدينية وكشف التناقضات بينها
- يؤشر الاختلاف بين الدين الإسلامي وباقي الأديان السماوية في هذه المسألة على خصوصية الإسلام وتبنيه نهجا منفتحا يمكن الفرد من حرية التفكير والإستخلاف في الأرض .
- اهتمام علماء الغرب الاسلامي بقضية العصمة يؤكد معرفتهم العميقة بعقائد الديانات السماوية الأخرى وما يعزز هذا الطرح تمكن لاهوتيي اليهودية والمسيحية من إبداء آرائهم في هذه المسألة سواء بالتأييد أو المعارضة دون تعرضهم للمضايقات.

المراجع

[١] سعد بن منصور بن كمونه، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث "اليهودية المسيحية الإسلام "، مكتبة دار الأنصار للطباعة والنشر، لبنان، الطبعة الثانية، صفحة ٤٧.

[٢] سفر الخروج ٣٢/ ١ - ٦.

[٣] سفر الملوك الأول١١/١ - ١١.

[٤] سفر التكوين ٢٠/٩ - ٢٨ .

[٥] سفر التكوين ١٩/ ٣٠ - ٣٨.

[٦] سفر صموئيل الثاني١١/ ٢- ٣- ٤ .

[٧] فتحي محمد الزغبي، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، الطبعة الأولى، مصر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤ م، صفحة ٧٢٩ .

[٨] المصدر نفسه، ص ٧٣١.

[٩] فتحي محمد الزغبي، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٧٣١.

[١٠] المصدر نفسه، ص ٧٣١.

[١١] يوسف نصر الله، الكنز المرصود في قواعد التلمود، طبعة المعارف، مصر، الطبعة الأولى، ١٨٩٩م، صفحة ٣٤

[١٢] المصدر نفسه، ص ٣٤ - ٣٥.

[١٣] المزمور ٩/٧٤ .

- هو أبي عمران موسى بن ميمون عبيد الله، ويعرف عند الأوروبيين بـ MAiMONDESويسميه اليهود ربينو موشيه بن ميمون، ولد في ٣٠ مارس ١١٣٥ م / ٥٣٠ هـ في قرطبة، عاش متنقلا بين مدن المغرب العربي وشمال إفريقيا حتى استقر بمصر وتوفي بها.

- يحصر ابن ميمون صفات العصمة فقط في النبي موسى، لأن اسم النبي يطلق على موسى وحده، أما ما عداه من الأنبياء فيطلق عليهم بتشكيك: (أما الدليل الشرعي على كون نبوته مباينة لكل من تقدمه، فهو قوله تجليت لإبراهيم إلخ .. وأما أسمى يهوه فلم أعلنه لهم فقد أعلمنا أن إدراكه ليس كإدراك الآباء بل أعظم، أما مباينتها لنبوة كل من تأخر فهو قوله على جهة الإخبار، ولم يقم من بعد نبي في إسرائيل كموسى الذي عرفه الرب وجها إلى وجه، فقد بين أن إدراكه مباين لإدراك كل من يتأخر بعده في إسرائيل). للمزيد أنظر، موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، تحقيق حسين آتاي، مكتبة الثقافة الدينية، الجزء الثاني، صفحة ٣٩٨.
- يقول ابن ميمون: «تصحب المرء معونة إلهية تحركه تجاه فعل الخير، والمحرك أو الدافع لذلك يسمى روح الله، وهذه درجة قضاة بني إسرائيل ونصارى إسرائيل الفضلاء كلهم. وهذه القوة (روح الله – روح القدس). لم تفارق موسى منذ بلوغه حد الرجال، وهي التي تحرك المؤيد لفعل ما لنصرة مظلوم مثلا ولا يقال عن شخص ما صحبته روح الله إلا عندما يفعل فعلا خيرا له قدر عظيم أو ما يؤدي إلى ذلك». للمزيد أنظر، موسى ابن ميمون، دلالة الحائرين، ٤٣٧/٢.

[١٤] إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، الطبعة الأولى، ١٣٥٥ هـ/١٩٣٦م، صفحة ٦٢ - ٦٣.

[١٥] فتحي محمد الزغبي، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٦٨٠.

[١٦] المصدر نفسه، ص ٦٨٠ - ٦٨١.

- يهود بن شموئيل هليفي، كنيته بالعربية أبو الحسن اللاوي، ولد عام ١٠٧٥ م، في مدينة تطيلة أحدى مدن ولاية سرقسطة تلقى يهود اللاوي تعليما عاليا، فدرس الطب والفلسفة اليونانية والعربية في قرطبة، ودرس العلوم الدينية والتلمود على يد إسحاق الفاسي في مدينة أليسانا ، أتقن العربية وانبهر بالأدب العربي، توفي في مصر عام ١١٤١ م.

[١٧] يهودا ابن شموئيل هليفي، الحجة والدليل في نصر الدين الذليل، ترجمة إبراهيم أبو المجد، إشراف ومراجعة حسن حنفي وأحمد هويدي، القاهرة - المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، صفحة ١١- ١٢.

- يقول هليفي: (وكان بنو إسرائيل قد وعدوا بأن ينزل إليهم من عند الله أمر يرونه ويؤمونه كما أمروا عمود غمام والنار حين خروجهم من مصر، ويسيرون إليه ويعظمونه ويستقبلونه ويسجدون نحوه لله تعالى وكذلك كانوا يؤمنون عمود الغمام الذي ينزل على موسى طول مخاطبة الله له، فيقف بنو إسرائيل ويسجدون نحوه لله تعالى، فلما سمع القوم خطاب الكلمات العشر، وصعد موسى إلى الجبل ينتظر اللوحين لينزلهما مكتوبين ويصنع لهما الثابوت فيكون لهم قبلة مرئية فيها العهد الالهي والاختراع الرباني، أعني اللوحين سواء ما اتصلت بالتابوت من الغمام والأنوار وما ظهر بتوسطه من المعجزات، وبقي القوم منتظرين نزول موسى ، وهم على حالهم لم يغير زيهم وحلاهم وحللهم التي عيدوا بها يوم الطور بل بقوا بهيئتهم ينتظرون موسى مع اللحظات، فأبطأ عنهم أربعين يوما وهو لم يتزود، ولا فارقهم إلا على نية الانصراف من يومه، غلب سوء ظن بعد ذلك على بعض الجمهور ذلك الجمهور العظيم وبدت العامة تتفرق فرقا وتكثر الآراء والظنون حتى لجأ قوم منهم إلى أن طلبوا معبودا يؤمونه كسائر الأمم من غير أن يجحدوا ربوبية من أخرجهم من أرض مصر، بل لأن يكون ذلك موصفا لهم يسيرون إليه، إذا وصفوا عجائب ربهم كما فعل المؤمنون بتابوت من سبعة قائلين إن الرب هناك، وكما نفعل نحن بالسماء وبكل أمر نتحقق أن حركته إنما هي بمشيئة الله دون اتفاق ولا إرادة إنسان ولا طبيعة، فخطأهم كان في التصوير الذي منعوا عنه وفي أنهم نسبوا أمرا إلهيا لشيء مصنوع بأيديهم واختيارهم دون أمر الله، وعذرهم في ذلك ما تقدم من التشتت الواقع بينهم، ولم ينته الذي عبدوه نحو ثلاثة آلاف من جملة ستمائة ألف، وأما عذر الخاصة المساعدين في عمله فكان لغرض عسى أن يظهر العاصي من المؤمن ليقتل العاصي العابد للعجل، وكان في ذلك عليهم

نقد، إذ أخرجوا العصيان من القوة والضمير إلى حد الفعل فلم يكن ذلك الذنب خروجا عن جملة طاعة من أخرجهم من مصر، لكن خالفوا بعض أوامر، فإنما الله تعالى نهى عن الصور فاتخذوا صورة، وكان لهم أن يصبروا، فالقوم لم يكن قصدهم الخروج عن الطاعة، بل مجتهدون بزعمهم في الطاعة، ولذلك قصدوا هارون وقصد هارون كشف سريرتهم، فساعد في عمله وأدركته الملامة لإخراجه عصيانهم من القوة إلى الفعل) للمزيد أنظر، الحجة والدليل، ص ١٥٤- ١٥٥- ١٥٦.

- يقول هليفي: (أنها ذنب شنه عليهم لجلالتهم، وأن الجليل هو من عدت خطاياه، وأن بني إسرائيل أشرف الأقوام فقد اتخذهم الله أحزابا وأمما من بين ملل العالم، وحل فيهم الأمر الإلهي في جماهيرهم حتى وصل جميعهم إلى حد الخطاب، وتخطى الأمر إلى نسائهم، فكان منهن نبيات بعد أن كان الأمر لا يحل إلا في أفراد من الناس من لدن آدم، فإن آدم هو الكامل دون استثناء. إذ لا عذر في كمال صنعة من صنائع حكيم قادر) للمزيد أنظر، الحجة والدليل، ص ١٥٣.

[١٨] يهودا هليفي، الحجة والدليل، ص ١٢٧ و ١٥٢.

- يقول هليفي: (الإنسان الذي تهيأت له استعدادات يقبل بها الفضائل الخلقية والعلمية والعملية، لم ينقصه شيء من الكمالات، التي يجب أن تترجم إلى أفعال، فتظهر الهيأة على ما هيئت لها من كمالات، والكامل يتصل به من النمط الإلهي نور يسمى العقل الفعال، يتصل به عقله المنفعل اتصال اتحاد حتى يرى الشخص أنه هو ذلك العقل الفعال، وتصير أعضاء ذلك الشخص لا تتصرف إلا في أكمل الأعمال وفي أوفق الأوقات وعلى أفضل الحالات، وكأنها آلات للعقل الفعال، لا للعقل الهيولاني المنفعل الذي كان من قبل أن يصرفها، فكان يصيب مرة ويخطئ مرات، وهذا يصيب دائما، وهذه الدرجة الغاية القصوى المرجوة للإنسان الكامل بعد أن تصير نفسه متطهرة من الشكوك محصلة للعلوم على حقائقها فتصير كأنها ملك، فتصير بأدون رتبة من الملكوتية المفارقة للأجساد وهي رتبة العقل الفعال، وهذه رتبة يصل

إليهـــا الإنســـان الكامـــل تســـمى " رضـــى الله "، وهـــي معونـــة تصـــل بصـــاحبها إلى إصابة الحق). للمزيد أنظر، الحجة والدليل، ص ١٢٦- ١٢٧.

[١٩] يهودا هليفي، الحجة والدليل، ص ٧-٨-٩-١٠.

[٢٠] رسالة إلى أهل رومية، ١/٤-٥-٧.

[٢١] رسالة إلى أهل رومية، ٥/١١-١٢.

[٢٢] رسالة إلى أهل كورنثس، ١/٧-٨-٩.

[٢٣] إشعيا ٩/٦

[٢٤] المزامير ١١٠/١.

[٢٦] بطرس ٢/٢٢

[٢٧] مزمور ٤٥/٧.

[٢٨] رسالة العبرانيين ٧/٢٦

[٢٩] بطرس ١/١٩.

[٣٠] رسالة إلى العبرانيين ٧/٢٦.

[٣١] رسالة على أهل كورنثس ٥/٢١.

[٣٢] يوحنا ٨/٤٦.

[٣٣] حمـــدي عبـــد العـــال، الملـــة والنحلـــة فـــي اليهوديـــة المســـيحية الإســـلام، دار القلـــم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م، صفحة ١٢٠.

[٣٤] سوســـنة ســـليمان، فـــي أصـــول العقائـــد والأديـــان، وهـــو المبحـــث الرابـــع مـــن المقالـــة الثانيـــة مـــن كتـــاب زبـــدة الصـــحائف فـــي أصـــول المعـــارف، بيـــروت ١٨٦٢م، صـــفحة ١٥٤.

[٣٥] يوحنا لورنس فان موسهيم، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٨٧٥م، صفحة ٧٦٢.

[٣٦] المصدر نفسه، ص ٧٦٣.

[٣٧] المصدر نفسه، ص ٧٦٤-٧٦٥.

[٣٨] يوحنا لورنس فان موسهيم، تاريخ الكنيسة القديمة والحديثة، ص ٧٦٣ بتصرف .

[٣٩] المصدر نفسه، ص ٧٦٣ .

[٤٠] يوحنا لورنس فان موسهيم، تاريخ الكنيسة القديمة والحديثة، ص ٧٦٤ .

[٤١] المصدر نفسه، ص ٧٦٤.

[٤٢] يوحنا لورنس فان موسهيم، تاريخ الكنيسة القديمة والحديثة، ص ٧٦٥

[٤٣] المصدر نفسه، ص ٧٦٥-٧٦٦.

[٤٤] عبد الرحمن الطيب، أبو عبيدة الخزرجي وجهوده في مجادلة النصارى بالأندلس من خلال كتابه مقامع الصلبان، تقديم سعيد كفايتي، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ/ ٢٠١٤ م، صفحة ٢٩.

[٤٥] خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١، صفحة ٢٦٨.

[٤٦] المصدر نفسه، ص ٢٦٠ .

[٤٧] خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس ، ص ١١٩ .

- هو السؤال بن يحيى بن عباس المعروف بالمغربي ولد بفاس ١١٣٠ م، وتوفي ١١٨٠ م، عالم رياضي وطبيب، كان أبوه من كبار الحاخامات،

أشهر إسلامه ١١٦٥ م بمراغة، له عدة مؤلفات من أهمها بذل المجهود في إفحام اليهود

[٤٨] السموءل بن يحيى بن عباس المغربي، بذل المجهود في إفحام اليهود، تحقيق وتعليق، عبد الوهاب طويلة، دار القلم، دمشق، ١٤١٠ هـ/١٩٧٩م، صفحة ١٠ - ١١ .

- عن عصمة الحاخامات والفقهاء اليهود يرى الحكيم السموأل أن موضوع العصمة أحدث اختلافا وتفرقة بين رجال الدين اليهود. فالمنشا والتلموديون والربانيون يزعمون أن الفقهاء إذا اختلفوا في المسائل والقضايا المتعلقة بالأمور الدينية، فإن الله يخاطبهم في كل مسألة ويوحي إليهم بصوت يسمعه جمهورهم يقول الحق في المسألة مع الفقيه فلان، وهم يسمعون الصوت " بث قول". هذا الأمر انتقده اليهود القراؤون – وهم أصحاب عانان وبنيامين – واعتبروها أمورا شنيعة وافتراء وكذبا، وقالوا بعد أن ثبت كذبهم على الله، وأنهم قد ادعوا النبوة، وزعموا أن الله كان يوحي إليهم جميعا في كل يوم مرات، قد فسقوا ولا يجوز قبول شيء منهم، بالتالي خالفوهم في سائر ما ألفوه من الأمور. ويرى الحكيم السموآل أن القراؤون، أكثرهم خرج إلى دين الإسلام ولم يبق منهم إلا نفر يسير، لأنهم أقرب إلى الاستعداد لقبول الإسلام للهروب من محاولات الفقهاء الربانيين الذين شددوا على جماعاتهم وادعوا صفات بعيدة عن مهمتهم . للمزيد أنظر، السموءل بن يحيى بن عباس المغربي، بذل المجهود في إفحام اليهود، ص ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧.
- هو شهاب الدين أحمد بن قاسم الحجري المعروف بأفوقاي ولد بالأندلس سنة ١٥٦٩، ينتسب إلى قرية الحجر إحدى قرى غرناطة، هرب من إسبانيا ولجأ للمغرب في عهد الدولة السعدية، انقطعت أخباره بتونس بعد سنة ١٦٤٠ م.
- يقول الحجري:(وما قولكم في دينكم في رجل زنا بامرأة محصنة وحملت منه وولدت، وزوج المرأة يعتقد أن المولود كان ابنه حتى كبر وزوجه وأعطاه حظا من ماله، واشتكى يوم الحساب لله سبحانه من زوجته وممن

زنا بها والمال الذي أنفق وأعطي لابن الذي زنا بها، فأحضر الزاني والزانية وقيل لهما في ذلك، فقالت المرأة : أنا ذكرت ذنبي للقسيس الفلاني وغفر لي، وقال الزاني : أنه ذكر ذنبه للقسيس في الدنيا وغفر له ذنبه. والسؤال منكم أيها الراهب العالم في دينه هل بقي للرجل المظلوم ما يطلب أم لا ؟ وكتب الجواب وقال: ليس للرجل ما يطلب من زوجته ولا ممن زنى بها بعد استقرارها في الدنيا للقسيس من الذنوب لأنه غفر لهما، ولم يبق للزوج حق عليهما. فأنظر هذا الاعتقاد الفاسد الذي عندهم في دينهم، يذكرون للقسيس جميع ذنوبه ويعطيه براءة بالمغفرة، ويأخذ الدراهم عليها، حينئذ يذهب مغفورا له، وفي سائر الأيام إذا كان مريضا يمشي إليه القسيس إلى بيته ويغفر له). أنظر، أحمد بن قاسم الحجري، ناصر الدين على القوم الكافرين، تحقيق وترجمة قاسم السامرائي وآخرون، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، صفحة ١٦٠ -١٦١.

[٤٩] خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، ص ٩٩.

- يقول الحجري في هذه المسألة: (والتقيت بأمستردام بلفنضس بحبر مفتي اليهود، مشى إليهم من بلاد المشرق، وقال لي : - في أثناء الكلام عن سيدنا موسى عليه السلام – أنه عمل ذنبا عظيما. قلت له : الأنبياء عليهم السلام منزهون عن الذنوب، وكيف تقول أنت هذا الكلام ؟ قال : نعم، لأنه كان يوبخ بني إسرائيل، ويقول فيهم : أنهم قوم قاسحون، لأنهم أهل الله، ولا علت درجته عند الله تعالى إلا بسببهم. وهذا برهان فيما قلنا : أن فيهم الكبر، حتى أنهم يعظمون أنفسهم على أنبياء الله تعالى») أنظر، الحجري، ناصر الدين على القوم الكافرين، ص ١٣١.
- هو أبو محمد عبد الله بن عبد الله الترجمان الميروقي، ولد في ميروفة سنة ١٣٥٥ م، كان قسا نصرانيا إسمه إنسلمتورميدا، حينما أسلم ألف عدة كتب منها : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، توفي بتونس سنة ١٤٢٣ م.

[٥٠] أبي محمد عبد الله الترجمان الميورقي، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، دراسة وتحقيق وتعليق عمر وفيق الداعوق، طبعة دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م، صفحة ٢٥- ٢٦ .

- والنصارى يعتقدون أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بعد الإقرار بالذنوب للقسيس، وأن كل من يخفي عنه ذنبا واحدا فلا ينفعه إقراره، فهم في كل سنة عند صيامهم يمشون إلى الكنيسة ويقرون بجميع ذنوبهم للقسيس الذي يقوم بكل كنيسة وفي سائر أوقاتهم لا يقر أحد بذنب إلا إذا مرض وخاف الموت، فإنه يبعث إلى القسيس فيصل إليه ويقر له بجميع ذنوبه فيغفرها لهم. وهم بهذا يعتقدون أن كل ذنب يغفره القسيس فإنه مغفور لمنزلته العظيمة عند الله تعالى. فمن أجل ذلك صار البابا الذي يكون بمدينة رومة، وهو خليفة عيسى في الأرض يعطي لمن يشاء براءة غفران الذنوب والتسريح من النار ودخول الجنة، وكذا يفعل في كل ما ينوب عنه في جميع أرض النصارى من القسيسين يعطون البراءات بالمغفرة وإيجاب الجنة والنجاة من النار، ويأخذ النصارى هذه البراءات بعد أن يعطوا عليها لمن يكتبها لهم المال الجزيل فيخبؤنها عندهم، حتى إذا مات أحدهم جعلت تلك البراءة معه في كفنه واعتقادهم يقينا أنهم يدخلون الجنة بتلك البراءات، وهذا من حيل القسيسين، فيقال لهم لأي شيء تصنعون هذا ؟ ولم يأمركم به عيسى ولا هو منصوص في شيء من أناجيلكم، وابن الله أقرب إلى الله على قولكم لمغفرة الذنوب من جميع القسيسين. ثم إن القسيس لا شك عندكم في أنه بشر مثلكم وربما تكون له ذنوب أكثر من ذنوبكم لا سيما تكفيركم برأيه، وإضلالكم فمن هو الذي يغفر الذنوب ؟ يقول الله تعالى في كتابه العزيز «إن الله لا يغفر أن يشرك به»، فإذا كانت مغفرته لكم محالا بخبره الصادق فمغفرة القسيس أشد من المحال، وأقرب لسخرية الشيطان وجنوده منكم واستهزائه بكم «ومن يغفر الذنوب إلا الله». أنظر، أبي محمد عبد الله الترجمان الميورقي، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، ص ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١.

[٥١] باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، مراجعة فؤاد زكريا، مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٠م، صفحة ١٦١ - ١٦٢.

[٥٢] سيغموند فرويد، موسى والتوحيد، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٦م، صفحة ١٢٣

[٥٣] جوزيف لوكلير، تاريخ التسامح في عصر الإصلاح، ترجمة جورج سليمان، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، صفحة ١٣٢

[٥٤] البيان المجمعي "الحرية الدينية"، ١٩٦٥م، رقم ٧.

دراسات

صلحاء واحة فكيك ودورهم التربوي و الاجتماعي
أواخر العصر الوسيط وبداية الحديث

الأستاذ الدكتور

نور الدين أمعيط

د. نور الدين أمعيط
أستاذ باحث/ جامعة شعيب الدكالي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة
nour7404@gmail.com

Received:27/ 2/ 2024
Revised: 19/ 3/ 2024
Accepted: 1/ 4/ 2024
Published: 25/ 4/ 2024

صلحاء واحة فكيك ودورهم التربوي و الاجتماعي
أواخر العصر الوسيط وبداية الحديث

Saints of Figuig Oasis and their educational and social role, During the Late Middle Ages and early modern times.

الملخص:

شكلت واحة فكيك محطة استراتيجية مهمة بموقعها المتميز شرق بلاد المغرب الأقصى، حيث كانت محطة استراحة رئيسية لركب الحاج المغربي، وقاعدة تجارية وسط الصحراء، مما أهلها لاحتلال مكانة متميزة ضمن الخريطة الصوفية بالمغرب، غير أن تاريخها الديني لا يزال في حاجة إلى المزيد من البحث والتنقيب.

وفي هذا الإطار، تسعى هذه الدراسة إلى التعريف بواحة فكيك وأصالة تاريخها الديني على وجه التحديد، وذلك بإبراز الدور الروحي الذي تميزت به، من خلال تسليط الضوء على بعض أهل العلم والصلاح من رجالاتها، و رصد أدوارهم التربوية والاجتماعية، اعتمادا على جملة من كتب التراجم والطبقات المصنفة أواخر العصر الوسيط وبداية الحديث.

الكلمات المفتاحية:

واحة فكيك-الصلحاء-التصوف-الدور التربوي والاجتماعي- أواخر العصر الوسيط-العصر الحديث.

Abstract:

Figuig Oasis constructed an important strategic station with its distinguished. Location in the far east of the Maghreb, as it was a major resting station for Moroccan pilgrims, and a commercial base in the middle of the desert, which qualified it to occupy distinguished position within the Sufi map of Morocco. However, it's religious history still requires further research and exploration.

In This context, this study seeks to introduce the Figuig Oasis and he authenticity of its religious history specifically, by highlighting the spiritual role that characterized it, by shedding light on some of its scholars and righteous men, and monitoring their educational and social roles, based on a number and the beginning of biographical books. The classified classes of the late middle age and the beginning of the modern era.

Keywords:

Figuig Oasis-Sufism-Saints-educational and social role-late Middle Ages-Modern era.

مقدمة

بالرغم مما حققته الكتابات التاريخية المونوغرافية في المغرب من وفرة و تنوع، مع ما صاحب ذلك من تراكم معرفي، واتساع في أفق المقاربات المنهجية، فإن غالبية المونوغرافيات المنجزة، لم تول العناية اللازمة لظاهرة الولاية و الصلاح بالمناطق التي اتخذت منها مجالا للدراسة، خاصة وأن هؤلاء الأولياء والصلحاء، شكلوا دعامة المجتمع القبلي بالمغرب، وأحد أسس الحياة الدينية والروحية للعامة والخاصة سواء داخل البوادي أو الحواضر بالمغرب خلال العصرين الوسيط والحديث.

ولعل من بين المجالات التي لعبت فيها ظاهرة الولاية والصلاح دورا محوريا، نذكر المجالات الواحية، ومنها منطقة فكيك التي تعد من أهم واحات المغرب الشرقي الشهيرة بنشاطها الروحي منذ فترات مبكرة من العصر الحديث، فقد أنجبت عددا مهما من العلماء، كما احتضنت ثلة بارزة من الصلحاء والمتصوفة ممن لعبوا أدوارا طلائعية داخل المجتمع الفكيكي وخارجه، سواء على المستوى الروحي أو التربوي أو الاجتماعي.

وتسعى هذه الدراسة إلى التعريف بواحة فكيك وأصالة تاريخها الديني على وجه التحديد، وذلك بإبراز الدور الروحي الذي تميزت به، من خلال تسليط الضوء على بعض أهل العلم والصلاح من رجالاتها، و رصد أدوارهم التربوية والاجتماعية، اعتمادا على جملة من كتب التراجم والطبقات المصنفة أواخر العصر الوسيط وبداية الحديث، نظير ثبت الوادي آشي (ت. ٩٣٨هـ/١٥٣٢م) ودوحة الشفشاوني (ت٩٨٦هـ/١٥٧٨م)، ودرة ابن القاضي المكناسي (ت١٠٢٥هـ/١٦١٧م)، وتشوف الصومعي(ت١٠٩١هـ/١٦٨٠م) ومثاني القادري (ت١١٨٧هـ/١٧٧٩م)، وسلوة الكتاني(ت.١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م)، فضلا عن مراجع ودراسات سابقة، ذات صلة بالموضوع.

أولا: واحة فكيك، خصوصية الموقع و أصالة التاريخ

١-واحة فكيك، خصوصية الموقع وأثره على الحياة الفكرية والروحية

تقع واحة فكيك في أقصى الجنوب الشرقي لبلاد المغرب الأقصى، على بعد ٣٧٠ كلم جنوب مدينة وجدة، وقد ارتبط أصل تسميتها بالجدر اللغوي فجج، ومنه فج وفجاج وإفجيج، ومعناه الممر الذي يخترق جبلا، ويقابله في الأمازيغية لفظ "تاغيا" الشائع بالأطلس الصغير، وتصغيرها "تاغيت" وهي تسمية الممر الجنوبي الذي يفصل بين عرفين وهما جبل تاغيت وجبل تاغلة موصلا فكيك ببني ونيف(١).

تتكون فكيك من مجموعة من التجمعات السكنية التي تعرف باسم "القصر"(٢)، وعددها سبعة، أكبرها قصر ازناكة أو "إزناين" وهي "إصنهاجن"، إضافة إلى الحمام الفوقاني (آيت عامر) والحمام التحتاني (آيت أودي) ثم المعيز (آيت المعز) وأولاد سليمان وأخيرا لوداغير(آيت عدي) والعبيدات (آيت النج)، تخترق هذه القصور واد زرفانة ورافده وادي تاغيت، فضلا عن وجود مجموعة من العيون التي تساق مياهها عبر الخطارات إلى البساتين المحاطة بجدران من طين(٣).

وبالنظر للموقع الاستراتيجي المتميز لواحة فكيك على الطريق الرابط بين المغرب الأقصى والمشرق العربي من جهة، وبين بلاد المغرب وبلاد السودان من جهة ثانية، فقد عرفت المنطقة، تلاقحا ثقافيا ودينيا كبيرا، بحضور الديانتين اليهودية والمسيحية، وذلك قبل وصول الفاتحين المسلمين للمغرب بزعامة عقبة بن نافع الفهري سنة ٥٠هـ/٦٧١م.

ومن دون شك، فإن الموقع المتميز لواحة فكيك، جعلها تحتل قصب السبق في النشاط الروحي، إذ عرفت المنطقة تيارا زهديا منذ القرن الرابع الهجري مع الأشراف الأدارسة الذين فروا من حروب موسى ابن أبي العافية(٤)، وهي الهجرة التي شكلت مدخلا طبيعيا لتعاظم التيارات الزهدية وظهور الزوايا بالمنطقة التي ستتضح معالمها بشكل بارز منذ القرن ٩هـ/١٥م(٥)، لا سيما مع أسرة آل عبد الوافي بزعامة محمد بن عمار الفجيجي (ق ٧هـ/١٣م)(٦).

وغني عن البيان أن خصوصية موقع واحة فكيك، جعلها تشكل محطة للاستراحة والتزود لركب الحاج السجلماسي، حيث كان الحجاج يتخذون من الواحة محطة لاستراحتهم مرتين كل عام، عند الذهاب وأثناء الإياب، ولا غرو،

فقد أمدتنا كتب الرحلات الحجازية بقرائن دالة على أهمية موقع هذه الواحة ودورها الاقتصادي والروحي، بل ودور أعلامها من أهل العلم والتصوف، حيث أنشد أبو سالم العياشي أبياتا شعرية يصف فيها لوعة الشوق وألم البعاد(٧) حين حل بواحة فكيك عام ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م.

ولما كان ركب الحاج يشمل العديد من الفقهاء والصلحاء وأهل العلم، فقد كانت محطات الاستراحة تتحول في الأغلب الأعم إلى حلقات للذكر والدرس، ومناسبة لإثارة قضايا ثقافية ودينية عامة، وأخرى تتعلق بالحبس والمغارسة والسماع والرقص الذي شاع من بعض الطرق الصوفية حينذاك، وقد نقل الهشتوكي في رحلته بعضا منها، حين قال "ونزلنا بمنزل الحجيج خارج القصبة وحيالها، وهناك جاء طلبة فجيج، وأكثروا في الأسئلة، وكنت أحيلهم على الفقيهين الجليلين المحققين الحافظين، سيدي محمد بن عبد الله بن الحسين الدرعي، والسيد إبراهيم بن عبد الرحمان المن لا يخافي"(٨).

إن نزول ركب الحاج بواحة فكيك، كان له بالغ الأثر على أهل البلد ممن كانوا يتحلقون حول أهل العلم والصلاح لينهلوا من علمهم وتوسيع مداركهم، حتى اعتبر أحد الباحثين(٩)أن حلقات الرحالين ونشاطهم بواحة فكيك، هو وجه آخر للمدارس التي تكون فيها الطلبة الفكيكيون، لا سيما خلال القرنين الحادي والثاني عشر للهجرة، علما أن من الصلحاء الرحالة(١٠)من فضل الإقامة بواحة فكيك حتى أدركته المنية بأرضها.

و بالمثل، فقد كان لبعد المنطقة عن مراكز القرار السياسي في الشمال بالمغربين الأقصى والأوسط، تأثيره الواضح عن أهمية المنطقة روحيا، كما أن شساعة المنطقة ووضعها الديموغرافي وتنوعها التضاريسي، قد ساهم إلى حد كبير في تمركز المتصوفة وأهل الزهد المنقطعين للعبادة الذين غالبا ما يجدون في الأودية و مغارات الجبال، مقاما للتعبد بعيدا عن كل اتصال بشري(١١).

هكذا إذن، وجد الصلحاء بواحة فكيك فضاء مناسبا للعبادة والانقطاع عن ملذات الدنيا، خاصة وأن المجال الصحراوي، يوفر فرص الخلوة والتعبد للتدرج في مقامات السالكين، ولا غرو فقد تحدث الهشتوكي في رحلته إلى الحج سنة ١١١٩هـ/١٧٠٧م، عن فرار" الأولياء والسياح من كل بلد" إلى مسجد بأعلى

وادي النخيل على مقربة من الغاسول قلما "يخلو من منقطع للعبادة وهو في خلاء من الأرض"(١٢).

٢-واحة فكيك وأصالة التاريخ

أكدت الأبحاث الأثرية أصالة تاريخ منطقة فكيك وقدم التعمير بواحاتها التي تميزت بالخصب والنماء منذ العصور القديمة، ذلك ما أثبته ثلة من الباحثين الغربيين أمثال(HAMY.E.T)(١٣)حول بعض النقوش الصخرية والكتابات المنقوشة على صخرة الحاج ميمون، وتقرير (GAUTIER.E.F)(١٤) حول أبحاثه الجيولوجية والجغرافية لواحة فكيك، فضلا عن دراسات وأبحاث أخرى لكل من فلامون (G.B.FLAMAND)(١٥) و ستيفان كزيل (Stephan Gsell)(١٦)والباحثة الفرنسية أوديت دي بيكودو (O.D.Pigaudau)، وغيرهم ممن أثبتوا قدم الاستقرار و أصالة تاريخ هذه المنطقة.

وبالعودة إلى حقبة العصر الوسيط، نصادف بعض كتب الجغرافيا والرحلات متحدثة عن فكيك، ومنها صاحب كتاب الاستبصار الذي أكد خصوبة المنطقة وقدم التعمير بها، حين أشار أن "أرض فجيج بلاد خصبة، فيها نخل كثير، وتسكنها أمم شتى"(١٧).

أما الحسن الوزان، فقد كان أكثر تفصيلا، حين ذكر موقع فكيك، ومؤهلاتها الطبيعية، والاقتصادية وعناية رجالها بالعلم، ونسائها بصناعة الثياب، فهي بحسب وصفه "عبارة عن ثلاثة قصور في وسط الصحراء، يحيط بها عدد كبير من النخل. وتنسج النساء ثيابا من الصوف على شكل أغطية السرير، لكنها دقيقة رفيعة حتى يظن أنها حرير، وتباع بثمن مرتفع في مدن بلاد البربر كفاس وتلمسان. والرجال أذكياء جدا يتعاطى بعضهم التجارة في بلاد السودان، ويرحل البعض الآخر إلى فاس لدراسة الآداب، وإذا نال أحدهم الإجازة عاد إلى نوميديا وأصبح إماما أو خطيبا، لذلك كان جميع الفكيكيين أثرياء، وهذه القصور على بعد نحو مائتين وخمسين ميلا شرقي سجلماسة"(١٨).

وواضح أن واحة فكيك، كان لها دورا استراتيجيا مهما، حيث شكلت نقطة تماس وخط احتكاك بين القوى المختلفة المتعاقبة والتيارات المتباينة، فشكلت دوما

مركز تبادل واحتكاك بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب، مما جعلها عرضة لهزات عنيفة وتحركات قوية تخللتها محطات استقرار تطول وتقصر تبعا لنفوذ الدول الكبرى التي تعاقبت على السلطة المركزية بالمغرب(١٩).

ثانيا: واحة فكيك أرض العلم و الصلاح

١- واحة فكيك أرض العلم

استفادت واحة فكيك من موقعها ومؤهلاتها الاقتصادية والعلمية، خاصة وأنها شكلت معبراً رئيسيا ومحطة أساسية تتفرع عنها مسالك نحو الشمال والجنوب والشرق والغرب، فقامت بدور الوساطة التجارية، بفضل ما كانت توفره من سلع وبضائع، ترد عليها من مختلف الجهات، بفضل الحركة التجارية النشيطة مع واحات تافيلالت وتوات وبلاد السودان ووجدة وتلمسان والمشرق العربي، لذلك توافد عليها التجار والعلماء والفقهاء والحجاج، حتى صارت قاعدة الصحراء ومركزها، فنسجت علاقات ثقافية وروحية مع عدد من المراكز الثقافية والروحية، وذلك بفضل جهود رجالها من العلماء والصلحاء الذين أسس بعضهم زوايا علمية رائدة، لعل أبرزها زاوية آل عبد الجبار التي اطلعت بأدوار علمية وروحية واجتماعية مهمة بفكيك خلال القرنين ٩ و١٠هـ/١٥-١٦م، خاصة وأنها احتوت خزانة غنية عرفت باسم "دار العدة"(٢٠)، ساهمت بشكل كبير **في خلق رواج علمي وإشعاع روحي، إذ حج اليها العديد من العلماء وطلبة العلم الذين توافدوا على خزانتها الغنية، فاشتهرت بها ظاهرة الإعارة والإستنساخ، واستقطبت العديد من الطلبة والعلماء والمريدين وأهل الصلاح.**

وممن زاروا فكيك بقصد الاستفادة من خزانتها والارتواء بعلوم شيوخها، نذكر الشيخ محمد بن ناصر الدرعي(١٠٨٥هـ/١٦٧٦م) شيخ الزاوية الناصرية الذي نسج علاقات متينة مع شيوخ وعلماء زوايا فجيج، **ثم ابنه** أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي(ت. ١١٢٩هـ/١٧١٧م)، و أحمد بن أبي محلي السجلماسي(ت. ٩٦٧هـ/١٦١٣م) أحد طلاب زاوية آل عبد الجبار، وسعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري(ت. ١٠٦٦ ه/١٦٥٦م)، فضلا عن أبي سالم العياشي (١٠٩٠هـ/١٦٧٩م)، وغيرهم كثير من الشيوخ و العلماء(٢١).

٢-واحة فكيك، أرض الصلحاء وملتقى الأولياء

٢-١-صلحاء فكيكيو الأصل والمنشأ، الوظائف والأوصاف

إذا كانت كتب المناقب، قد أجمعت أن المغرب أرض "تنبت الصالحين كما تنبت الكلأ"(٢٢)، وأنه بلد "صلحاء وفقهاء وعلماء"(٢٣)، وأنه "دار جهاد وموطن رباط"(٢٤)، فإن واحة فكيك، كان لها نصيبها الوافر من رجالات الزهد والعلم والصلاح، حتى إنها كانت سباقة إلى إنجاب العديد منهم، منذ فترة مبكرة من العصر الوسيط، حيث نشأ بها عددا مهما من الصلحاء والعلماء، ممن بصموا بأعمالهم المجتمع المغربي عامة، والمجتمع الفكيكي على وجه التحديد. وفيما يلي رصد لنماذج من هؤلاء، مع إبراز وظائفهم وأوصافهم، بحسب الإفادات التي أوردتها بعض المصادر، نظير ثبت الوادي آشي، وبستان ابن مريم التلمساني، وجدوة ابن القاضي المكناسي، وأعلام الزركلي الدمشقي وغيرهم.

إسم الولي	تاريخ وفاته	مصدر ترجمته	وظائفه و أوصافه
أبو حامد محمد الفجيجي	كان حيا سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م	مفيد الفوائد، (نقلا عن العربي هلالي)، معلمة المغرب، ج١٩، ص.٦٤٩٣-٦٤٩٤.	- يعتز باللغة العربية. - له تأليف في علم الكمياء. -كان من علماء زمانه.
أحمد بن موسى الفكيكي	عاش خلال ق٩هـ/١٥م	مفيد الفوائد، (نقلا عن العربي هلالي)، معلمة المغرب، ج١٩، ص.٦٤٩٢.	- من كبار المتصوفة بفجيج. -حارب البدع وتصدر للتدريس والوعظ.

عبد الجبار بن أحمد بن موسى	ت.٩١٨هـ/ ١٥١٢م	ثبت الوادي آشي، ص. ٣٩٨.	-وصف "بالعالم الصالح، العارف المجيد، المجدد". -مارس وظائف تربوية واجتماعية.
محمد بن عبد الجبار بن ميمون بن هارون المسعودي الفجيجي	ت.٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م	ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص.٦٨٧- ٦٨٨.	-"صاحب كرامات مشهودة". - له زاوية في وطنه المعروف بحدوش من تاسالة. - "بنى مسجدا على عين(...)بنى بيتا للفقراء والمريدين وباع جميع ماله من الأرض وأنفقها عليهم". -"صار قطبا يأتيه الزوار من كل بلد".
إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي الورتدغيري	**ت. حوالي** ٩٢٠هـ/١٥١٤م .	ابن القاضي، جدوة الاقتباس، ج١، ص.٩٩. -الزركلي، الأعلام، ج١، ص.٤٥.	- "الفقيه المتأدب، والشريف الرحالة". -درس في زاوية والده. -رحل إلى فاس للتبحر في العلم.

			- رحل إلى المشرق أكثر من خمس مرات. -مارس أدوار تربوية واجتماعية بفجيج. -له كتاب "روضة السلوان" و "منظومة في قواعد الإسلام".

لعل من أهم الصلحاء الفجيجيين الذين قاموا بأدوار تربوية واجتماعية كبيرة داخل فجيج وخارجها، تذكر المصادر، أسرة آل عبد الجبار التي اشتهرت بالعلم والصلاح خلال القرنين ٩و١٠هـ/١٥-١٦م، وعلى رأسها الولي أحمد بن موسى الإدريسي الحسني الفجيجي والد الإمام عبد الجبار، الذي أسس زاوية بقصر المعيز في منتصف ق٩هـ/١٥م، فلما جاء نجله عبد الجبار، بنى مسجدا آخر وزاوية لاستقبال الوافدين من الطلبة والعلماء، و أنشأ خزانة "دار العدة" الكبيرة، التي لعبت دورا محوريا في نشر العلم والمعرفة ومبادئ التصوف بواحة فكيك.

والواقع أن الشيخ العارف بالله عبد الجبار الفجيجي ونجلاه أبو عبد الله محمد وأبو إسحاق إبراهيم، كان لهم دور كبير في نشر مبادئ التصوف السني، سواء داخل فكيك أو خارجها من الحواضر، لا سيما مدينة تلمسان التي ارتبط بها آل عبد الجبار أشد الارتباط، بالنظر لقربها الجغرافي من واحة فكيك، ثم لأنها كانت خلال القرنين التاسع والعاشر للهجرة، معقلا لعلماء ومشايخ الصوفية، أمثال الإمام محمد بن يوسف السنوسي الذي حضر الوادي آشي جنازته هناك سنة ٨٩٥هـ.(٢٥).

وغني عن البيان ما كان لأسرة آل عبد الجبار من أدوار اجتماعية وتربوية داخل المغرب الأقصى وخارجه، فقد ذكر ابن مريم أن محمد بن عبد الجبار بن ميمون بن هارون المسعودي الفجيجي، كان "صاحب كرامات مشهودة"(٢٦)، وقد أفلح في تأسيس زاوية في وطنه المعروف بحدوش من تاسالة بالقرب من تلمسان، كما أفلح في بناء "مسجد على عين(...) و بيت للفقراء والمريدين، وباع جميع ماله من الأرض وأنفقها عليهم"(٢٧)، **حتى** "صار قطبا يأتيه الزوار من كل بلد"(٢٨).

٢-صلحاء وفدوا على فكيك، الوظائف والأوصاف

اشتهرت واحة فكيك باستقطابها للعديد من العلماء والمتصوفة ممن حجوا إلى هذه الواحة من مناطق مختلفة، سواء من بلاد المغرب الأقصى أو خارجه، فشدوا إليها الرحال، و استقر بهم المقام بأرضها مدة من الزمن، مما شكل فرصة سانحة لأهل فجيج من أجل التلقي والتلمذة، حيث أخذ بعضهم عن بعض مبادئ التصوف السني وجملة من العلوم، خاصة وأن معظم هؤلاء الأولياء، كانوا على اطلاع بعلوم الشرع وقواعد اللغة، وهو ما اتضح جليا من خلال مضامين تراجمهم. **وفيما يلي نماذج لبعض أهل العلم والصلاح ممن وفدوا على فكيك، مع ذكر أوصافهم ووظائفهم.**

الولي وتاريخ وفاته	مصـــــــــــدر/مرجع ترجمته	موطنـــــه الأصلي	وظائفه و أوصافه
سليمان ابن أبي سماحة البكراوي (ت.١٠٨٥هـ/١٦١٦م).	مخطوط خاص، (نقـلا عـن العربـي هلالـي[٢٩]، فكيـك، تـاريخ ووثـائق، ص.١٠٨-١٠٩).	غرناطة	- اسـتقر بفجـيج وأخـذ عـن الإمـام عبـد الجبـار.- تـولى إمامـة مسـجد قصـر الوادغير -عرف بالورع.- دفـين بنـي ونيـف قـرب فجيج. -كـان بغرناطـة بالأنـدلس قبـل النكبـة سـنة ٨٩٨هـ/١٤٩٢م. -دخـل المغـرب الأقصـى وأخـد عـن علمـاء فـاس ومراكش.
الداودي أحمد بن أحمد بن منصور (عاش خلال ق١١ه/١٧م).	**مخطوط خاص،** (نقـلا عـن: بوزيـان، واحـة فكيـك، ص.١٤٥).	القيروان	-استقر بأرض فجيج. -عـرف بـالورع والصلاح. -كـان خطاطـا وعارفـا بعلم القراءات.

محمد بن الجيلالي بن الطاهر الفاسي[٣٠] (عاش خلال ق١٢هـ/١٨م).	**مجموع خطي خاص،** (نقلا عن: بوزيان، واحة فكيك، ص.١٤٥).	فاس	-من أسرة أندلسية نزحت إلى فاس. - استقر بفجيج وتولى التدريس والقضاء.
عبد الله الكبير بن أحمد الكرزازي (عاش أواخر ق.١٢هـ/١٨م).	بوزيان، العربي هلالي، فجيج، تاريخ وثائق...، ص.١١٣.	بشار (المغرب الأوسط)	- استقر بقصر الوادغير. - عرف بالصلاح، وتولى الإمامة والتدريس والفتوى والقضاء.

يتضح من خلال جرد أسماء أهم الصلحاء الذين توافدوا على واحة فجيج، أن معظمهم حلوا خلال العصر الحديث، وهي الفترة التي شهدت فيها المنطقة، على غرار باقي جهات المغرب الأقصى، حضورا لافتا لظاهرة الولاية والصلاح، مع ما صاحبها من أزمات اجتماعية واقتصادية وسياسية، سواء داخل المغرب الأقصى أو الأندلس التي شهدت نهاية معقل بني نصر بغرناطة، وبداية توافد المسلمين الموريسكيين على الشمال الإفريقي عموما، وعلى المغرب الأقصى على وجه التحديد. ولا غرو، فقد حل بأرض فجيج من غرناطة الولي الصالح سليمان ابن أبي سماحة البكراوي (ت.١٠٨٥هـ/١٦١٦م)، الذي عرف بورعه، بعد أن أخذ عن الإمام عبد الجبار، وتولى التدريس والإمامة بمسجد الوادغير.

ومما ساهم في توافد الصلحاء على أرض فكيك، ما اشتهرت به واحتها من إشعاع روحي خلال القرنين ٩ و١٠هـ/١٥و١٦م، على يد أسرة آل عبد الجبار الفجيجي[٣١]، مما أدى إلى تعدد روافد الهجرة، حيث استقطبت واحاتها مجموعة من أهل العلم والصلاح والتصوف الذين حلوا بأرضها من مختلف مناطق الغرب الإسلامي، كالقيروان التي وفد منها الولي الداودي أحمد بن أحمد بن

منصور، عاش خلال ق١١هـ/١٧م، واشتهر بالورع، ومزاولته للتدريس، وإلمامه بعلم القراءات، و فاس التي قدم منها الولي محمد بن الجيلالي بن الطاهر الفاسي (عاش خلال القرن ١٢هـ/١٨م)،

وقد تميز أغلب الصلحاء والزهاد الوافدين على فجيج، بسعة اطلاعهم وتبحرهم في مجموعة من العلوم، بل إن بعضهم اعتكف على العبادة والعلم والتدريس، حتى حاز أشرف المراتب علما وعملا، وصار من العلماء الأعلام المشهود لهم بالثقة والكفاءة، نظير سليمان ابن أبي سماحة البكراوي الغرناطي السالف الذكر.

وبالنظر لما اشتهر به صلحاء فجيج الوافدين، من علم وصلاح، وفعل للخير، فقد نال معظمهم مكانة مرموقة في نفوس الفجيجيين كالولي الداودي أحمد بن أحمد بن منصور (ق١١ه/١٧م) الذي حل بأرض فكيك من القيروان، و الولي عبد الله الكبير بن أحمد الكرزازي (عاش أواخر ق.١٢هـ/١٨م) الذي قدم من بشار بالمغرب الأوسط، و كلاهما كرسا حياتهما للتربية والتعليم ونشر مبادئ الدين و التصوف السني، الأمر الذي انعكس إيجابا على النشاط الصوفي بفجيج خلال الفترات اللاحقة عن العصر الحديث.

٣- صلحاء هاجروا خارج فجيج، الوظائف والأوصاف

اشتهر أهل فجيج برحلاتهم الواسعة، ومؤلفاتهم المفيدة، واتصالاتهم المتعددة بشيوخ العلم في كل من فاس وتلمسان ودرعة وتوات والمشرق الإسلامي وأقطار السودان(٣٢). وفيما يلي بعض رجال أهل العلم والصلاح ممن ذاع صيتهم خارج فجيج بفضل ما قدموه لمجتمعهم من خدمات جليلة، خاصة وأنهم لعبوا أدوارا طلائعية على المستوى التربوي والاجتماعي داخل موطنهم فجيج وخارجه.

إسم الولي وتاريخ وفاته	مصدر/مرجع ترجمته والصفحة	مكان الاستقرار	الأوصاف والوظائف
إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي الورتدغيري (ت.حوالي ٩٢٠هـ/١٥١٤م)	ابن القاضي، جدوة الاقتباس[٣٣]، ج١، ص.٩٩-١٠٠. الزركلي[٣٤]، الأعلام، ج١، ص.٤٥.	السودان الغربي	-فجيجي الأصل. - تلقى تعليمه بفجيج وفاس وتلمسان ومصر. -كان صادحا بالحق، لا يخاف في الله لومة لائم. -هاجر على إثر اغتيال شيخه عبد الحق السكوني إلى بلاد السودان وبها توفي سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م. -هدى الله على يديه خلقا كثيرا من أهل السودان. -صاحب القصيدة المعروفة بالصيدية.

صلحاء أولاد يفرح (ق.١١هـ/١٧م).	القادري، نشر المثاني[٣٥]، ج٢، ص.٢١٦.	فاس	-أصلهم من فجيج. -كانوا من أهل العلم والصلاح. -استوطنوا الأندلس وخرجوا منها. -سكنوا حومة رأس الجمان بفاس. -مارسوا أدوار تربوية وروحية وسياسية بفاس. - تعرضوا للقتل بعد سعيهم في ثورة فاس ضد المولى اسماعيل.
أحمد بن محمد بن أحمد أدفال (ت.١٠٢٣هـ/ ١٦١٤م).	طبقات الحضيكي[٣٦]، ج١، ص.٤٣. التقاط الدرر[٣٧]، ص.٦٦.	درعة	-أصله من فجيج، وانتقل مع جده إلى قرية سوسانة بإفريقية ومنها إلى درعة. - عرف باسم أدفال الدرعي. -ينتسب إلى بني أدفال. -كان من كبار المحدثين والفقهاء.

			-كان من أجلة الصوفية. -جال في في بلاد المغرب للأخذ عن علمائها فدرس بدرعة وفاس. -رحل الى المشرق وزار مكة.
إدريس بن عبد الله الودغيري البدراوي (ت.١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م)	الموسوعة المغربية[٣٨]، ج٤، ص.١٢.	سجلماسة	شيخ الجماعة في علم القراءات في وقته. تولى الخطابة بالقرويين بفاس. -ينتسب إلى البدراويين.
عبد الرحيم بن عبد الرحمان الودغيري	الموسوعة المغربية، ج٤، ص.٦٩.	غرناطة	-ينتسب إلى أولاد المسواك. -استوطن غرناطة. -نزل فجيج وانتقلت بعض ذريته إلى تلمسان.
يوسف بن عيسى الفجيجي(كان حيا	الشفشاوني، دوحة	مكة	-أقام بمكة حاجا ومعتمرا.

سنة ٩٥٧هـ/١٥٥٢).	الناشر[٣٩]، ص.٣.		-توجه إلى المشرق عام ٩٥٧هـ على الثمانين سنة. -وصل الى مكة والمدينة. -له كرامات كثيرة وله في علم الأحوال والمعاملات وأسرار الذكر الخاص الشأن الذي لا يدرك.
أحمد الفجيجي التازي (ت.١٠٢٣هـ/ ١٦١٨م)	الحركة الفكرية[٤٠]، ج٢، ص.٤٣٥.	تازة	-زاول التدريس بتازة.
أبو الحجاج يوسف بن احمد الفجيجي (ت١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م)	دليل مؤرخ المغرب الاقصى، ص.٢٥٩.[٤١]	صفرو	-اشتهر بمناقب عديدة. -ألف أحد تلامذته كتابا يعرف بمكانته ومناقبه عنونه ب"مناقب أبي الحجاج يوسف الصنهاجي".

عبد الحق الفجيجي (توفي قبل القرن ١٢هـ)	الرحلة الورثيلانية[٤٢]، ج١، ص.٢٠-٢١.	بجاية	- استقر ببجاية وبها قتل نتيجة نهيه عن المنكر. -أهل بجاية يعظمونه غاية التعظيم. -كان زاهدا عارفا بالله. -اشتهر بالنهي عن المنكر.
الشيخ السيد ميمون الصحراوي بن محمد بن علي بن عبد الله الحسني الفجيجي،	- عبد الرحمان الصومعي، التشوف في رجال سادات التصوف[٤٣]، ص.١٢١-١٢٢	وادي الشرفاء (تادلا)	-"كانت له كرامة، تجتمع عليه الوحوش كلما ظهر لها". - "من أصحاب الشيخ السيد محمد الملقب بالزعري".
الشيخ أبو الحجاج يوسف بن بن عيسى الشريف الفجيجي[٤٤]	الصومعي، التشوف، ص.١٢٩.	الكراط بأغريس من بلاد بني شقران (تلمسان)	-"وترك أولاده بمدينة تادلا من واد أم الربيع ببير الشقران".
عمر غيلان بن عبد الرحمان الفجيجي[٤٥]	الصومعي، التشوف،ص. ١٥٦.	نزيل بني كرفط	-أصله من الحمام الفوقاني نزيل بني كرفط من أصيلا".

		(أصيلا)	
الصالح الشريف سيدي محمد بن عمرو الفكيكي(ت.١٢١٣ هـ):	**سلوة الأنفاس[٤٦]، ج٢، ص.٩.**	**فاس**	**-"من الراسخين في العرفان، وممن له في الطريقة شأن"**
الشريف سيدي محمد بن يعقوب الفجيجي(ت ١٢٦٤هـ)	**سلوة الانفاس، ج٢، ص.١٨.**	فاس	**-" من خاصة الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وفضلائهم"،** **-"له تلامذة واتباع، (...) وكان يخبر بالاجتماع بالمصطفى عليه السلام يقظة ومناما".** **-له تأليف بعنوان " مرتع القلوب من حضرة علام الغيوب"،**
الصالح الشريف سيدي الحاج عاشور الفجيجي: (ت.١٢٦٤هـ):	**سلوة الانفاس، ج٢، ص٢٧.**	فاس	**-شريف النسب، يعرف "بسيدي الحاج عاشور الفجيجي الحسني الادريسي".** **-"كان يصوم الدهر ، ويقوم الليل، كثير**

			الـــــذكر، والقـــــراءة لـــــدلائل الخيـــــرات، والـــــتلاوة فـــــي المصحف". **- "لـــه كرامـــات عجيبـــة وأحـــوال غريبـــة(...) وشـــهد جنازتـــه، خلـــق كثير"**
الشـــريف ســـيدي علـــي بـــن عبـــد الرحمان الفجيجي (ت ١٢٧٢هـ)،	**الكتـــاني، ســـلوة الانفـــاس، ج١، ص.١٩٢).**	فاس	**-"كـان مـن طلبـة العلـم القـاطنين بالمدرسـة المصـباحية، وكـان تقيـا نقيـا، ورعـا زاهـدا متقشـفا، داكـرا يصـوم الـدهر، ويقـوم الليـل، يخـتم السـلكة فـي كـل ليلـة بالقيـام، وكـان مـن تلامـذة الشـيخ سـيدي بـدر الـدين السـابق يحضر مجلسه"،**

يبـدو مـن خـلال جـرد أسـماء أهـم صـلحاء فكيـك ممـن هـاجروا واحـتهم، أن مـواطن اسـتقرارهم، قـد تعـددت بحسـب طموحـاتهم العلميـة والاجتماعيـة والروحيـة، فقـد نزلـوا بحواضـر وأمصـار عرفـت بنشـاطها العلمـي والصـوفي خـلال العصـر يـن الوسـيط والحـديث، سـواء داخـل المغـرب الأقصـى أو خارجـه، ومنهـا مدينـة فـاس التـي اسـتأثرت بعـدد مهـم مـن صـلحاء فكيـك وعلمائهـا، وذلـك بـالنظر لمكانتهـا العلميـة والروحيـة، وهكـذا فقـد نـزل بهـا الـولي أبـو حامـد محمـد الفجيجـي (كـان حيـا سـنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م)، وبهـا عـاش خـلال عصـر الموحـدين، وقـد اشـتهر بـالعلم

والصلاح، وتذكر المصادر أنه كان فجيجيا أمازيغيا قحا، لكنه يعتز اعتزازا كبيرا بالعروبة والعربية، واشتهر بالمشاركة والتأليف في كثير من العلوم، خاصة علم الكيمياء، وله كتاب في هذا الشأن سماه "مفيد الفوائد في خير العوائد"(٤٧)، قدمه هدية للخليفة يعقوب المنصور الموحدي (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م).

وممن حط الرحال بمدينة فاس من أهل الصلاح الفجيجيين، تذكر المصادر، **صلحاء أولاد يفرح الذين مارسوا أدوارا تربوية واجتماعية وسياسية كبرى، حتى إنهم دعوا إلى ثورة بفاس ضد المولى إسماعيل، مما تسبب في تعقبهم وقتلهم بعد أن كان لهم شأن كبير بحومة رأس الجمان بفاس، وعنهم يقول صاحب نشر المثاني "في صحوة يوم السبت رابع عشر رجب ١٠٨٥هـ، قتل بفاس أولاد يفرح، (...) لكونهم سعوا في ثورة فاس على المولى إسماعيل،(...) وأصلهم من فجيج الذين دخلوا الأندلس ثم خرجوا منها عند الحدث، واستوطنوا حومة رأس الجمان من فاس القرويين"(٤٨).**

وقد استقطبت مناطق أخرى عددا لا يستهان به من الصلحاء الفجيجيين، ومنها تازة التي حل بها الولي والفقيه أحمد الفجيجي التازي (ت.١٠٢٣هـ/١٦١٨م)، وتادلا التي آثر الاستقرار بها كل من الشيخ السيد ميمون السحراوي بن محمد بن علي بن عبد الله الحسني الفجيجي، و الشيخ أبو الحجاج يوسف بن عيسى الشريف الفجيجي، و عمر غيلان بن عبد الرحمان الفجيجي.

وبالمثل، فقد اشتهر صلحاء فجيج برحلاتهم إلى المشرق، قصد أداء فريضة الحج والتبحر في العلم، ويذكر صاحب دوحة الناشر أن الولي يوسف بن عيسى الفجيجي(كان حيا سنة ٩٥٧هـ/١٥٥٢)،الذي كانت "له كرامات كثيرة"(٤٩)، قد أقام بمكة قبل حجته الأخيرة مدة ست عشرة سنة حج خلالها واعتمر عدة مرات.

ومن الصلحاء الفجيجيين الذين هاجروا خارج فجيج، نتيجة عوامل أمنية واجتماعية، نذكر الولي إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي الورتدغيري(ت.حوالي ٩٢٠هـ/١٥١٤م) الذي فضل الهجرة صوب بلاد السودان الغربي على إثر اغتيال شيخه عبد الحق السكوني الشريف الفجيجي الذي رثاه بقصيدة معبرة عن اختلال الأوضاع الأمنية(٥٠) بالمغرب الأقصى آواخر العصر الوسيط، عموما

وبواحة فكيك والمناطق المجاورة لها على وجه التحديد. و قد كان لإبراهيم إسهاما مهما في قضية يهود توات إلى جانب شيخه محمد بن عبد الكريم المغيلي[٥١]، فأوجب مثله التنكيل بهم و هدم كنائسهم، وهجا المسالمين لليهود من أهل توات، وطعن في عقيدتهم بقصيدة لامية أقرضها لهذا الغرض[٥٢].

ثالثا: صلحاء فكيك، الوظائف والأدوار

١- الأدوار التربوية والدينية

اشتهر صلحاء فكيك بالزهد والصلاح، وفعل الخير، فضلا عن شرف نسب بعضهم[٥٣]، فقد نالوا مكانة مرموقة في نفوس العامة والخاصة، وتولوا عدة وظائف وأدوار، ومنها دور التربية الروحية ومزاولة وظيفة التعليم والتدريس والوعظ والإرشاد داخل المساجد وخارجها، ولاتعوزنا القرائن الدالة عن الدور الفاعل الذي قام به صلحاء واحة فكيك، فالولي إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي الورتدغيري (ت. **سنة** ٩٢٠هـ/١٥١٤م)،كان "صادحا بالحق، لا يخاف في الله لومة لائم"[٥٤]، وقد وصفته المصادر "بالفقيه المتأدب"، صاحب كتاب "روضة السلوان" ومنظومة في قواعد الإسلام"، مارس التدريس بفكيك وبلاد السودان التي هاجر إليها على إثر اغتيال شيخه عبد الحق السكوني، وقد "هدى الله على يديه هناك، خلق كثير"[٥٥].

ولم يكن الولي عبد الحق الفجيجي (توفي قبل القرن ١٢هـ)، أقل عطاء من سابقه، فقد اشتهر بنهيه عن المنكر، حتى تعرض للقتل ببجاية نتيجة ذلك، و"كان أهل بجاية يعظمونه غاية التعظيم"[٥٦].

لقد أنيطت بصلحاء أرض فكيك مهمات تربوية ودينية، لعل أهمها ترسيخ تعاليم الإسلام، وتفقيه المريدين وعموم الناس في أمور الدين، وتثبيت دعائم التصوف السني، و لا غرو فقد كانت فكيك من أهم المناطق التي احتضنت مؤسسة الزاوية منذ القرن التاسع الهجري، بنشاطها الصوفي وشكلت مجمعا للزهاد والمتصوفة، يقصدونها بقصد الخلوة والتعبد وتلقين مبادئ الدين والتصوف للمريدين، ليستمر النشاط الصوفي بهذه المنطقة ونواحيها بزعامة العديد من الزوايا التي لاتزال بعضها فاعلة إلى يومنا الحاضر[٥٧].

٢- الأدوار الاجتماعية

لم تكن أدوار صلحاء فكيك لتختلف كثيرا عن وظائف نظرائهم في مختلف بوادي المغرب وحواضره، إذ اشترك المتصوفة في وظائف وأدوار متشابهة، ولعل أهم تلك الوظائف ما أشار إليه روبير مونطاني حين أقر أن مهمة الولي تكمن أساسا في المحافظة على النظام الذي تقره المجموعة، وذلك بتدخله في حل النزاعات، والفصل في الخصومات، وحماية الأسواق والمواسم، ورعاية المحاصيل والمخازن الجماعية(٥٨).

وفيما أكد هذه الحقيقة روبير مونطاني(Robert Montagne)، سار ايرنست كيلنر(Ernest Gellner) في ذات المنحى، مؤكدا أن الدور التحكيمي للولي هو ما يضمن استمرار تلك المجموعات(٥٩)، غير أن من الدارسين من تنبه أن هذه التحليلات تظل جميعها غارقة في التنظير إلى أبعد الحدود(٦٠)، وقد أصاب الأستاذ محمد مفتاح حين ربط بين الولي ومجاله، مؤكدا أن دور الصوفي في جماعته مرتبط بمواجهة الشر المتمثل في شطط السلطة وتعسفات القبائل الرحل والنصارى المتاجرين وقطاع الطرق، كما يرتبط بمواجهة الظواهر الطبيعية كالجفاف والمجاعات والأمراض(٦١). وهو ما نجد له قرائن تاريخية دالة مرتبطة بمجال فكيك وصلحائها.

لعل من بين أهم الوظائف الاجتماعية التي اشترك فيها متصوفة فكيك مع عموم المتصوفة بالمغرب، وظيفة إطعام الطعام والتضامن مع المحتاجين، وهي من الوظائف البارزة التي أعطاها المتصوفة أهمية كبرى حتى صارت أصلا للسلوك الصوفي عند بعضهم، ولا غرو، فقد باع الولي محمد بن عبد الجبار بن ميمون بن هارون المسعودي الفجيجي **(ت.٩٥٠هـ/١٥٤٣م)** "جميع أملاكه من الأرض وأنفقها على الفقراء و المريدين"(٦٢)، واستمر كذلك، حتى "صار قطبا يأتيه الزوار من كل بلد"(٦٣). ويذكر ابن مريم أن هذا الولي حدث أن "جاءه الزوار من بلاد المغرب، وذلك في عام مسغبة، نزلوا عنده ولم يجدوا طعاما، والناس في أمر عظيم من الجوع، فقالت له زوجته ما عندنا ما نطعم به الضياف،(...)، فقال يأتيهم رزقهم، فصل بهم الظهر وجلس ينظر في

الكتاب(...) فإذا برجل بتليس قمح على حمار وقصعة سمن ومعزة، وقف على الخيمة"(٦٤).

ويبدو أن وظيفة إطعام الطعام، كانت تنسجم مع ظروف المغرب آواخر العصر الوسيط و بداية الحديث والذي كان معرضا بصورة دورية للمجاعات وسنوات الجفاف(٦٥)، فضلا عن غياب الاستقرار السياسي الذي بات المجتمع المغربي يعاني من نتائجه بصفة حادة ومتكررة(٦٦)، مما يجعل الرعية عرضة لتعسفات عمال السلطة وشططهم الضريبي، وهو ما كان المتصوفة يتدخلون لدرئه في الغالب الأعم.

وإذا كانت كتب المناقب قلما تفصح مباشرة عن وظائف الولي داخل مجتمعه، فهي تعبر عن وظائفه وأدواره من خلال رصد كراماته والإسهاب في ذكر خصاله، ففي كرامة استسلام الوحوش وتجمعها أمام الولي ميمون الصحراوي الفجيجي، دلالة تبرز من خلالها أدوار الولي ووظائفه داخل مجتمعه، ذلك أن الكرامة تعطي للولي قدرة خاصة تميزه عن سائر الناس، وتمكنه بالتالي من القيام بأدوار معينة لا يتأتى القيام بها لسائر الناس(٦٧)، فمواجهة الحيوانات المفترسة(٦٨) والحرص على إطعام الطعام زمن المسغبة(٦٩)، كلها كرامات تثبت دور الولي ووظائفه داخل المجتمع الفكيكي.

ولا يمكن استحضار الأدوار التي قام بها الولي في مجتمعه، دون استحضار طبيعة ذهنيات المجتمع المغربي خلال العصر الوسيط وبداية الحديث، وما طبعها من هيمنة التفسير الغيبي للظواهر الطبيعية، فقد كان المجتمع يعمد إلى تفسير كل ما يصادفه في حياته من عوائق كالكوارث الطبيعية والأمراض والأزمات بكونها تجليات قوى غيبية صادرة عن إرادة إلهية، ويكون ذلك التفسير منطلقا لعبادات تتخذ دريئة للخوف ومطية لمواجهة الأزمات، وهو ما يرى فيه أحد الباحثين(٧٠) استمرارا لمظاهر تأثير الآلهة الوثنية القديمة في المجتمع المغربي.

خاتمة

وممـــا ســـبق، يتضـــح أن واحـــة فكيـــك، كانـــت لهـــا مســـاهمة فاعلـــة ضـــمن خريطـــة التصـــوف بـــالمغرب، إذ حققـــت إشـــعاعا روحيـــا امتـــد داخـــل المغـــرب الأقصـــى وخارجـــه، خـــلال العصـــرين الوســـيط وبدايـــة الحـــديث، وذلـــك بفضـــل مـــا أنجبتـــه مـــن رجـــالات، تميـــزوا بعلمهـــم وصـــلاحهم، وانخرطـــوا فـــي الـــدفاع عـــن الرعيـــة بوســـائل شـــتى، مكرســـين مبـــدأ التكافـــل والتضـــامن، كمـــا قـــاموا بـــأدوار رائـــدة علـــى المســـتوى الـــديني والتربـــوي والاجتمـــاعي، وهـــو مـــا عـــزز البعـــد الروحـــي والتربـــوي خـــلال المراحل اللاحقة، وضمن استمراره حتى المرحلة الراهنة.

إن طبيعـــة موقـــع منطقـــة فكيـــك، وفعاليـــة أدوار صـــلحائها وإشـــعاعهم علـــى المســـتوى الروحـــي والاجتمـــاعي، قـــد جعـــل تـــأثيرهم، يصـــل إلـــى منـــاطق بعيـــدة بالصـــحراء والســـودان الغربـــي، حيـــث صـــار الربـــاط هنـــاك يلعـــب أدوارا جهاديـــة ضـــد المســـتعمر، إلـــى جانـــب دوره التربـــوي والاجتمـــاعي. كمـــا أن أدوارهـــم الاجتماعيـــة ودفـــاعهم عـــن الرعية، جعلهم يحظون بتقدير كبير من طرف العامة والخاصة.

المراجع

(١) عبـــد الرحمـــان الحرداجـــي، **فكيـــك**، معلمـــة المغـــرب، الجمعيـــة المغربيـــة للتـــأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤، ج١٩، ص.٦٤٨٢ وما بعدها.

(٢) **القصـــر**: تجمـــع ســـكني ووحـــدة اجتماعيـــة واقتصـــادية وسياســـية بلورهـــا الســـكان المســـتقرون، نســـجت حولهـــا عصـــبيات لا تقـــوم علـــى أي انتمـــاء عرقـــي، بـــل علـــى وحـــدة المحـــاط والمـــوارد، وخاصـــة منهـــا مصـــادر الميـــاه، تحـــاط بأســـوار تحتـــوي علـــى أبـــراج للمراقبـــة لحمايـــة القصـــر مـــن القصـــور المجـــاورة وهجمـــات الأعـــراب الرحـــل الـــذين اعتـــادوا الإغـــارة علـــى الســـكان المســـتقرين فـــي القصـــور وخاصـــة فـــي فتـــرات الجفاف. راجع:

-محمـــد أيـــت حمـــزة، **القصـــر، معلمـــة المغـــرب**، الجمعيـــة المغربيـــة للتـــأليف والترجمـــة والنشر، تنسيق محمد حجي، ٢٠١٥م، ج١٩، ص ص.٦٦٣٨-٦٦٤٠.

(٣) **Encyclopédie de L'islam** ; Paris, 1977, T2 ,p.905.

- أيضا: عبد الرحمان الحرداجي، **م س**، ج١٩، ص.٦٤٨٢.

(٤) **موسى ابن أبي العافية**: أحد زعماء قبيلة مكناسة التي كانت مواطنها بملوية وكرسيف ومليلة وما إليها من التلول بنواحي تازة وتسول، كانت رياستهم في بداية المائة الثالثة للهجرة في مصالة بن حبوس وموسى بن أبي العافية الذي استفحل أمره بهذه المناطق وخاض حربا ضد دولة الأدارسة التي دخلت مرحلة الهرم حينذاك. أنظر: ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العجم العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج٦، ص.١٣٤.

(٥) من أهم الزوايا التي لا تزال نشيطة بواحة فكيك، نذكر: **الزاوية البوشيخية** نسبة إلى سيدي عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة الملقب بسيدي الشيخ، عاش ما بين (٩٤٠هـ-١٥٣٣م/ ١٠٢٥هـ/١٦١٦م). و أسس زاويته بقصر الحمام الفوقي. **والزاوية الكرزازية** التي أسسها سيدي أحمد بن موسى بن خليفة بن محمد الحسني الكرزازي، (ت. ١٠١٦هـ/١٦٠٧م)، **والزاوية القندوسية** التي أسسها الولي محمد بن عبد الرحمان بن أبي زيان القندوسي (ت.١١٤٥هـ/-١٧٣٣م) أنظر:

- Houari Touati**, Entre Dieu et les hommes, Lettres, Saints et Sorciers au Maghreb au 17eme. Siècle**, éditions de l'école des Hautes études en Sciences Sociales, Paris, 1994, p.195-204.

-أيضا: أحمد مزيان، **المجتمع والسلطة المخزنية في الجنوب الشرقي المغربي خلال القرن التاسع عشر (١٩١٢-١٨٤٥م)**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص.١٥٦ وما بعدها.

(٦) خلف الشيخ محمد بن عمار الفجيجي ثلاثة أولاد: محمد وعبد الوافي وعمر، واشتهروا جميعا بالزهد والصلاح، و استقروا مع أبنائهم بواحة فكيك، ما عدا محمد بن عمر الذي اشتهر بالورع والصلاح و نزل بتاسلة في قبائل مديونة، إلى

أن توفي سنة ٧٦٤ه/١٣٦٣م، ولم يشتهر هذا البيت كزاوية لها أتباع ومريدون، إلا في بدايات العهد السعدي على يد الشيخ الصوفي عبد الوافي بن أحمد الذي ذاع صيته في الآفاق خلال هذه المرحلة سواء داخل واحة فكيك أو خارجها. راجع: بنعلي محمد بوزيان، **واحة فكيك تاريخ وأعلام**، مطبعة النجاح الجديدة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص.١٣٥.

(٧) يقول أبو سالم العياشي في قصيدته:

تذكرت أصحابي الذين تركتهم بأسفل من أعلام ملوية الخضر

ففاضت دموع العين تهمي كآبة ولولاهم ما جادت العين بالقطر

وما ذاك إلا أنهم يذكرونني ويبكون مثلي، والركاب بنا تسري

-وأثناء العودة، يقول العياشي: "ثم ارتحلنا من **فجيج** يوم الأحد سابع شوال، وعندما حملنا على الإبل، جاءني صاحبنا سيدي محمد بن سلمان السنداني(...) وبتنا قريبا من كتلة الرجم (...) وهناك افترقنا مع أهل مراكش وأهل تافلالت".

- أنظر: أبو سالم العياشي، **الرحلة العياشية (١٦٦١-١٦٦٣م)**، حققها سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة،ط١، ٢٠٠٦م، المجلد ٢، ص.٥٥٠.

(٨) أبو العباس الهشتوكي الجزولي (المتوفى عام ١١٢٧هـ/ ١٧١٥م)، هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام وزيارة النبي عليه السلام، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم ق.١٠٩، ص.٩٨.

(٩) بوزيان، **واحة فكيك، م س**، ص.١٤٤.

(١٠) يتعلق الأمر بالولي الصالح الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد ابن عبد الرحمان بن داوود الجزولي النملي الذي فضل الإقامة بواحة فكيك نزولا عند رغبة أهلها، وهو " كرسيفي الدار (...) حج بعد أن طعن في السن(...) وتوفي بفجيج بعد

مرجعه من المشرق، وقبره هناك مشهور يزار، ووفاته إما في سبع أو ثمان وثلاثين بعد الألف. راجع الهشتوكي، **م س**، ص.١٢٨.

(١١) Gorges Drague**, Esquise d'histoire religieuse du Maroc**, Paris, 1951, p.84.

(١٢) لهشتوكي، **م س**، ص.١٤٢. أحمد بوزيان، م س، ج١، ص.١٥٢.

(13) - HAMY.E.T, **Note sur les figures et les inscriptions gravées dans la roche a EL hadj Mimoun près de Figuig**. Revue D'ethnographie 1882,p.130.

(14) - GAUTIER. Emile-Felix**, le Sahara algerien,1864-1940,**Armond colin, Paris, 1908**,** ,pp.87-88.

(15) - G.B.FLAMAND, **les Pierres écrites gravures et inscription rupestres du Nord-africain**, Paris,1921,pp.25-55.

(16) -Stephan Gsell, **Histoire ancienne de l'Afrique du nord**, Librairie Hachette, Paris, 1913, T.1,p.54.

(١٧) مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، البيضاء، ١٩٨٥م، ص.١٧٩.

(١٨) الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية محمد الأخضر ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م، ج٢، ص.١٣٢.

(١٩) العربي هلالي، **فكيك**، معلمة المغرب، **م س**، ج١٩، ص ص .٦٤٨٤-٦٤٨٧.

(٢٠) **دار العدة**: خزانة من إنشاء الإمام عبد الجبار بتوجيه من والده، ودشنها بحمولة ٤٠ بعيراً كتباً، وحرص على إغنائها وإثرائها بأمهات الكتب وأصولها، وكذلك فعل أبناؤه وأحفاده من بعده، وبلغت شهرتها الآفاق، وجعل الرحالون زيارتها تقليداً محموداً، ودونوا شهاداتهم وانطباعاتهم في رحلاتهم. راجع:

-محمد بوزيان بنعلي، **خزانة بني عبد الجبار بفجيج دار العدة**، مجلة دعوة الحق، العدد٢٤٨، السنة ١٩٨٥م، ص ص. ٩٥-١٠٢.

-أيضا: محمد بوزيان بنعلي، **من نوادر المخطوطات بخزانة الإمام عبد الجبار الفجيجي**، مجلة دعوة الحق، العدد: ٢٥٤، السنة: ١٩٨٦م، ص ص. ١١٤-١٢٠.

-أيضا: مصطفى لالي، **زوايا فجيج وأنشطتها العلمية**، مجلة رباط الكتب، مقال نشر على الانترنيت بتاريخ: ٩ماي ٢٠١٩.

(٢١) مصطفى لالي، **التاريخ الديني والفكري بفجيج خلال العصر الحديث**، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، السنة الجامعية ٢٠٠٤-٢٠٠٥، جامعة محمد بن عبد الله، ظهر المهراز، فاس، ج١، ص ١٣٧.

(٢٢) ابن قنفد، **أنس الفقير وعز الحقير**، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي و أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٥م، ص.٦٣.

(٢٣) عبد الحق بن إسماعيل الباديسي، **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص.٧٣.

(٢٤) الناصري، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، البيضاء، ١٩٥٤م، ج٢، ص ص.٣٣-٢٣٥. ج٣، ص ص.٣٩-٤٠.

(٢٥) عبد القادر زمامة، **الفجيجيون**، مجلة البحث العلمي، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، العدد:٢٠-٢١، السنة: ١٠، يوليوز ١٩٧٢م- يونيو ١٩٧٣، ص ص.١١٩-١٢٩.

(٢٦) ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، م س، ص.٦٨٧-٦٨٨.

(٢٧) **نفسه**، ص ص.٦٨٧- ٦٨٨.

(٢٨) **نفسه**، ص ص.٦٨٧- ٦٨٨.

(٢٩) العربي هلالي، **فجيج، تاريخ، وثائق ومعالم المسجد العتيق والصومعة الحجرية**، المطابع المغربية والدولية،١٩٨١، ص ص.١٠٨-١٠٩.

(٣٠) اسمه الكامل : الفقيه محمد بن الجيلالي بن البشير بن محمد بن عبد الله بن الخياط بن الطاهر الفاسي، ينتسب إلى أسرة أندلسية استقرت بفاس في تاريخ غير معلوم، نزح من فاس واستقر بفجيج، وله عدة تآليف أهمها: "الطريق الواضحة إلى أسرار الفاتحة"، توفي حوالي ١٢٦٩هـ/١٨٥٣م، راجع: بوزيان، **واحة فكيك**، م س، ص.١٤٥.

(٣١) محمد بوزيان بنعلي، الإمام عبد الجبار، **مؤسس الصرح الثقافي بفكيك**، مجلة دعوة الحق، العدد ٢٥٤ ربيع٢-جمادى١ ١٤٠٦/ يناير-فبراير ١٩٨٦، ص.٨٦-١٠٥.

(٣٢) عبد القادر زمامة، **الفجيجيون**، م س، ص.١٢٠.

(٣٣) ابن القاضي المكناسي، **جدوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م، ج١، ص ص.٩٩-١٠٠.

(٣٤) الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ج١، ص.٤٥.

(٣٥) القادري، **نشر المثاني** لأهل القرن القرن الحادي عشر و الثاني، تحقيق محمد حجي، أحمد التوفيق، مكتبة الطالب، الرباط، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ج٢، ص.٢١٦.

(٣٦) الحضيكي، **طبقات الحضيكي**، تحقيق احمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج١، ص.٤٣.

(٣٧) القادري، **التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحديثة والثانية عشر**، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص.٦٦.

(٣٨) **موسوعة التراجم المغربية**، تحقيق وتنسيق محمد حجي وأحمد التوفيق، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج٤، ص. ٤٣.

(٣٩) ابن عسكر الشفشاوني، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٧م، ص.٣.

(٤٠) محمد حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة فضالة، ١٩٧٨، ج٢، ص.٤٣٥.

(٤١) عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، المطبعة الحسنية، تطوان، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، ص.٢٥٩.

(٤٢) الحسين بن أحمد الورثيلاني، **الرحلة الورتيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦، ج١، ص ص.٢٠-٢١.

(٤٣) أبو زيد عبد الرحمان بن اسماعيل الصومعي، **التشوف في رجال سادات التصوف**، تحقيق المصطفى بن خليفة عربوش، سلسلة منشورات الزاوية الصومعية، مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠١٤م، ص ص.١٢١-١٢٢.

(٤٤) اسمه الكامل: الشيخ أبو الحجاج يوسف بن عيسى الشريف الفجيجي العرهبي، راجع: الصومعي، **م س**، ص.١٢٩.

(٤٥) إسمه الكامل: عمر غيلان بن عبد الرحمان بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الصادق بن ميمون بن علي بن يعقوب بن ميمون الشريف الحسني الفجيجي. راجع: الصومعي، **م س**، ص.١٥٦.

(٤٦) الكتاني، **سلوة الانفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن الطيب الكتاني وومحمد حمزة بن علي الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٤، ج٢، ص.٩.

(٤٧) أبو حامد الفكيكي، **مفيد الفوائد في خير العوائد** ، مخطوط ضمن مجموع يشمل مجموع نافع في علم الصنعة و كتاب مجمع المجربات في تسهيل

المستصعبات، .منشورات المكتبة الوقفية للأمير غازي للفكر القرآني، (قبل للتحميل على الانترنيت).

(٤٨) القادري، القادري، **نشر المثاني، م س،** ج٢، ص.٢١٦.

(٤٩) ابن عسكر الشفشاوني، **م س،** ص.٣.

(٥٠) ومما جاء في قصيدة رثاء إبراهيم لشيخه عبد الحق السكوني الشريف الفجيجي:

تغيرت الأوضاع واحلولك الليل وشب طرام الشر وانهمر السيل

وآن الرحيل من بلاد تـــــآمرت بها المفسدون واستمر بها الهول. انظر:

ابن القاضي، **جدوة الاقتباس،** م س، ج١، ص.١٠٠.

(٥١) عن حياة محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره الديني والاجتماعي، راجع ترجمته عند: أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج،** تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م، ج٢، ص.٢٦٤. ابن مريم، **م س،** ص ص.٢٥٣-٢٥٨.

(٥٢) يقول ابراهيم بن عبد الجبار الفجيجي في هذا الصدد:

آيا قاطني توات فاصغوا إلى قولي فقد آن أن أبوح بالبعض والكل

أأنتم على دين النبي محمـــــــد أم القوم واليهود شكل إلى شكل

فما بالكم شرفتموهم عليكم والإسلام أولى أن يشرف في الأصل.

أنظر:

أبو القاسم بن محمد بن عبد الجبار، **الفقيد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد،** تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ١٩٨٣م، ص**٣٢.** ابن القاضي، **جدوة الاقتباس، م س،** ج١، ٩٩-١٠٠.

(٥٣) ينتسب كثير من صلحاء فكيك إلى الأشراف الحسنيين الأدارسة، راجع نماذج عند: الكتاني، **سلوة الانفاس، م س،** ج١، ص.١٩٢.ج٢، ص.٩-١٨-٢٧.

(٥٤) ابن القاضي، جدوة الاقتباس، **م س**، ج١، ص.٩٩-١٠٠.

(٥٥) نفسه، ج١، ص.٩٩-١٠٠.

(٥٦) الحسين بن أحمد الورثيلاني، **م س**، ج١، ص ص.٢٠-٢١.

(٥٧) عن زوايا فكيك. راجع: أحمد مزيان، المجتمع والسلطة المخزنية في الجنوب الشرقي المغربي، م س، ج١، ص. ١٥١ وما بعدها.

(٥٨) - Robert Montagne ;**Les berbères et le Makhzen dans le sud du maroc ; essai sur les transformation politique des berbères sédentaires(groupe chleuh)**.éd. Alcan. Paris ;1930, p.230.

(٥٩) - Ernest Gellner ; **saints of atlas** ; london ; 1969 ;p.70.

(٦٠) عبد اللطيف الشاذلي، **التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري**، منشورات جامعة الحسن الثاني، سلسلة أطروحات ورسائل، سلا، ١٩٨٩م، ص.١١١ وما بعدها.

(٦١) محمد مفتاح، **التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن ٨هـ/١٤م**، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٨١/١٩٨٠م،ج١، ص. ٧٦ وما بعدها. عبد اللطيف الشاذلي، **م س**، ص.١١١.

(٦٢) ابن مريم، **م س**، ص.٦٨٧-٦٨٨.

(٦٣) **نفسه**، ص.٣٩٨

(٦٤) ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، ص.٦٨٧- ٦٨٨.

(٦٥) تتابعت سنوات الجفاف والمجاعات بالمغرب خلال القرنين السادس والسابع للهجرة، وكذا خلال القرنين ١٠هـ/١٦م و١١هـ/١٧م، أنظر: الحسين بولقطيب، **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة،

البيضـــاء، ٢٠٠٢م.ص.٤١ ومـــا بعـــدها. عبـــد اللطيـــف الشـــاذلي، **م س**، ص.١١٤ ومـــا بعدها.

(٦٦) محمـــد المغـــراوي، **العلمـــاء والصـــلحاء والســـلطة بـــالمغرب خـــلال عصـــر الموحـــدين**، أطروحـــة دكتـــوراه الدولـــة، كليـــة الآداب، الربـــاط، ٢٠٠١ ٢٠٠٢-م، ص.٣٧٥.(مرقونة).

(٦٧) عبد اللطيف الشادلي، **م س**، ص.١١٢.

(٦٨) الصومعي، **م س**، ص.١٢١-١٢٢.

(٦٩) ابن مريم، **م س**، ص.٦٨٧-٦٨٨.

(٧٠) Jacques Berque ; **études d'histoire rurale maghrébine**, éd. Internationales ; Tanger Fès ;1938, p.59.

مقالات

الاقتصاد الأردني وحرب غزة

أفكار وحلول

الدكتور

حيدر المجالي

نتيجة لاندلاع الحرب على قطاع غزة، نتج عن ذلك تداعيات اقتصادية سلبية على المنطقة، ومن هنا بدأ التفكير الجدي للبحث عن حلول لهذه الأزمة الاقتصادية التي تعصف بنا، حيث أوضح جلالة الملك عبد الله الثاني خلال لقاءه الفعاليات الاقتصادية المحلية موخرا اهمية التعاون ما بين القطاعين العام والخاص للتاقلم مع الاوضاع الاقتصادية القادمة بعد حرب غزه لان اقتصاد الاردن بعد ٧ اكتوبر ٢٠٢٣ لن يكون نفس الاقتصاد قبل ٧ اكتوبر ٢٠٢٣ نتيجة تداعيات الحرب. وقد بين جلالة الملك اهمية هذا التعاون والتنسيق بين كافة القطاعات الانتاجية ليجتاز الاقتصاد الاردني هذه المرحلة مستشهدا جلالته انه وبفضل الله لطالما نجح الاردن في تجاوز الازمات الاقليمية والعالمية التي شكلت خطرا كبيرا علية الا انه خرج منها بقوه وفعالية اثبتت للعالم قوتة ومتانة اقتصاده.

وكما نعلم فان السلام والاستقرار يعتبران من الشروط الأساسية للتنمية الاقتصادية المستدامة في اي منطقه اما حالة عدم الاستقرار وقيام الحروب فستترك نتائج كارثية على اقتصاديات الدول وتنعكس سلبا على مستوى الخدمات والانتاج ونسب النمو فيها وعندها سنرى مؤشرات النمو الاقتصادي لهذه الدول تتاثر بشكل مباشر كارتفاع نسب البطالة وارتفاع مستوى التضخم وانخفاض نسب النمو وانعدام الثقة في الاقتصاد وغيرها من المعطيات التي تترك اثرا سلبيًا على معدلات النمو العام وتسهم في تدهور اقتصادياتها.

و فيما يتعلق باثار الحرب في غزه على اقتصاديات دول المنطقه فاود الاشاره الى ان اثار الحرب كارثية من الناحية الانسانية اولا والاقتصادية والاجتماعية ثانيا وستؤثر بشكل كبيرعلى كل من اقتصادات الاردن وفلسطين ومصر ولبنان في المرحلة القادمه. فمثلا من المتوقع ان يواجه الاقتصاد الأردني تحديات مالية واقتصادية نتيجة للتأثيرات المباشرة وغير المباشرة للحرب ما لم يتم اعتماد

سياسات اقتصادية وتدابير طارئة للتعامل مع هذا الموقف كما سنوضح لاحقا. فعلى سبيل المثال سيتاثر الاستقرار الاقتصادي والنمو نتيجة تراجع حركة السياحة والاستثمارات الأجنبية المباشرة وتدهور الثقة في الاقتصاد. ثانيا سيكون للأزمة الإنسانية والاجتماعية في غزة والضفه الغربيه تاثيرات مباشره على الاردن حيث قد يتعين علينا تحمل أعباء ازمة انسانية جديده ناجمة عن تداعيات هذه الحرب البشعه والظالمة وستؤدي هذه المستجدات الى استنزاف الموارد الحكومية وتشكيل ضغط كبير على الميزانية العامه للدوله وبالتالي انخفاض معدلات النمو الاقتصادي تبعا لذلك. على صعيد اخر ستتاثر التجارة الخارجية والتبادل التجاري بين الأردن وقطاع غزة والضفة الغربية مما يؤثر على حركة البضائع والخدمات والصادرات والواردات و قد تفرض القيود والعوائق التجارية عبئًا إضافيًا على الشركات والمصانع الأردنية في المرحلة المقبله مما يصعب من مهمتها في ايجاد الفرص الاقتصادية الواعده. واخيرا سنشهد على الاغلب انخفاضا في تدفق الاستثمارات الخارجية على الاردن مما سيترك بصمات سلبيه على النمو الاقتصادي في المدى القصير والطويل ويتطلب اتخاذ تدابير وقائية من قبل الحكومه لمواجهة هذا الظرف بالسرعه الممكنه.

اما بالنسبة للتاثير القطاعي فسنرى اثار الحرب واضحة على قطاع الاستثمار والاعمال وستتاثر مدخلات العملية الاستثمارية والانتاجية نتيجة ارتفاع التكاليف وارتفاع اسعار الطاقة و تاثر خطوط الانتاج و التصدير وغيرها من المظاهر السلبيه بحيث تصبح الصناعات الاردنية غير منافسة ومكلفه وتصبح البيئه الاستثمارية طارده مما يخفض مساهمة القطاع الصناعي في الدخل الاجمالي من ٢٥% من الناتج المحلي الاجمالي الى ١٧%. اما قطاع السياحة فسيكون اكبر القطاعات المتاثره بشكل مباشر حيث سينخفض عدد السياح الاجانب للمنطقه نتيجة الغاء حوالي ٩٠% من الحجوزات السياحية مما يعني تاثر الإيرادات السياحية للخزينة والتي تشكل ما نسبتة ١٥-١٧% من الناتج المحلي الاجمالي (اي حوالي ٤,٨ – ٥,٢ مليار دينار سنويا) الى مستويات متدنية مما يشكل ضغط اضافيا على معدلات النمو في العام القادم.

اما قطاع التجارة والنقل فسيتاثر ايضا بسبب الاضطرابات في المنطقة وسترتفع كلف الشحن والتامين والتوصيل نتيجة وجود قيود على حركة البضائع والتجارة البينيه مما سيعقد المشهد الاقتصادي ويصعب الاوضاع الاقتصادية للافراد والشركات في المرحلة المقبلة حيث من المتوقع انخفاض مساهمة هذا القطاع في الناتج المحلي الاجمالي من ٧,٥% الى ٥,٢%. على صعيد اخر فمن الممكن ان يتأثر المخزون الاستراتيجي للأمن الغذائي الاردني ايضا وقد نواجه صعوبات في تلبية الاحتياجات الغذائية المحلية في الفترة القادمة بالرغم من احتلال الاردن مركزا جيدا في مؤشر الجوع العالمي لعام ٢٠٢٢ كدوله امنه غذائيا. ولهذا فمن الضروري العمل على زيادة مخزون الغذاء واتباع سياسة حكومية داعمه للقطاع الزراعي لسد الفجوه المتوقعه في منظومة الامن الغذائي.

وفيما يخص الحلول المقترحه لمواجهة هذه التحديات فيجب على الحكومة تبني سياسات اقتصادية جريئه واتخاذ إجراءات تحفيزية للتغلب على تحديات الحرب وما بعد الحرب لتعزيز الاستقرار الاقتصادي وحماية القطاعات المختلفه في الدولة. وقد تشمل هذه الاجراءات حماية الاستثمارات، دعم الشركات والاعمال، تحسين بيئة الأعمال وتسهيلها، تحفيز الابداع والمرونه من خلال تطوير برامج سياحية مميزه تستجيب للتحديات الجديده، تعزيز التجارة الدولية والاقليمية، تعزيز الابتكار وريادة الاعمال كالاعتماد على الطاقه البديله مثلا، تعزيز الاحتياطات المالية و توفير صناديق طواريء لتمويل الشركات الصغيرة والمتوسطة واخيرا تحفيز الاقتصاد المحلي واعادة هيكلتة لخلق فرص عمل جديده حيث من المتوقع ان تتاثر بيئة الاعمال مما يتطلب الاستعداد لتقديم مساعدات مالية لضمان استمرارية العمل وتامين الرواتب وتاجيل الاقساط البنكية والفوائد وتنفيذ حزم للتحفيز الاقتصادي وتعزيز النظام المصرفي وضمان استقراره للحفاظ على متانة الاقتصاد الوطني واستقرار الدينار. بالاضافة الى ذلك يجب ان لا ننسى الدورالهام للحكومه في اقناع المجتمع الدولي للاستمرار في دعم الأردن في مواجهة هذه التحديات الاقتصادية كاستمرار المنح الخارجية والقروض والتسهيلات المالية وتقديم المساعدات

الاقتصادية لكي لا تكون هنالك نتائج كارثية تؤثرعلى استقرار المنطقه بشكل عام.

ختاما فان ما شدد علية جلالة الملك في لقاءه مع الفعاليات الاقتصاديه وتاكيده على اهمية التعاون مع الحكومه لوضع خطط استراتيجية بناءه وتشكيل فرق متخصصة قادرة على تشخيص ابعاد ازمة حرب غزه واثرها على الاقتصاد الوطني انما يصب في المصلحة القومية الاردنية لحماية الاقتصاد ودعمه وهذا يتطلب تعاون كافة القطاعات الاقتصادية بمحوريها التنظيمي والانتاجي لوضع الخطط التي تمكن الاقتصاد الاردني من المنافسه والوقوف صامدا امام هذه التحديات مثل الاستفادة من المقاطعه المجتمعية للمنتجات الداعمه للعدو الاسرائيلي في توفير منتجات وطنية بديلة تساهم في تغطية النقص الحاصل في المنتجات المقاطعه وتساعد على تقليل الفجوه النوعية بين المنتج المحلي والاجنبي.

صدر حديثًا

مأساة أقلية: شعب الموريسكيين

الدكتور / الدكتور

خضر السرحان / عبد اللطيف عبد الغني مشرف

صدر حديثًا

مأساة أقلية: شعب الموريسكيين

عنوان الكتاب: مأساة أقلية: شعب الموريسكيين.

المؤلّفان: د.خضر السرحان، د. عبد اللطيف عبد الغني مشرف.

الناشر: دار البشير، دار الشروق الكويتية.

الطبعة الأولى: ٢٠٢٤.

عدد الصفحات: ١٩٣ صفحة.

حجم الكتاب: من القطع المتوسط.

نبذة عن المؤلفين:

- الدكتور خضر السرحان أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة آل البيت في الأردن.
- الدكتور عبد اللطيف عبد الغني مشرف أستاذ مساعد في التاريخ الحديث والسياسي بجامعة ماردين آرتوكلو في تركيا.

نبذة عن الكتاب:

مأساة أقلية: شعب الموريسكيين"، أكّد د. مشرف أن الكتاب قد سبح في المصادر المعنية خلال تلك المأساة لاستخراج العبر والدروس وتقديمها للأجيال القادمة.

وبدوره يؤكد الدكتور عبد اللطيف مشرف أنه سعى في الكتاب الأول «الموريسكيون في إسبانيا .. قصة الطرد الأخير»، إلى وضع أيدي الباحثين والمهتمين بالتاريخ الأندلسي على جوانب عديدة، ووثائق جديدة، ومعلومات مفيدة؛ ليصبح إضافة جديدة وثرية لمكتبة الدراسات الموريسكية.

ورصد الكتاب مأساة الأندلسيين المُنصّرين خلال القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين، وتحديدًا بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الفردوس المفقود "الأندلس"، وذلك عام ١٤٩٢م؛ فبعد هذا التاريخ شنت إسبانيا عملية اضطهاد كبيرة ضد المسلمين، رغم أعدادهم ومكانتهم الكبيرة سواء الاقتصادية أو السياسية داخل الأراضي الإسبانية.

وأضاف مشرف أن السلطة الحاكمة في إسبانيا قد أطلقت عليهم لفظ "موريسكُس"، وهم المسلمون الذين أُجبروا على اعتناق المسيحية بعد سقوط الأندلس، ثم مارست عليهم عمليات الاضطهاد الكبيرة من خلال محاكم التفتيش، التي استخدمت كل وسائل التعذيب تجاه المسلمين؛ لإجبارهم على التنصر

ورغم هذا التضييق تطرق الكتاب لمقاومة المسلمين وتحدي التعذيب والاضطهاد من أجل التمسك بعقيدتهم الإسلامية، وهويتهم العربية من خلال عدة ثورات، فضلا عن قصة اتخاذ قرار الطرد الأخير عام "١٦٠٤- ١٦٠٩م"، وأثر قرار الطرد على الاقتصاد والمجتمع الإسباني، ومعاناة هذه الفئة المقاومة، ومصيرها بعد قرار الطرد، ومن هنا أنطلق هو والدكتور خضر في تحليل تاريخ الموريسكيين وأحداثهم وربط هذه الأحداث بواقع اليوم ليجعلوا من التاريخ أحداث تفاعلية تفسر الحاضر وتستشرف المستقبل، ليتم وضع حجر الأساس لما يسمى التاريخ التفاعلي، ومن هنا ظهرت فكرة كتاب مأساة أقلية " شعب الموريسكيين".

وأكدا أن مأساة الموريسكيين في نهاية القرن التاسع الهجري-الخامس عشر الميلادي، لم تكن وليدة سقوط مملكة غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م، بل كانت امتداد لمأساة أخري هي مأساة المُدجنين، والمُدجنون أو "المورو" هم المسلمون الذين بقوا في الأراضي الأندلسية التي سقطت علي أيدي الممالك المسيحية الإسبانية قبل سقوط غرناطة، وتعرضوا للاضطهاد الديني والعنصري من قبل الإسبان، وكانوا يقطنون بأعداد كبرى في مناطق شرق الأندلس، ولاسيما مدينة بلنسية "فالنسيا" التي شهدت العديد من ثورات المسلمين منذ القرن الثالث عشر.

وأضاف أن وجود مملكة مستقلة في غرناطة كان يمثل الضمانة الأخيرة لحقوق المسلمين في جميع أرجاء شبه الجزيرة الإيبيرية، وكانت هذه المملكة بوصفها دولة إسلامية تتفاوض مع الممالك الإسبانية المسيحية وهي: (قشتالة، وأراجون، ونافارا، والبرتغال) علي معاملة المسلمين باحترام، والسماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية بحرية، فلقد كان يوجد بين جموع المسيحيين في جميع الأوقات من يود لو يرى مزيدًا من المساعي لحمل زملائهم المواطنين المسلمين علي اعتناق المسيحية، لكن مثل ذلك الحماس الديني كان لابد أن يُكبح، لأن المسيحيين كان يمكن أن يجدوا أنفسهم في قبضة حكام مسلمين

وأشار مشرف، لقد كان هناك موريسكيون منذ العام ١٥٠٠م فصاعدًا يعيشون في الأقاليم القشتالية (قبل أن يُوجدوا في أراضي أراجون، ونافارا) وهم المسلمون سابقًا، الذين تعمَدوا في العلن، وغَدوا مسلمين في السر، تحت حكم المسيحيين لكن كلمة "موريسكي"، بحسب ما يذكر مشرف لم تكن قد أُدرجت في الاستعمال بعد، بل إنها لم تغدُ كذلك حتى أواخر ذلك القرن، ويطرح الكتاب سؤالا محوريا عن البحث في مسألة خطيرة: هل كان المسلمون أحرارًا في ممارسة دينهم في إسبانيا خلال القرن السادس عشر؟ ومهما يكن من أمر، فإن مصطلح الموريسكي قد اتخذ موقعًا راسخًا في الكتابات التاريخية، بحيث غدَا تجنبه مُدعاة لإثارة سوء الفهم.

ومن جانبه فقد ذكر الدكتور خضر سرحان أن كلمة "الموريسكيين" قد غدت شائعة الاستعمال حتى في الكتابات العربية، وربما يكون قد فات الأوان اليوم

لمحاولة استبدالها، ولكن من الواجب بذل كل جهد لتجنب ما قد تُحدثه الكلمة من مزالق مَذهبية، فمن هنا تحول هذا الشعب الأندلسي إلى أقلية مقهورة، بعد أن كانوا أصحاب حضارة، وأصحاب الكلمة في أراضي إسبانيا، ومعها البرتغال، فأصبح شعب الموريسكيين مأساة حقيقية؛ لذلك تم تسمية الكتاب "مأساة أقلية.. شعب الموريسكيين".

ويضيف أنه عند التدقيق في العنوان نتساءل كيف يتحول الشعب إلى أقلية؟، الحقيقة تكمن في توصيف الإسبان للموريسكيين على أنهم أقلية، رغم أنه بدراستنا للموضوع؛ وجدنا أن الموريسكيين إلى أن صدر قرار الطرد في حقهم عام١٦٠٩م لم يكونوا أقلية، بل كانوا شعبا صاحب حضارة، وتجارة، واقتصاد قوي، لكنه أصبح بدون سلطة أو حكم سياسي إسلامي؛ وذلك بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين على أراضي إسبانيا عام ١٤٩٢م، فبدأت سلسلة اضطهادات من السلطة، والكنيسة الإسبانية تجاه المسلمين، وبسبب عوامل التعذيب، والاضطهاد، والتضييق على معاشهم

هاجر الكثير منهم بعد سقوط غرناطة، فكانت هي ملامح التهجير الأولى، ورويدًا رويدًا، بدأ التضييق يزداد من قِبل محاكم التفتيش، فبدأ الكثير منهم يترك الوطن لينجوا بنفسه، وبعائلته، ودينه، ومن هنا أصبح عددهم يقِل، ومع ذلك ظل الكثير منهم متمسك بوطنه، ودينه، وعقيدته لآخر لحظة، إلى أن طُردوا جميعًا من إسبانيا، فأصبحوا أقلية بعد أن كانوا أعظم شعوب الأرض عِلما، وحضارة، ولعلنا اليوم نرى سيناريو الموريسكيين في واقع أمتنا، وواقع الأقليات الإسلامية في بلدان العالم، فمن هنا وجب سرد مأساة الموريسكيين، لاستخراج مآسي واقعنا الحالي لتتعلم الأجيال من التاريخ، لعلها تعي، وتفهم واقعهم.

ويذكر الدكتور السرحان: "تأتي بعض أوجه الأهمية في دراسة موضوع الموريسكيين، وبالتحديد دراسة "الموريسكيون في إسبانيا، واتجاهات هجرتهم"، كونه يفتح مجالًا رحبًا لدراسة التاريخ الأوروبي في علاقته بالتاريخ العربي والإسلامي، كما أن هذا الكتاب يعد إضافة نوعية إلى المكتبة العربية والعالمية ليقدم قراءة جديدة ومتأنية لهذا الموضوع الذي شغل بال الكثير من الباحثين في هذا الموضوع وفي هذه الفترة الزمنية.

Editorial and advisory board

Volume 1, No. 2, April ,2024

Editorial Consultants

DR. Sayel Khataybi DR. Khather Asserhan DR. Azzam Abo Alhamam DR. Mahmud Fatatah

Editorial Consulting Board

Name	Country	Name	Country
DR. Areaj Jaber	Jordan	DR.Asmaa Khasawni	Jordan
DR. Khaled Ashraydi	Jordan	DR. Rabeaha Rfa3y	Jordan
DR.Khaled Mayyas	Jordan	DR. Ali AL-Hallag	Jordan
DR. Abd assalam Yahia Sayed	Mauritania	DR. Assmaa Anaila	Morocco
DR. Mohamad Bany Easa	Jordan	DR. Ekram Albasheer Aljamal	Libya

A refereed Quarterly Scientific Journal for Social and humanity Studies

Issued by

Ayn Alsultan Foundation for studies and research

Irbid/ Jordan

Mobile:

00962799045000-00962788031031

Email:

ibn.rushid@yahoo.com / ibn.rushed01@gmail.com

website:

https://ibn-rushed.com/

Ibn Rushd

Editorial and advisory board

Volume 1, No. 2, April ,2024

Advisory Board

Name	Country	Name	Country
Prof.DR. Ali Mahaftha	Jordan	Prof.DR. Ehsan Rabbaey	Jordan
Prof.DR. Fawaz Abd Al-Hag	Jordan	Prof.DR. Fathy Salem AL_laheaby	Iraq
Prof.DR. Waleed Abd Al-Hay	Jordan	Prof.DR. Nour Al-deen Amayt	Morocco
Prof.DR. Yousef Abo Al-Odous	Jordan	Prof.DR. Mohamad Al- Mokhtar	Senegal
Dist.Prof.DR. Ebraheem Jadleh	Tunisia	Prof.DR. Emran Mahaftha	Jordan
Prof.DR. lofty Abo Al-hija	Jordan	Prof.DR.Tharwat Hawamdeh	Jordan
Prof.DR. Fayez Abo Areada	Jordan	Prof Dr. Sabrina Alwaer	Algeria
Prof.DR. Ahmad Jawarneh	Jordan	Prof.Dr.Naama Maalaynyn	Morocco
Prof.DR. Mohamad Hazaymeh	Jordan	DR. Saleh Mahrous Mohamad	Egypt
Prof Dr. Likhdar Moh'd Bolatif	Algeria	DR. Ashwag Abbas	Syria
Prof.DR. Fayez Al-Najar	Jordan	Dr . Eaman Saleh Atata	Egypt
Prof.DR. Mohamad Al-momany	Jordan	DR Moh'd Farahat	Palestine
Prof.DR. Nabeel Al-Najar	Jordan	DR. Nabeal Gareasah	Tunisia
Prof.Dr. Mohamad Kentawi	Algeria	DR.Hend Fakhry Saead	Iraq
Prof.Dr. Hamdado Bin Omer	Algeria	DR. Rabee owaise	Palestine
Prof.DR. Waleed Hamidat	Jordan	DR. Ammar Ganat	Russia
Prof.DR. Talal Altorifi	Saudi Arabia	DR. Ibrahim Gharaibeh	Jordan
DR. Yousef Rababaa	Jordan	DR.Khalid Ashagran	Jordan

Instructions for publication (1)

Volume 1, No. 2, April ,2024

1- Ibn Rushed Journal of Studies publishes original scientific research by researchers and author's in the social and human sciences, written in Arabic or English only.

2- The research is printed on one side of the paper using double space and footnotes (at least 2.5 cm on each side), and the pages must be numbered.

3- The Research must not have been published or submitted for publication anywhere else.

4- Research is subject to refereeing according to established scientific principles, and if modifications to the research are requested, it is returned to the researcher to make the required modifications.

5- The journal is not committed to publishing the research except after making the required amendments, or the editorial board undertakes to make some of the required amendments in accordance with the publishing policy.

6- Research must be typed using Word, according to the form found in the following publishing instructions:

- The main titles of the research must be formatted as (Arial/Bold/14) for Arabic Language, (Times New Roman/Bold/14) for English Language.
- The sub-titles of the research must be formatted as (Arial/Bold/12).
- The body of the research must be formatted as (Arial/12).
- The number of research words should not exceed 5,000 words, with a maximum of 15 A4 pages, with a distance between lines of 1.5.
- The research sent to the editor-in-chief of the journal via email, noting that no paper copies of the research will be received.
- The research must include the research title, the name of the researcher or researchers, the abstract, keywords, introduction, research methodology, results, discussion, footnotes - if any - and references.

7- The abstract must not exceed 150 words, and contain the goal of the study, the method, results and recommendations.

8- Tables and figures are numbered respectively according to their occurrence in the research.

9- When the research is approved for publication, the ownership rights are transferred to the journal.

10- The sources and references are written in the margin at the end of the research, and the sources and references are indicated in the body of the research by sequential numbers placed in parentheses, and this is as follows:

• The name of the author/authors is written as he or she are, and if there are more than two, the first name is written and the rest (others), year of publication, name of reference, publisher, edition, place of publication, and page are indicated.

• Translated books, as previously mentioned, with the translator mentioned immediately after the name of the reference.

• Journals: Name of the author: Title of the research or study, name of the journal, issue, volume, year, page.

• Doctoral or master's theses: author's name, thesis title, university, year, page.

• Books in English or other languages, name of the author, year of publication, name of the reference, publisher, edition, place of publication, page (written in English or the language of the reference).

• Journals in English or other languages, name of author, title of research or study, name of volume, issue, volume, year, page (in English or language of the Journal).

• Conferences: name of the presenter of the paper or report, title of the paper or report, name of the conference, place of the conference, year, page.

• Newspapers: the name of the writer of the article or news, its title, the name of the newspaper, the place of publication, the issue, and the date.

• Websites: name of the website, title of the article or news, name of the writer, link in English, date of publication, time.

• The research language may be English or any other living language, provided that an abstract is submitted to the journal in Arabic.

11- If the research is published, no other party may republish it, publish a summary of it, or publish a translation of it in any medium (book, newspaper, or other periodical) without with written approval from the Journal's Editorial Board.

12- The researcher will be informed of the publication date within a period of no less than one month from the date of receipt of the research.

13- The Journal reserves the right of keeping the research, whether published or not.

14- The Journal reserves the right to publish the research in accordance with the Journal's editorial policy.

15- The researcher pays the fees if the research is approved for publication.

16- Research papers should be sent to the following address:

ibn.rushid@yahoo.com

ibn.rushed01@gmail.com

قسيمة اشتراك في مجلة ابن رشد للدراسات

لمدة :.....

ابتداء من :.....

الاسم:.....

العنوان:.....

الاشتراك السنوي في مجلة ابن رشد للدراسات يشمل أجور التجديد .

أ. داخل الأردن		ب. خارج الاردن	
للافراد	10 دنانير :	للافراد	20 دولارا أمريكيا :
للمؤسسات	20 دينارا :	للمؤسسات	40 دولارا أمريكيا :
للطلبة	8 دنانير :	للطلبة	10 دولارات امريكية :

طريقة الدفع :

شيك	حوالة بريدية	حوالة بنكية	بطاقة اعتماد (فيزا)
☐	☐	☐	☐

ترسل القسيمة مع رسم الاشتراك إلى :

هاتف:

00962799045000/ 00962788031031

البريد الالكتروني:

ibn.rushid@yahoo.com

ibn.rushed01@gmail.com

ابن رشد للدراسات
العدد الثاني
المجلد الاول
نيسان ٢٠٢٤

Ibn Rushed

Journal for Studies
(IJS)

A refereed Quarterly Scientific Journal for
Social and humanity studies
Issued by
Ayn Alsultan Foundation for
studies and Research

Irbid - Jordan

Vol.1 Issu. 2 April 2024
Deposit No. D/2023/1654